الاستمرار والتغير فى البناء الاجتماعى فى البادية العربية

" دراسة ميدانية فى علم الاجتماع البدوى "

تأليف

دكتورة / سهير عبد العزيز محمد يوسف

استاذ علم الاجتماع المساعد

جامعة الأزهر

الطبعة الأولى
١٩٩١



دار المعارف

رقم الايداع	١٩٩١/٤٤٩٨
الترقيم الدولى	I.S.B.N. 977 - 02 - 3335 - 8

جولدن ستار للطباعة

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

إهـــداء

إلى ابنى أحمـد

وذكـرى أيام جميلـــة

شكر وتقدير

أحمدك الله على توفيقك ، وأشكرك على رعايتك التى شملتنى وأنا فوق تراب الارض الطاهرة . وبين مقدساتها المكرمة التى أشرقت منها شمس الإسلام على العالم كله . واذا كان شكرى لك هو اوجب الواجبات . فقد بقى (اعترافا بالفضل ، ووفاء للدين) أنْ أوجه اجمل الشكر وأصدقه ، وأكبر الوفاء وأعمقه . بلسان يشهد بالجميل . ويعترف بالثناء ، ويفيض بالمدح والإعجاب : لكل من أسهم معى برأى ، أو أرشدنى الى فكر ، أو أعاننى على صعب ، وأمدنى بخبرة ، ويساعدنى على اكتشاف مجهول . لكل من قابلت فى مجتمعات البحث ، ولمست منهم التعاون الكامل ، والمساعدة الجميلة .

لكل القلوب التى لمست فيها الطهر ، وأحسست منها بالحب والعون ، حين التقيت بأصحابها أثناء دراستى .

لكل من التقيت بهم على هذه الارض الطيبة ، والبقاع المباركة التى أراد الله لسكانها أن يكونوا نسمات رحمة ، ونفحات حب ، استمتعت بهم ، وأفدت منهم ، واسترحت لهم ولولا جهد هؤلاء الناس من سكان البدو والحضر لما استطعت ان أقدم هذا العمل .

بقى على بعد ذلك دين وجب الوفاء به وهو الشكر العميق لسمو الامير الملكى خالد الفيصل آل سعود على تفضله بإهــداء صورة الغلاف شاهدة بروائع فنه العبقرى ، وذوقه الرفيع .

اما عائلات " الامير جفران " و " الاستاذ راشد السبيعى " بالحائر وعائلات " الامير بن خشيلة " بالغطغط و" آل جريان " بالقصب وأهالى هذه المجتمعات فى أماكنها المختلفة - لهؤلاء جميعا من التقدير والشكر ما يكافئ جهدهم معى ، ومعاونتهم لى ، وصدق مشاعرهم نحوى .

وإنى لأسال الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه وأن يلقى هذا الجهد القبول والتقدير عند قرائه من الزملاء والطلاب .

واذا كان فى الكتــاب شئ من التقصــير فإن الكمــال لله وحده وهو نعم المولى ونعم النصير .

سهير عبد العزيز محمد يوسف

الرياض

ذو القعدة عام ١٤١٠ هـ / يونيه عام ١٩٩٠م

البـــــاب الأول

البنـــــاء النظرى

الفصل الأول

الإجراءات المنهجيه للدراسة والدراسات السابقة

- مقدمة عامة
- أهمية الدراسات السوسيو أنثروبولوجية فى دراسة المجتمعات البدوية
- أهمية دراسة البدو
- الغرض من البحث وأسباب الإختبار
- كيفية أختيار عينات الدراسة
- منهج الدراسة
- طرق وأساليب اجراءات الدراسة - أدوات جمع البيانات
- الدراسة السابقة
- صعوبات الدراسة
- محتويات الدراسة

مقدمة عامة :

تمر المملكة العربية السعودية كغيرها من دول النفط فى الوقت الحاضر بتغيرات وتطورات جذرية عميقة ، تتناول الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، بعد أن لعب ظهور البترول فى الفترة الأخيرة دورا هاما أدى إلى تفكك الأبنية الاجتماعية التقليدية والتى كان يقوم معظمها على البداوة والزراعة والتجارة .

ولقد تميزت الفترة التى تلت ظهور البترول عام ١٩٣٢ بكثير من المتغيرات سواء كانت فى نشاط السكان التى تمثلت فى تغير وسيلة العيش فتحولت من العمل الرعوى والزراعى إلى أنماط ونماذج أخرى من العمل ، ومحاولة الحصول على وظيفة تضمن دخلا ثابتا وعاليا ، وما تبع ذلك من هجرة من الأماكن البدوية والريفية إلى الأماكن الحضرية ، وهذه التغيرات فى المستوى المعيشى وأيضا انتقال الأفراد من بيئة يكثر فيها التأثر بقوى البيئة الطبيعية إلى بيئة أخرى لاتصبح لهذه القوى الطبيعية أهمية كبرى بل تحتل فيها البيئة جزءا قليلا من التأثير على نشاط الفرد ، حيث يصبح الإنسان هو المتحكم فى البيئة المحيطة به . وحيث ظهرت تجمعات حضرية جديدة وتحولت القرى إلى مدن أو فى طريقها إلى التحضر .

كما تطورت مدن أخرى واتسع نطاقها وتغيرت تغيرا كبيرا ، وأصبحت هذه المدن تكتسب أهمية متزايدة فى الحياة الاجتماعية ، وأصبحت العلاقات الاجتماعية التقليدية والقيم الاجتماعية ، فى سبيلها للتغير والتطور السريع ، أى أن هناك نسقا اجتماعيا جديدا قد يختلف فى كثير من مقوماته عن البناء الاجتماعى التقليدى .

والدراسات الإنثروبولوجية فى مناطق النفط ، تعتبر من الدراسات الهامة ، نظرا لهذا التغير السريع لأنماط الحياة الاجتماعية ، واختلاف نوعية الإنتاج وأدواته ، وإن لم يقطع صلته بالماضى .

ومعظم الدراسات التى أجريت على مجتمع البحث إن لم يكن جميع الدراسات جاءت فى صورة دراسات تاريخية أو جغرافية أو أدبية ، مفتقرة إلى الكثير من التحليل الاجتماعى ، كما هو الحال فى معظم الدراسات .

ولقد أكد كثير من الباحثين على أنه لاتزال المكتبة العربية والأجنبية على السواء لاتضم سوى القليل النادر من المؤلفات فى علم الاجتماع البدوى ، وفى النظم الاجتماعية البدوية ،

والبداوة والمجتمعات القبلية البدوية (١) .

ولعل من أهم المشكلات التى واجهت الباحثين الحقليين الذين عنوا بدراسة الجماعات القبلية والمجتمعات البدوية ، تلك التى تتعلق بتحديد ماهية المجتمع البدوى حيث لم تعد فى عالمنا المعاصر تلك التجمعات العشائرية القبلية التى تعيش حياة البداوة والتنقل والنجعة الكاملة ، والتى يسودها الاقتصاد المعاشى الرعوى ، ولم يكن ظهور مصطلح " المجتمع شبه البدوى " الذى يعبر عن تلك المزاوجة بين حياة الرعى والزراعة فى تلك المجتمعات القبلية بكاف فى مواجهة المشكلة ، فلقد أدى التقدم الهائل الذى طرأ على وسائل الاتصال الاجتماعى والثقافى فى عالمنا المعاصر، إلى انفتاح تلك المجتمعات على كثير من المستحدثات التى أخرجتها من عزلتها الكاملة، وإن كانت لم تؤد بعد الى اضمحلال كل تلك النظم القبلية والبدوية التى أخذت تتعايش مع النظم الحديثة التى أدخلت اليها (٢) .

وتؤكد بعض الكتابات أن الباحثين الانثربولوجيا فى كثير من حلقات المناقشة والمؤتمرات الدولية والاقليمية فى السنوات الأخيرة قد نبهوا إلى أهمية تنمية الدراسات الانثروبولوجية الحقلية فى المناطق الصحراوية وتأصيل ما يعرف بانثروبولوجيا المجتمعات الصحراوية والبدوية. تدفعهم فى ذلك بجانب اهتماماتهم التقليدية بالأنماط المجتمعية والنظم والثقافات " البدائية " تلك التغيرات الجذرية التى تحدث فى تلك المجتمعات الصحراوية والبدوية . ولعلنا فى غير حاجة إلى إبراز مدى تلك التغيرات التى تتعرض لها المجتمعات الصحراوية والبدوية العربية وبخاصة فى تلك المناطق والمجتمعات التى تقوم فيها إستثمارات النفط وصناعات التعدين ، فمن المعروف أن استثمارات النفط قد أحدثت فى العالم العربى تغيرات جذرية شملت جوانبه السكانية والعمرانية والاقتصادية (٣) .

ولسنا بحاجة إلى ترديد تلك الأقوال التى تزخر بها كتب الإنثروبولوجيا وعلم الاجتماع .... من أن التركيز على الدراسات الحقلية هو الذى سيعود فى النهاية إلى الفهم المنشود لتلك المجتمعات ... مع وجود مشكلة هامة ستظل قائمة وهى : " اختلاف المجتمعات الإنسانية نفسها وإن اختلاف نظمها الاجتماعية ووسائل الضبط الاجتماعى فيها ، والديانة السائدة فى كل

---

(١) محمد عبده محجوب : انثروبولوجيا المجتمعات البدوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٧، ص ٨ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٨ .

منها"، تجعلنا فى حاجة إلى مزيد من هذه الدراسات .

كما ترجع الأهمية الخاصة بهذه الدراسة إلى أنها تطرقت لمجتمع " نجد " وهو مجتمع ظل منعزلا فترات طويلة ، ولم يندمج فى أى مجتمع آخر طوال فترات تاريخية طويلة ، فالفترة التاريخية التى حددتها الباحثة نستطيع اليوم أن نجد إخباريين يحملون فى صدورهم تاريخ هذه المنطقة ، وعلى الدراسة أن تجمع ما فى هذه الصدور ، وإلا اختفت وانطوت هذه الفترات التاريخية دون تسجيل .

وفى النهاية فان هذه الدراسة هى إسهام متواضع لفهم الأنساق الاجتماعية فى استمرارها وتغيرها ، وفهم لعناصر التراث الثقافى لجزء هام من المجتمع العربى ، وهو مجتمع نجد – قلب الجزيرة العربية – ، فالكتابة هى الطريقة الوحيدة للحفاظ على التراث الشعبى .

وإن هذه الدراسة محاولة متواضعة ، لتلقى الضوء على البداوة بمحتواها المادى والبشرى.

ويمكن اعتبارها من الدراسات السوسيو انثروبولوجية الوصفية ، وذلك يتضح من خلال المناهج والأدوات التى اعتمدت عليها والتى تتمثل فيمايلى :

يعتبر المنهج البنائى – الوظيفى Structural - Functional Method من المناهج الأساسية لدراسة المجتمعات المنعزلة والبسيطة ، وهو يعتمد على النظرة التكاملية والشاملة فى دراسة المجتمع ، بحيث يأخذ الباحث فى اعتباره العلاقات الاجتماعية المتشابكة فى المجتمع وعلاقة هذه العلاقات بالنظم الاجتماعية القائمة .

فعند دراستنا لنظام السلطة أو الزعامة أو الرئاسة فى مجتمعات الدراسة القبلية المدروسة يجب أن يؤخذ فى الاعتبار العلاقات الاجتماعية بهذا المجتمع القبلى ، المتمثلة فى البناء القرابى ، وما يتبعه من علاقات اجتماعية داخل هذا البناء مثل العلاقات الاقتصادية ، والوراثة والملكية فى العائلة وما يتبع ذلك من نظام السلطة ، ونظام الانضمام والانشقاق ، والتى بمقتضاها تستطيع الوحدة القبلية الانقسامية أن تضم أعضاء إليها يدخلون فى بنائها الاجتماعى . كذلك التعرف على النظام السياسى الاقليمى فى هذا المجتمع .

وفى هذا النسق المجتمعى الذى تتداخل فيه الجوانب القرابية والجوانب السياسية

والاقتصادية أيضا ، حيث يتناظر التوزع بين أقسام الوطن القبلى من ناحية والتوزع القرابى والسياسى ومناطق الحيازة القبلية من الناحية الأخرى ، تبرز خاصية التساند البنائى ، بين النظم والأنساق الاجتماعية التى تقوم عليها النظرية البنائية بدرجة عالية من الوضوح ، ومع الاعتماد على تلك الطرق التقليدية التى اعتمدت عليها دراسات الباحثين الانثروبولوجيين الأوائل- كطريقة الملاحظة بالمشاركة Participant observation والاعتماد على المعلومات المستمدة من العارفين بالعادات والتقاليد والمعلومات (١) .

إذن فالخصائص الاجتماعية التى تميزت بها المجتمعات البدوية القبلية البدائية مثل بساطة الحياة الاقتصادية والتكنولوجية ، وقلة السكان ، وبساطة الحياة الاقتصادية والتكنولوجية، والاعتماد المباشر على استغلال عناصر الثروة فى البيئة الطبيعية النباتية والحيوانية كل ذلك ساعد على أن تتساند النظم والعلاقات الاجتماعية فيما بينها تساندا وظيفيا ويكون الإطار المنهجى للتحليل الأنثروبولوجى.

وتجدر الاشارة هنا إلى أن الباحثة قامت بدراسة عناصر المجتمع والنظم الاجتماعية دراسة مورفولوجية ، واضعة فى الاعتبار دراسة جغرافية البيئة وسكانها وعلاقة ذلك بالتنظيم الاجتماعى ، وذلك فى فترة معينة من تاريخ المجتمع ، هى فترة ما قبل ظهور البترول ، ثم دراسة التطور والتغير فى المجتمع المدروس وعوامل التغير والتقدم وارتباط ذلك بالتغيرات التى حدثت بالمجتمع العريض ، كالتغير فى النظام الاقتصادى والجوانب الثقافية المختلفة وذلك بعد انطلاق المجتمع اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا وبداية تأسيس المملكة على يد الملك عبد العزيز .

أهمية الدراسات السوسيو انثروبولوجية فى دراسة المجتمعات البدوية:

إن المجتمعات البدوية مجال هام من المجالات التى عنيت بها الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية ، كما يجب أن تكون حقلا جديدا فى الدراسات السوسيو انثروبولوجية الحديثة التى تستطيع بما استحدثته من طرق فى جمع المادة العلمية أن تصل إلى معلومات أكثر دقة وتفصيلا وشمولا حول الجوانب المختلفة فى تلك المجتمعات ، مثلا فيما يتعلق بتعداد سكانها ، وتسجيل تراثها الثقافى ، ووصف العمليات الاجتماعية ، والمشكلات الخاصة بالتوطين وانشاء المجتمعات المستحدثة وما ينطوى عليه من تغيرات ثقافية وبنائية (٢) .

---

(١) محمد عبده محجوب : مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج وتطبيق) وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٤، ص ٢٢ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

ولقد اجتذبت البداوة كما اجتذب البدو جانبا كبيرا من التفكير الاجتماعي وبخاصة تحت تأثير النزعة التطورية التى رأت فى الحياة البدوية بواكير الحضارة الإنسانية وبداية مراحل تطورها وتقدمها . وقد تضاربت الأحكام القيمية حول البداوة والبدو بين من يرى فى النمط المجتمعى البدوى تخلفا ينبغى تكريس كل الجهد للقضاء عليه ، إلى جانب من يرى فى تنمية المجتمعات البدوية وعدم التخطيط العمدى للقضاء على البداوة ، إبقاء على الكثير من القيم الفاضلة ، ومحافظة على أنماط من العلاقات الاجتماعية التى تنطوى على كثير من مبادئ التعاون والتكافل والمروءة والشجاعة والصدق الذى تفتقر إليها العلاقات فى المجتمع الصناعى الحديث (١) .

أهمية دراسة البدو :

ويؤكد كثير من الباحثين على أن دراسة البداوة العربية هامة ، لأن البدو يكونون قطاعا غير هين فى المجتمع العربى ، ولأن الكثير من القيم البدوية لازالت حية فى المجتمع العربى عن طريق ارتباطها بالاسلام منذ ظهوره ، وعن طريق الولاء القبلى فى كثير من أرجاء العالم العربى، ولأن انتقال البدوى من حياة البداوة إلى الحياة الصناعية عملية يحوطها الكثير من الصعاب وألوان الصراع . وأخيرا لإن هذه الدراسات تضيف إلى معارفنا ذخيرة ثمينة حية إلى ما نعرف عن التغير الاجتماعى والحضارى ، وهى دراسة جديرة بأن تسهم فى تأكيد أو نفى الكثير من الفروض التى نهتدى بها فى الدراسات النفسية والاجتماعية ، وفى دراسات الشخصية والطابع القومى (٢) .

ولابد أن تجرى دراسات عن ديناميات الشخصية المرتبطة بترحيب بعض البدو بالانتقال إلى العمل فى الصناعة ، وعزوف البعض الآخر منهم عن ذلك ، أو ارتداده إلى البداوة ، أو تمسك فريق ثالث بالتجول فى الصحراء لا يرضى عنها بديلا ، وأن تحدد العوامل التى ترتبط بما نلمسه أحيانا من مظاهر التناقض الانفعالى فى اتجاهات البدو نحو جهود الحكومات المركزية لتحقيق إدماجهم فى المجتمع القومى (٣) .

كما أن هناك ضرورات تاريخية ومنهجية فرضت تركيز الاهتمام بدراسة تلك المجتمعات

---

(١) المرجع السابق ، ص ٧ .

(٢) محى الدين صابر ، لويس كامل مليكة ، البدو والبداوة ، مفاهيم ومناهج ، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، سرس الليان ، ١٩٦٦ ، ص ١٤٢

(٣) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

البدائية المنعزله ، كما أن هناك أيضا بعض الضرورات التطبيقية ، فلابد من الإسراع بدراسة تلك المجتمعات التى أخذت تنفتح على العالم الخارجى ، وتقع تحت وطأة الثقافة الأجنبية الصناعية ، التى تنقل إلى هذه المجتمعات وما يتبع ذلك من نظم وطرق جديدة فى العمل والسلوك، تتناقض مع النظم والطرق المستقرة فى تلك المجتمعات البدائية ، وتحولها إلى مجتمعات جديدة ذات نظم ومعايير مغايرة لنظمها ومعاييرها التقليدية ، ولذك كان وصف وتسجيل ملامح الحياة فى تلك المجتمعات إبقاء عليها للأجيال القادمة كنوع من التاريخ الاجتماعى الذى يفيد فى دراسات التطور والتغير الاجتماعى [١] ، ومن هنا برزت أهمية هذه الدراسة ، حيث أن المجتمع المدروس يتعرض الآن لتغيرات سريعة نتيجة لظهور موارد جديدة للثروة ، وما يتبع ذلك من تغيرات اقتصادية واجتماعية ، كما أن هناك عمليات تنمية اجتماعية واقتصادية ، ومنها عمليات التوطين Sedentarisation وما تبعه من تغيرات كثيرة .

الغرض من البحث وأسباب الاختيار :

لقد نبعت هذه المحاولة من الضرورة العلمية والقومية التى تملى على المتخصصين فى الدراسات الاجتماعية توجية مزيد عنايتهم لدراسة مجتمعاتهم .

ولذا اختارت الباحثة المجتمع السعودى ومنطقة نجد لتدور حولها الدراسة لأن هذا المجتمع يمثل ذلك النمط التقليدى المتغير ، حيث أن منطقة نجد بالملكة كانت من المناطق شبه المنعزلة وغير المخالطة لمجتمعات أخرى نتيجة لموقعها الجغرافى فى الوسط وتحيطها مساحات شاسعة من الرمال ، وكان لهذا الموقع أهمية كبيرة فى الحياة التقليدية ، فكان متميزا بعاداته وتقاليده الخاصة به ، وفى المرحلة الأخيرة - أى بعد اكتشاف البترول - وبعد الطفرة الاقتصادية والنهضة العمرانية بدأ التغير والاختلاط ، واجتذاب المنطقة لأعداد متزايدة من المهاجرين من مختلف القبائل والأصول وما ينتج عن ذلك من الخليط المتباين من السكان واتجاهاتهم وتقاليدهم وعاداتهم المختلفة ، وما ينتج عن ذلك من مشكلات وتعقيدات ومواقف جديدة ، كل ذلك دفع بالباحثة إلى دراسة هذا المجتمع خلال هذه المرحلة من التحول .

ولقد لفت نظر الباحثة قلة الابحاث الاجتماعية والانثروبولوجية ، بل إن جاز لنا القول إنعدامها تماما عن هذه المنطقة ، اللهم إلا بعض الكتابات التاريخية والجغرافية والأدبية .

---

(١) محمد عبده محجوب : مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ، مرجع سابق ، ص . ص ٢٣ - ٢٤.

كيفية اختيار عينات الدراسة :

أما اختيار الباحثة لمجتمع القصب ، والحائر ، وهجرة الغطغط ، فيرجع السبب إلى أنهم يعتبرون عينة تمثل مجتمع " نجد " ككل ، فقد قامت الباحثة بعمل مسح ميدانى شامل للمنطقة بأكملها استغرق منها زيارات عديدة أخذت سنة كاملة هى عام ١٤٠٦ هـ ، زارت فيها الباحثة معظم القرى والمدن التابعة لمنطقة نجد أى المنطقة الوسطى فقد زارت اثنين وثلاثين قرية ومدينة خلال هذا العام ، وكان اختيار نموذج أو نماذج تمثل هذه المنطقة غاية فى الصعوبة والمعاناة للباحثة ، حيث إن الباحثة غريبة عن هذا المجتمع ، وزيارة القرية يوما أو يومين كان غير كاف لمعرفة نمطها أو طابعها ، ولذلك استعانت الباحثة بالدراسات التاريخية عن المنطقة والدارسين المتخصصين فى نفس المجال ومن أهل المنطقة ومن خارجها ، كما استعانت ببعض الكتاب والمفكرين السعوديين المهتمين بدراسة تاريخ المنطقة لمساعدتها على اختيار عينات تكاد تكون ممثله إلى حد كبير لهذه المنطقة ، وأيضا تكون العينة على مسافة معقولة تستطيع الباحثة عمل الزيارات الميدانية بسهولة ، فقد كانت هناك أماكن كانت الباحثة تقضى اليوم الكامل فى الطريق إليها فقط مما أثقل على الباحثة فى الذهاب والعودة حيث كانت تقطع الإجازة الأسبوعية كاملة فى الذهاب والعودة بلا راحة . وقد أفادت الباحثة هذه الصعوبة فى تحليل البيانات تحليلا علميا أرجو أن يكون سليما ، حيث أصبحت الباحثة ملمة بمنطقة نجد ككل ، ببعدها الجغرافى والبشرى إلى حد ما .

وكان من المهم والأساس أن تختار الباحثة عينة للدراسة تمثل المجتمع الأصلى تمثيلا علميا دقيقا كشرط أساسى لنجاح الدراسة وضمان موضوعيتها ، ومن خلال ماسبق ، ومن خلال الكتابات النظرية السابقة ، ومن خلال المقابلات الشخصية ، ومن الدراسة الاستطلاعية الطويلة – تبين أن بمنطقة نجد ثلاثة أشكال للتجمعات السكانية ، أى " للنسق الايكولوجى والاقتصادى " ، أو كنمط للاستيطان .

فهناك التجمعات البدوية على شكل قبائل أو وحدات أو فروع من قبيلة يرحلون طوال العام ولايعرفون الاستقرار ، ومكان ترحالهم وراء العيش ومصادر الحياة وهو الماء والكلأ ليعيشوا وتعيش حيواناتهم ، وكانوا منتشرين فى أماكن متفرقة وبعيدة وبخاصة على الحدود ، وبعد حكم الملك عبد العزيز فكر فى توطين البدو لأسباب متعددة ومتشابكة ، لا يتسع المقام هنا لذكرها وسنذكرها فى حينها ، دعا الملك عبد العزيز لسياسة التوطين ، وشجعها وقامت الهجر كمكان يستوطن به هؤلاء البدو الرحل ونشأ بالفعل عدد من الهجر التى استقر فيها هؤلاء البدو الرحل ، وقد تم اختيار عينة من هذه الهجر ، وتم الاختيار " لهجرة الغطغط " وذلك لعدة أسباب.

وجود بعض المعارف المقيمين بالهجرة ، مما سهل مهمة الباحثة وساعد على التعرف على المجتمع ومقابلة الإخباريين ، خاصة وأن الدراسة للهجرة ستكون منصبة على الفترة السابقة للتوطين بالهجرة .

لقد توطن بهجرةالغطغط فرع من فروع قبيلة " عتيبة " هم " المقطة " وتعتبر قبيلة عتيبة من أشهر القبائل بنجد .

وكان النسق الإيكولوجى الثانى بمجتمع نجد هو المجتمعات البدوية النصف رحل أشباه رحل أو أنصاف المستقرين أى بدو رحل فى فصل الشتاء ومستقرون فى فصل الصيف يعيشون حياة البدو الرحل طوال الشتاء ، ولهم أرضهم وزاعتهم التى يعودون لها فى فصل الصيف حيث الحرارة الشديدة ، وعدم توفر المياة واللجوء إلى الاستقرار فى هذا الفصل ، ثم الخروج بماشيتهم فى فصل الشتاء كى لاتنفق من الجوع ، وكان هناك عدد كبير من هذا النسق أو من هذه المجتمعات ، وقد تم اختيار عينة من هذه النماذج فكان مجتمع الحائر ، ويرجع سبب اختياره للاعتبارات الآتية :

- وجود علاقة سابقة ببعض الأسر .
- تمثيل هذا المجتمع للبدو نصف الرحل تمثيلا صحيحا .
- قرب المجتمع وسهولة الاتصال لمواصلة البحث دون عناء شديد .

أما الشكل الثالث من أشكال المجتمعات بنجد فهم من البدو الذين استقروا من سنوات طويلة وعرفوا الزراعة وألفوها ، واستساغوا حياة الاستقرار ، ونبذوا الترحال ومشاقة ، ويطلق عليهم فى مجتمع نجد اسم " الحضر " ، فالحضر فى نظر النجدين هم المستقرون على اختلاف مصادرهم الاقتصادية سواء كانوا مزارعين أو تجار أو أى مهنة غير الرعى . وكانت هناك عدة قرى ينطبق عليها نفس الخصائص ، وقد تم اختيار قرية القصب ، أو كما تسمى حاليا " مدينة القصب " وذلك لعدة اعتبارات هى :

- تعتبر القصب من المجتمعات التى استقرت وعرفت الزراعة ، واتخذتها مهنة لها من سنوات طوال ، وبالتالى تركوا حياة البداوة ونسوها وألفوا حياة الاستقرار ، فهى إذن تعد ممثلة تمثيلا صحيحا لهذا النمط الايكولوجى .
- تبعد القصب عن الرياض مسافة ١٥٠ كم فهى ليست بالمسافة القريبة بحيث يتأثر أهلها بالمدينة او بالمسافة البعيدة التى يشق على الباحث الاتصال بها .
- وجود معارف بها.

وهناك عنصر هام من العناصر التى تم على أساسها اختيار العينات الثلاث وهو البعد المكانى لهذه المجتمعات بحيث لاتزيد عن ١٥٠ كم ، حيث يمكن للباحثة أن تتردد على مجتمعات الدراسة بسهولة وفى أى وقت يتطلب فيه البحث ذلك .

منهج الدراسة :

إن هذه الدراسة تنتهج المنهج التاريخى كأساس للكشف عن الحقائق الاجتماعية والأبنية المدروسة فى مراحل تاريخية قد حددتها الدراسة تحديدا مسبقا ، والكشف عن التطور التاريخى للانساق الاجتماعية ، لفهم وتحديد تطور هذه العناصر عبر الفترات التاريخية . كما يأتى بعد ذلك دور التحليل الاجتماعى لهذه الحقائق التاريخية لتفسيرها تفسيرا علميا سليما ، وربط الحقائق بعضها ببعض ، للتعرف على العوامل التى أسهمت فى استمرار أو تغير هذه النظم الاجتماعية سواء كانت هذه العوامل محلية من داخل المجتمع ، أو عوامل من خارج المجتمع وكان لها أثرها على المجتمع .

كما تستخدم هذه الدراسة المنهج الإنثروبولوجى ، فقد اعتمد على بعض الطرق الإنثروبولوجية التى تفيد فى رؤية المجتمع المدروس فى إطار شبكة العلاقات والنظم المتداخلة . وفيمايلى بعض هذه الطرق :

- محاولة قراءة ما كتب عن منطقة الدراسة ، وخاصة الدراسات الاجتماعية والاطلاع على الأبحاث السابقة ، ولأن الدراسة من الدراسات السسيو انثربولوجية - الوصفية التحليلية - فقد اعتمدت على الادوات التى تعتمد عليها كل هذه الدراسات .

أما الاستفادة بالمنهج الانثربولوجى فى هذا البحث فتتمثل فى بعض الجوانب التى من أهمها الاعتماد على النظرية البنائية الوظيفية كمرشد أساسى فى البحث ، حيث نتصور المجتمع المدروس على أنه نسق مكون من بناء كلى من العلاقات الاجتماعية المتباينة التى تربط بين أفراده وجماعاته ، وكيف أن هذا البناء يترابط مع أجزائه ترابطا وظيفيا متسقا مع طبيعة النظم الاجتماعية والثقافية فيه ، ويعمل على تعزيز واستمرارية المجتمع .

ولعل أهم ما يميز الاتجاه الانثروبولوجى اعتماده على التحليلات الكيفية للمعلومات الوصفية التى يتم جمعها من الميدان .

فإن المزاوجة بين الأساليب السسيولوجية والإنثروبولوجية ، تعتبر من أنسب المناهج

لطبيعة هذه الدراسة ، حيث اختلاف التوجهات النظرية لكل أسلوب وكذلك اختلاف الأنماط المجتمعية لكل منهما ، وكذلك الاختلاف فى الأدوات المستخدمة وطبيعة التحليل .

فتعتمد البحوث السسيولوجية على النظريات الوضعية المحدثة ، والتاريخية ، أما البحوث الإنثروبولوجية فتعتمد على النظريات البنائية الوظيفية أساسا .

وتتجه البحوث الإنثروبولوجية لدراسة المجتمعات البدائية والمغلقة ذات الانماط التقليدية ، بينما تتجه البحوث السسيولوجية لدراسة المجتمعات الحضرية والريفية والصناعية .... الخ ، وتستخدم الأبحاث الانثروبولوجية الملاحظة بالمعايشة والمشاركة كأداة أساسية لجمع البيانات ، بينما نجد أن الابحاث السسيولوجية تستخدم أدوات أخرى مثل الاستبيان ، والمقابلات ، والملاحظة البسيطة .... الخ .

ولذلك كان من الضرورى فى مثل هذه الدراسة أن تزاوج بين الأساليب السسيولوجية والانثروبولوجية للاستفادة بكلا الأسلوبين ، فتركز الدراسة على الأبنية والنظم الاجتماعية الهامة بالمجتمع كالبناء الاقتصادى والسياسى والقرابى ، وأثر التغير فى هذه الأبنية على القيم الاجتماعية وعلى جوانب الثقافة المادية وعلى جوانب التراث الاجتماعى عامة .

طرق وأساليب إجراءات الدراسة «أدوات جمع البيانات» :

تستخدم هذه الدراسة الأدوات التقليدية التى تستخدم فى البحوث السسيولوجية مثل المقابلة والتسجيل الصوتى ، والملاحظة البسيطة ... الخ ، هذا إلى جانب الملاحظة بالمشاركة كأداة هامة من الادوات التى تستخدم فى البحوث الانثروبولوجية هذا بالإضافة إلى تحليل البيانات بطريقة كيفية تعتمد على تحليل البيانات الوصفية ، والربط بينها بطريقة وظيفية ، والاعتماد على وسيلة الملاحظة بالمشاركة والمعايشة لفترات طويلة قدر المستطاع فى حياة المجتمع ، وقد استغرقت زيارات الباحثة لهذه الاماكن لمدة أربع سنوات هى مدة إقامتها بمدينة الرياض محرم ١٤٠٦ – ذو القعدة ١٤١٠ هـ سبتمبر ١٩٨٦– يونية ١٩٩٠ ، كانت تزور هذه المجتمعات فى إجازات نهاية الأسبوع ، وكان السفر يتم ذهابا وعودة فى نفس اليوم ، لصعوبة المبيت فى هذه المجتمعات .

الأدوات – الملاحظة والمعايشة :

ولها أهميتها فى تسجيل وقائع السلوك فور وقوعها ، وهى الطريقة المباشرة فى فهم

الحياة الاجتماعية لسكان المجتمع عن قرب ... وكانت الدراسة تتطلب من الباحثه الإقامة الدائمة فى المجتمع والمشاركة فى الحياة اليومية وهذا لم يتوفر لها إلا بعد جهد وزيارات متعددة، حتى استطاعت أن تكتسب ثقة أهالى المنطقة واعتادوا زياراتها ، وقد احتاج ذلك إلى ان تعمل الباحثة زيارات فى نهاية كل أسبوع ، هذا إلى جانب معايشة الباحثة بقية الأسبوع مع طالباتها ، ولم تضيع فرصة لم تستغلها لفهم ومعرفة وتحليل حياة هذه المجتمعات طوال سنوات الدراسة التى قضتها فى إعداد وتحضير هذا البحث .

المقابلات شبة المقننة :

- المقابلات شبة المقننة لبعض المسئولين فى مجتمعات الدراسة من العاملين بالخدمات والهيئات الحكومية بمجتمعات الدراسة .
- مقابلات شبة مقننة للكتاب والباحثين المهتمين بتاريخ المنطقة وبتراثها ، وقد أعد لهذه المقابلات بناء على الدراسات السابقة والدراسة الاستطلاعية ، وكان يتم التسجيل فوريا ، حيث إن المعلومات التى كانت تحصل عليها الباحثة لايمكن أن تستوعبها الذاكرة بدقة .
- مقابلات شبة مقننة لكبار السن من أبناء المجتمع كإخباريين ، للتعرف على عناصر التراث الثقافى والاجتماعى ، والبناء الاقتصادى والسياسى .... إلخ .

استمارة المقابلة :

لقد تم تصميم إستمارة المقابلة ، وذلك بعد أن تمت زيارة مجتمعات الدراسة وملاحظتها لمدة سنة كاملة ، لكى تتعامل مع الأدوات الأخرى ، كان لابد من تصميم إستمارة مقابلة حيث يتم عن طريقها جمع المعلومات بطريقة منظمة ، فلا يترك الباحث بيانات عن طريق السهو ، كما أنها طريقة مقننة لجمع المعلومات ، حيث ان البيانات التى تجمع بواسطة المعايشة أو المصادر التاريخية لاتفى بجميع الجوانب المراد دراستها ، كما أنها لاتمكن الباحث من جمع بيانات محددة فى بعض الجوانب سواء فى الماضى أو الحاضر ، ولتسجيل أهم مظاهر التغير بصورة دقيقة . فهى أداة هامة من أدوات الدراسة .

وقد روعى عند تصميم الاستمارة ملاءمتها مع إطار البحث ولخدمة أغراضه ، وطبيعة المجتمع المدروس .

كما تم التأكد من صدق وثبات الاستمارة كمقياس مناسب بعرضها على محكمين من الباحثين والمهتمين بهذا المجال ، كما تم عمل اختبار قبلى على عينة صغيرة من مجتمعات الدراسة وبالفعل تم تعديل بعض بنود الاستمارة بناء على هذا الاختبار ، ولاسيما التعديلات الخاصة ببعض المسميات ولغة الاستمارة .

وتم تطبيق الاستمارة فى النصف الثانى من عام ١٤٠٩ هـ.والنصف الأول من عام ١٤١٠هـ .

الدراسة السابقة :

لقد صادفت الدراسة ضمن صعوباتها ، ندرة الدراسات الاجتماعية عن منطقة نجد عامة، وأن الدراسات المتوفرة هى من الدراسات المونوجرافية ، التى تستخدم وحدة الدراسة عينة من المجتمعات الصغيرة ، وتدرسه دراسة مستقلة عن باقى المجتمعات الأخرى ككيان مستقل ، فى وضعه الراهن مع إشارة لما كانت عليه هذه المجتمعات ، وهذه الدراسات قد تم الاطلاع عليها والاستفادة منها فى إعطاء صورة عامة عن المجتمع النجدى عامة مع الإشارة إلى أن كل مجتمع محلى له خصوصية خاصة فى المجتمعات المغلقة على ذاتها إلى حد كبير والمتباعدة جغرافيا * .

ونستطيع أن نعرض لدراسة قد اطلعت عليها الباحثة فى فترة مؤخرة من البحث وهى دراسة عن منطقة حائل (١) .

فى هذه الدراسة يحاول الباحث أن يرصد مراحل وعوامل التغير فى منطقة حائل وقد قسم الباحث مراحل التغير إلى خمس مراحل :

---

* من هذه الدراسات نذكر :

عبد الله محمد العبيد : البدائع واحة القصيم الخضراء ، مطابع الخالد للأوفست ، الرياض ، ١٤٠٥ ه .

محمود شاكر : شبه جزيرة العرب – نجد ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ١٣٩٦ ه / ١٩٧٦ م .

الليدى آن بلنت : رحلة إلى بلاد نجد : ترجمة محمد أنعم غالب ، الرياض ، ط ٢ ، ١٣٨٩ ه / ١٩٧٨ م .

عبد الله محمد بن خميس : معجم اليمامة ، المعجم الجغرافى للملكة العربية السعودية ، الجزء الثانى .

(١) شايم لافى غانم الهمزانى : التغير الاجتماعى فى منطقة حائل ، دراسة ميدانية لبعض المجتمعات المحلية بالمنطقة – دراسة غير منشورة لنيل درجة الماجستير فى علم الاجتماع – جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤١٠ هـ .

المرحلة الأولـــى : من قيام الدولة السعودية الاولى وحتى عام ١٣٧١ هـ .
المرحلة الثانيـــة : البترول والتحول الاقتصادى من عام ١٣٧١ - ١٣٨٠ هـ .
المرحلة الثالثـــة : التمهيد للتنمية الاجتماعية الشاملة من عام ١٣٨١ - ١٣٩٠ هـ .
المرحلة الرابعـة : الطفرة الاقتصادية من عام ١٣٩١ - ١٤٠٠ هـ .
المرحلة الخامسة : الركود الاقتصادى من ١٤٠١ - ١٤٠٨ هـ .

وقد جاء هذا التقسيم المرحلى على اعتبار أن التغير الذى حدث فى كل مرحلة ما هو الا ممهد لحدوث تغير أوضح وأشمل فى المرحلة التالية .

وقد حدد الباحث الفترة الحاسمة - كما يسميها - فى الدراسة بظهور البترول والتحول الاقتصادى سنة ١٣٧١هـ ، أى قبل بداية الدراسة بخمسة وثلاثين عاما .

طرق وأساليب إجراء الدراسة :

الدراسة من الدراسات السسيو انثروبولوجية الوصفية - واعتمدت على الأدوات التى يعتمد عليها فى مثل هذه الدراسات مثل:

أولا : الاستفادة من المصادر التاريخية وتوظيفها فى خدمة أهداف البحث:

اتخذت هذه الدراسة فى الحصول على البيانات عدة طرق مثل الرجوع إلى ما كتب عن تاريخ مجتمع الدراسة من معلومات تمس الدراسة بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

والاستفادة من معطيات التراث الاجتماعى المكتوب وغير المكتوب بالإضافة إلى :

- مقابلات كبار السن من أبناء المجتمع المحلى " الإخباريين " لمعرفة الأنشطة السابقة وأهم العلاقات الاجتماعية ، والعلاقات القرابية .
- مقابلة بعض المسئولين فى الهيئات والمؤسسات الحكومية ، وبعض المهتمين بالتراث وجمعه .

وكان يتم التسجيل حسب ظروف الموقف وطبيعة الموضوعات المطروحة - حيث تم الاعتماد على التسجيل الحرفى ، والصوتى - والفيديو .

ثانيا : الملاحظة بالمعايشة :

حيث إن الباحث من أبناء المجتمع المدروس فقد تحقق له قدر كبير من الاستفادة من هذا الأسلوب ، ويلاحظ الباحث مظاهر السلوك اليومى وعلى مختلف المستويات ويقارن ذلك بما توصل إليه من معلومات سابقة ، وهذه الملاحظة تنصب إلى ملاحظة المظاهر ذات الصلة بالموضوع بصورة شمولية - وتشمل الملاحظة للمقيمين والمهاجرين .

ثالثا : استمارة المقابلة :

حيث إن البيانات التى تجمع بواسطة المعايشة أو المصادر التاريخية لا تفى بجميع الجوانب ، كما أنها لاتمكن الباحث من جمع بيانات محددة فى بعض الجوانب سواء فى الماضى أو الحاضر مثل (الدخل - حجم الهجرة - اتجاهات الهجرة .....) ولتسجيل أهم مظاهر التغير بصورة رقمية .

ولانتشار الأمية فقد لجأ الباحث إلى استمارة المقابلة (الاستبار) كوسيلة مناسبة أكثر من غيرها وقد صممت الاستمارة بعد أن قضى الباحث ما يقرب من عام فى مجتمع الإخباريين.

وقد تم تصميم الاستمارة متلائمة مع إطار البحث ، وخدمة أغراضه ، وطبيعة المجالات التى يتعامل معها ، وكذلك أسلوب التفريغ للبيانات والتحليل - وقد تم التاكد من صدق الاستمارة كمقياس مناسب بالاستعانة ببعض الخبراء كمحكمين لمدى صدق الاستمارة الظاهرى والمنطقى.

وقد قام الباحث باختبار قبلى للإستمارة على عينة من مجتمع البحث وبناء على هذا الاختبار تمت التعديلات بما يتلاءم ومجتمع البحث من خلال الواقع الميدانى ، وذلك من بدايه فبراير ١٩٨٨ م ولمدة أربعة اشهر .

وحدة المعاينة الإحصائية :

الوحدة هى الأسرة السعودية ، " النووية " أو " الممتدة " ، وحيث إن مجتمع البحث يشتمل على ثلاثة قطاعات : قرية الروضة - قرية قبيلة الهمزان المستقرين وكذلك من لم يستقروا بعد من القبيلة فإن المعاينة (العينة الطبقية العشوائية) وقد تمت بحصر كافة الأسر السعودية فى مجتمع البحث من خلال السجلات الموجودة فى مركز الرعاية الصحية الاولية ، وتم وضع أرقام للأسر ، أما إطار المعاينة فى منطقة قبيلة الهمزان فقد تم عن طريق الباحث ومركز الرعاية الصحية .

تحديد حجم العينة :

تم تحديد العينة بنسبة ٣ر٣٣٪ من مجموع أسر المجتمع وبذلك تكون العينة الكلية ٩٢ أسرة من ٢٧٧ أسرة ، وقد تم سحب العينة بطريقة عشوائية .

أهم النتائج التي توصل إليها الباحث :

أن المجتمع كان يعتمد اعتمادا مباشرا على مقتضيات البيئة الطبيعية المحلية الشحيحة فى توفير كافة الاحتياجات الضرورية اعتمادا مباشرا ، فالنشاط الاقتصادى إما رعوى وهو يعتمد مباشرة على البيئة ، أو زراعى وهو مرتبط مباشرة بالبيئة وهو يعتمد على الدواب .

وبهذا فإن الغذاء إما أن يكون محليا معتمدا على كلا الجانبين أو من خارج المجتمع وخاصة العراق ، وهذا يعتمد على توفير وسيلة المواصلات وهى الجمل وكذلك توفر الظروف الأمنية المناسبة .

ولما كانت مظاهر البيئة الطبيعية قاسية متقلبة كان هناك استسلام لهذه الظروف بجانب نوع من التوافق مع ظروف الطبيعة وانعكاساتها الاجتماعية ، ومن هنا ينظر إلى انعكاسات الظروف البيئية على أنها تمثل الركيزة الأولى فى ثقافة المجتمع وما تتضمنه من خبرات الماضى وملاحظات الحاضر وتصورات المستقبل .

ولعل الترحال هو أول انعكاسات البيئة ، وذلك لانه يساعد على تحقيق أكبر قدر ممكن من التوافق مع الظروف البيئية فى ظل الاوضاع الاجتماعية والثقافية السائدة فى ذلك الوقت .

كانت القيم الاجتماعية المثالية فى المجتمع تتجه إلى كل ما يرتبط بمظاهر الترحال وبالانتماء القبلى وبالنظام القبلى وبالملكية الجماعية ، وقد تساندت كل هذه الظروف مع الظروف البيئية فى خلق المنازعات القبلية ، والحد من الاستقرار ، وبالتالى تتابع الهجرات ، ونقص الكثافة السكانية فى المنطقة ، ونتيجة للعزلة التى تعيشها منطقة نجد بصفة عامة منذ أن انفصلت عن الخلافة الإسلامية فى وقت مبكر فقد ظلت هذه الصورة من التساند الذى يدور فى حلقة مفرغة إلى أن حدث بعض المتغيرات التى ظهرت مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية وما تبعها من تغيرات سياسية واجتماعية .انتهت بتوحيد " المملكة " واكتشاف النفط وبداية المشروعات التنموية .

وتعتبر هذه الدراسة عن مجتمع " حائل " من الدراسات السيسيولوجية الهامه عن المنطقة والرائده فى هذا المجال وإن كان إختيار العينه لم يوفق فيه الباحث ويبتعد الى حد ما عن الموضوعية حيث أنه أعتمد على السجلات الموجودة فى مركز الرعاية الصحية الأولية ، وهى غير ممثله للمجتمع الأصلى وبعد الأنتهاء من عرض الدراسة السابقة ننتقل الى الصعوبات التى واجهتها الباحثه فى دراستها .

***

صعوبات الدراسة

لقد كان على الباحثة أن تتذرع بالصبر ، وأن تقوى عزيمتها ، حتى تصل إلى إتمام هذه الدراسة العميقة لمجتمع عربى عزيز ، فمنذ غادرت الباحثة مصر إلى المملكة العربية السعودية ، وهى دائبة البحث والسؤال والتمحيص ، والتدقيق ، والتحليل .

ولقد كان الطريق صعبا .... ولكن اليأس لم يتطرق إلى الباحثة برغم ما لاقته من صعوبات فى سبيل إخراج هذه الدراسة فى ثوب علمى قشيب ، وأسلوب تحليلى أمين ، وصورة جلية واضحة ، لهذا المجتمع العربى الأصيل ، الذى عاشت فيه لسنوات أربع هى عمر هذا البحث من الناحية الميدانية ، أما عمره الحقيقى فيزيد عن ذلك كثيرا ، فقد راودتها فكرته قبل أن تصل إلى أرض المملكة ، وعاشت فى وجدانها ، وفكرها طول هذه المدة . وكانت كلما سجلت المعلومة الاجتماعية ، ودونت الحقائق العلمية ، وكلما انتهت من فصل ، كانت المتاعب تتحول إلى راحة وفرحة ، وكانت المشقة تذوب فى حلاوة إشباع فضول الباحثة العلمى .

ولقد كان من أشق الأمور التى واجهت الباحثة هو اختيار عينة البحث لتكون ممثلة لمجتمع نجد ، من القرى والهجر والبادية .

وكان اختيار نموذج من البدو الرحل على مدار السنة ، أى غير المستقرين ، والذين لايعرفون الزراعة ، أو أية وسيلة من وسائل الاستقرار ، وصفة الترحال تجعل من الصعب اختيار نموذج يمثلهم ، وهم فى حالة تنقل دائم فى البر وفى الصحراء ، ولم تستقر هذه النماذج إلا حديثا مع بداية إنشاء المملكة العربية السعودية ، ومن مقابلات بعض المهتمين بدراسة تاريخ نجد ، أشاروا على الباحثة أن تختار هجرة من الهجر ، على أساس أنها المكان الذى استقر به هؤلاء البدو الرحل حديثا . وعرضوا عليها عدة أسماء لهذه الهجر ، وكان عليها أن تزور معظمها قبل أن تختار النموذج المناسب ، والذى يكون صورة حقيقية للهدف المنشود .... وكانت هذه الزيارات شاقة ولكنها جميلة .

واختارت الباحثة هجرة الغطغط ، ولقد كانت الزيارات المتكررة مهمة لتوطيد العلاقات بين الباحثة ، وبين أهلها .

ثم كان اختيار نموذج من البدو شبه الرحل ، وهم الذين يستقرون فى بلدة ما فى فصل الصيف ، وتم اختيار الحائر من بين هذه النماذج ، وكانت هناك صعوبة أخرى ، وهى أنه عند اختيار الحائر ، ومن خلال الدراسة الميدانية ، تبين أن هناك طابعين للحياة الاقتصادية بالحائر، فسكانها حضر ، وبدو شبه رحل ، واستمرت الدراسة على أساس هذا التصور ، وبعد فترة من البحث تبين للباحثة أن البدو لهم أرض زراعية ، وهى ملك لهم ، وأن البناء الاقتصادى للحائركك متكامل ، وليس هناك انفصال اقتصادى بين البدو بالحائر والحضر . وكان لابد من اختيار عينة أخرى من القرى ، وهم البدو الذين استقروا من فترات طويلة . وعرفوا الزراعة . وكان هناك نماذج عديدة إلا أن معظمها تحضر ، وأصبحت قرى متحضرة . وكان إختيار قرية القصب ، وهى مدينة القصب حاليا ، على أن هذه الصعوبة مجرد شكليات يمكن السيطرة عليها، والتغلب على مشاكلها .

أما ما كان يشغل الباحثة فعلا فهو ، أن أبناء هذه المجتمعات يعتقدون أن بعض العادات الاجتماعية والشعبية ، تتعارض مع الدين الاسلامى ، وهم على حق لاشك فى ذلك .

وكان على الباحثة أن تشرح الهدف من بحثها دائما . وكان معظم الإخباريين ، وخصوصا كبار السن يذكرون ما يجب أن يكون طبقا لتعاليم الدين الاسلامى ، لا ما يفعله الناس فعلا ، وكان الجهد كبيرا على الباحثة لتصل إلى الحقيقة .

ومن الصعوبات التى صادفت الباحثة : تحديد موضوعات التراث فى عموميتها وتفاصيلها وقد استرشدت الباحثة بتقسيم الدكتور محمد الجوهرى [١] للتراث ، وبناء عليه كان لديها أربعة اقسام هى – العادات والتقاليد الشعبية ، والمعتقدات والمعارف الشعبية ، والأدب الشعبى وفنون المحاكاة ، والفنون الشعبية والثقافة المادية ، وقد كانت الدراسة العلمية الشيقة للدكتوره علياء شكرى عن التغير الاجتماعى فى الوطن العربى من الدراسات الهامة السابقة التى أطلعت عليها الباحثة قبل بداية الدراسة [٢] .

---

(١) محمد الجوهرى : علم الفولكلور ، دراسة فى الانثروبولوجيا التطبيقية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧ ، ص ٥٢

(٢) علياء شكرى : بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى فى الوطن العربى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٣ .

وهناك صعوبة أقل شأنا من سابقتها وهى المسميات الخاصة بالأشياء فى مجتمعات الدراسة ، وهل تعربها الباحثة وترجعها إلى اللفظ العربى الصحيح ؟ ، أم تتركها كما ينطقونها ولو فيها شئ من التحريف البسيط عن اللغة العربية ؟ ، وفى النهاية استقر بها الرأى أن تحفظ التراث الشعبى كما هو ولذلك وضعت الباحثة هذه المسمسيات كلها بين قوسين عند الكتابة . وإن كان لابد أن نسجل هنا أن لهجة أهل هذه المنطقة بالذات فى اعتقاد الباحثة أنهم أقرب اللهجات بالوطن العربى للغة العربية .

ولابد أن أسجل كذلك أن لكون الباحثة امرأة أعطى لهذا البحث قوة لم يكن يستطيع أن يحصل عليها رجل باحث ، فكون الباحثة امرأة سهل لها مقابلة السيدات ، وهن حملة التراث ، وأن تتبرقع وتقابل الرجال لتحصل على معلومات لإكمال البحث على صورة طبيعية .

ولاشك أن إحياء التراث الشعبى ، ودراسته والمحافظة عليه ، هى هدف أساسى من أهداف المملكة ، ومطلب لمعظم أبنائه خاصة المتعلمين والواعين لأهمية ذلك ، ومن أجل ذلك يقام له مهرجان سنوى فى الجنادرية ، والمعارض والندوات ، ولذلك كانت تجد الباحثة كل عون وكل تسهيل من هذا المنطلق ، علاوة على كونها امرأة أجنبية بالنسبة للمجتمع السعودى مما وضعها موضع الحفاوة والكرم ، حيث إن المجتمع السعودى من شيمه كرم الضيف كصفة أصيلة بالبادية.

وفى النهاية ترجو الباحثة أن تكون قد حققت أهدافها ، كما تتعشم أن تكون هناك دراسات لاحقة فى نفس المجال تكمل ما قد يكون لم يوف فى هذا البحث ، والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

محتويات الدراسة :

لقد قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة أبواب ، "ولقد حاولنا أن يكون الجزء النظرى هو الاقل نصيبا فى هذه الدراسة ، فلابد للدراسات الأنتروبولوجية أن تهتم أساسا بالجزء الميدانى " ....

البـــــاب الأول : وقد خصص للبناء النظرى ويشتمل على ثلاثة فصول .

الفصل الأول : وقد عالج الاجراءات المنهجية للدراسة فتعرض لأهمية الدراسة والغرض منها وكيفية اختيار عيناتها والمنهج والأدوات المستخدمة ،

وبعض الدراسات السابقة المرتبطة بالموضوع وأهم الصعوبات .

الفصل الثانى : فيتناول البناء القبلى والبداوة بوجه عام حيث يتضمن خصائص البداوة والنظام القبلى ومايشتمل عليه من أنماط وأنساق أجتماعية،

الفصل الثالث : ويتناول البناء القبلى والبداوة بمجتمع نجد كمجتمع عربى قبلى عاش فى عزله لفترات طويلة .

الباب الثانى والثالث : فقد عالجا الدراسة الميدانية فخصص الباب الثانى للبناء الاجتماعى بمجتمعات الدراسة ويشتمل على ثلاثة فصول....

الفصل الأول : ويتناول تعريفا لمجتمعات الدراسة - القصب والحائر والغطغط بمنطقة نجد .

الفصل الثانى : فيتناول البناء الاقتصادى بمجتمعات الدراسة والمناشط الاقتصادية التقليدية .

الفصل الثالث : فيتناول البناء السياسى وبناء السلطة والقوة وأثر البيئة فى الحكم القبلى .

أما الباب الثالث : وقد خصص للتراث الشعبى ويحتوى على ثلاثة فصول ..

الفصل الاول : ويتناول الثقافة المادية (البيت - الملابس) .

الفصل الثانى : ويتناول عادات دورة الحياة ، كما يتناول عادات الطعام وآدابه وطريقة الاحتفال بالأعياد والمناسبات .

الفصل الثالث : ويتناول اللهجات والأمثال الشعبية ، الرقصات الشعبية ، الألعاب الشعبية وألعاب الأطفال - كما يتناول المعتقدات الشعبية - " السحر ، الجان " مخاوف الأطفال، القصص الأدبية والأساطير " كما يتناول كذلك الطب الشعبى .

ويأتى فى النهاية فصل ختامى يبين الاتجاهات العامة للتغير ، والتغيرات البنائية ، ومدى الاستمرار والتغير فى التراث الشعبى .

وتأمل الباحثة أن تكون قد حققت بذلك الغرض من الدراسة ، كما تتمنى أن يكون هناك دراسات لاحقة تتمم ما قد يكون عجزت عن تناوله هذه الدراسة .

الفصل الثانى

« البناء القبلى والبداوة »

- البداوة – مقدمه عامة .
- خصائص البداوة العربية عند ابن خلدون .
- النظام القبلى .
- المكانات والأدوار فى المجتمعات البدوية .
- نمط الملكية العقارية البدوية .
- الغزو فى المجتمع البدوى .
- الصيد .
- المآكل .
- القهوة .
- الملابس .
- الدين .
- المسكن
- الزواج – المرأه ومنزلتها .
- التنشئة الاجتماعية لدى البدو .
- الضبط الاجتماعى فى المجتمع البدوى .
- القضاء بالبدو .
- الثأر كظاهرة فى المجتمعات البدوية .
- الحالة الصحية للبدو .
- الناحية التعليمية .
- الترويح بالبادية .

- البداوة :

• مقدمة عامة :

هناك رأى قائل بأن الإنسانية نشأت بين أحضان البداوة ، حيث عدم الاستقرار والتنقل سعيا وراء مصادر العيش .

والبداوة اصطلاح يطلق على طبيعة فئة من السكان يتميزون بخصائص معينة وسلوك خاص ترسمه البيئة المحيطة بهم ولا تسمح بإقامة حياة سكانية مستقرة ، فالبداوة تعنى الترحال، وعدم الاستقرار ، إذ تضطر بعض الجماعات أن تغير مناطق اقامتها من آن لآخر أو من فصل لآخر سعيا وراء العيش أو التجارة كما هو الحال فى كثير من أقاليم السهول والصحارى(١) .

وإذا كانت معظم التعريفات للبداوة تميل الى الربط ، بين ظاهرة البداوة ، والمجتمعات الصحراوية بحيث تكاد تؤكد على نمط واحد من البداوة : وتعنى البداوة الرعوية ، فمما لاشك فيه أن البداوة الرعوية تكاد تمثل أكثر أنماط البداوة سعة وانتشارا ، إلا أن البداوة الرعوية ليست هى نمط البداوة الوحيدة حيث توجد إلى جوارها عدة أنماط أخرى منها بداوة الصيد ، وبداوة الزراعة البدائية ، وبداوة الجمع والالتقاط .... الخ ومن الصعب أن نقرر أنه يوجد نمط بداوة متمايز أى يسود بصفة مطلقة ، وانما قد تتداخل أنماط متعددة وتتواجد معا فى آن واحد (٢) .

فالبداوة إذن ليست وقفا على الصحراء ، صحيح أن الصحراء بطبيعة مواردها الاقتصادية ، تفرض على أهلها حياة البداوة ، ولكنها مع ذلك ليست هى أماكن البداوة الوحيدة ، فما يزال كثيرون من الأفريقيين يعيشون فى حالة بداوة فى غابات السافانا الاستوائية حيث يمارسون الزراعة المتنقلة والصيد وبعضهم يمارس الرعي ، فالصحراء تهئ لحياة البداوة ، ولكن ليس كل حياة بداوة هى حياة صحراء .

وإذا كانت البداوة ليست وقفا على الصحراء ، فإنها ليست كذلك وقفا على العرب ، ذلك أن تصور البداوة يرتبط فى أذهاننا بالعربى وبالجمل ، ومع ذلك فإن البداوة اليوم فى العالم من

---

(١) محمد على قطان : دراسة المجتمع فى البادية والريف والحضر ، دار الجيل للطباعة ، مصر ، ط ١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م ، ص ٧ .

(٢) نفس المرجع : ص ٨ .

غير العرب هى أضعاف العرب ، حتى المنطقة العربية خاصة فى أفريقيا العربية توجد جماعات بادية لاتنسب إلى العروبة انتسابا دمويا ، وإن كانت تنتسب إليها حضاريا ، فهم مسلمون وذلك مثل قبائل البربر فى الصحراء الكبرى والبجا فى شرق السودان (١) .

وتقترن البداوة العربية عادة بالصحراء ، وتتنقل أبنائها فى مناطق متباعدة منها سعيا وراء الكلأ وموارد المياه حفاظا على حياتهم ، وما يتصل بهذا النمط من أنماط الحياة من تكوين عادات وتقاليد مثل الشجاعة والكرم والنخوة والوفاء والمحافظة على حقوق الغير (٢) .

غير أن المناطق البدوية تعتبر حاليا (نتيجة للتقدم الزراعى والصناعى والحضارى وما أصاب هذا التقدم من تغير فى مقاييس التقدم والتحضر) تعتبر هذه المناطق البدوية أميل إلى التخلف ، ويحتاج النهوض بها إلى جهود وطرق ووسائل فنية معينة تراعى فيها الظروف الطبيعية والبيئية التى تحيط بالبدو .

وليس من شك فى أن المدنية الحديثة واتصال العالم العربى بالعالم الخارجى ، قد غيرت كثيرا فى البادية ، بل واتجهت بعض عناصر البادية إلى الاستقرار فى مناطق التوسع الزراعى أو مناطق البترول أو الصناعة ، وأماكن الاستقرار والتوطين .

والبداوة أقدم نمط اجتماعى للحياة عرفة الإنسان ، فهى أول سعى له فى التكيف مع الظروف الطبيعية (٣) .

والبداوة فى مفهومها العام ، هى نمط الحياة القائم على التنقل الدائم للإنسان فى طلب الرزق حول مراكز مؤقتة ، يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة ، وعلى مدى الأمن والاستقرار الاجتماعى والطبيعى الذى يمكن أن يتوافر فيها ، والتنقل لدى البدوى ليس معناه عدم الاستقرار ، وأن البدو الرحل ينبغى أن ينظر إليهم كمستقرين اجتماعيا، فهذا النمط من الحياة يتضمن فى حد ذاته معنى الاستقرار ، إذا كان الاستقرار يعنى تنظيم وسائل الحياة على وفق غاياتها ، فالبدوى لا يفعل غير هذا ، وهو يرحل من مرعى إلى مرعى ، أو يهبط من جبل إلى واد ، وهو ليس جديدا على المكان الجديد ، وإنما ينزله منزل المقيم ، لامنزل الطارق العابر (٤) .

---

(١) محمد على قطان : مرجع سابق ، ص ٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١١ .
(٣) محى الدين صابر ، لويس كامل مليكة : البدو والبداوة ، مفاهيم ومناهج ، مرجع سابق ص ٦ .
(٤) نفس المرجع ، ص ١٠ .

والبداوة نمط من أنماط الحياة الاقتصادية والاجتماعية المتكامل ؛ وهى حضارة بشرية فى مقوماتها المادية والمعنوية ، وليست هى ، بالضرورة ، نمطا بدائيا فى التنظيم الاجتماعى ، وليست مرحلة ضرورية من مراحل التطور الاجتماعى ، ولكنها وضع إجتماعى . فقد تسبق البداوة نمط حياة مستقرة ، وقد تعقبها كذلك ، وذلك لأسباب طبيعية ، قد تكون متصلة بتغير المناخ أو لأسباب اجتماعية ، كالحروب .. الخ .

والبداوة على أى حال ، فى صورها المختلفة ، تقوم على تنقل موارد الرزق فى المكان وفى الزمان ، تنقلا قائما إما على طبيعة المورد نفسه ، أو على عدم القدرة على التحكم فى أساليب إنتاجه وظروفه ، فالبدوى مضطر إلى تتبعه ، فى صورة ماء أو مرعى ، أو أرض ، أو حيوان بريا كان أو بحريا . وهناك بداوة كاملة وبداوة ناقصة ، أى أنصاف بدو " وهم الذين يتفرغون فى مراسم للرعى يتحركون فيها فى هجرات موسمية ، ثم يعودون إلى مستقرهم ليمضوا وقتا آخر . وقد تكون تلك الهجرة عادة غير كاملة ، حيث يقيم الكبار والأطفال والنساء طوال العام ، ونصف البداوة هذه ، هى من خصائص بداوة الصحراء ، التى هى أهم أنواع البداوة والتى تعنينا فى هذا المقام (١) .

خصائص البداوة العربية عند ابن خلدون :

يجمع رأى ابن خلدون عن البداوة العربية بين المتناقضات ، فالبدو عنده شجعان ولكنهم نهاب لأموال غيرهم من الناس ، وهم على خلق قويم ومتين ولكنهم قطاع طرق ، وهم أهل خير ومروءة ولكنهم سفاحون يعشقون الحرب وسفك الدماء ، وهم يكرهون الترف ولكنهم يبغضون الصناعة ، وهم أهل شرف ويرخص لديهم كل عزيز فى سبيل نجدة المرأة وحماية شرفها لكنهم فى ذات الوقت يعيشون من كدها وعلى ما تقوم به من أعمال ، وهم يحقرون كل عمل يدوى ويسبون الزراعة ومحترفى الفلاحة ولكنهم لايتورعون فى ذات الوقت عن نهب خيرات الزراعة والفلاحة .

ولقد أبرز ابن خلدون تناقضا آخر ليس بين مكونات ظاهرة البداوة فحسب ولكن بين البداوة والتحضر ، بحيث وضع كلا منهما على طرفى نقيض ، وضرب ابن خلدون أمثلة كثيرة لهذا التناقض ، فعلى المستوى الفردى : أوضح أنه إذا كان البدوي شجاعا فإن الحضرى جبان يؤثر الدعة ، وإذا كان البدوى طيب الخلق فإن الحضرى قد أفسدته الحضارة وجعلته مخادعا

---

(١) محى الدين صابر : من قضايا التنمية فى المجتمع العربى ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٢٦ .

كذابا ، وإذا كان البدوى يدافع عن نفسه بحد سيفه ويفزع لكل هزه فإن الحضرى قد أوكل أمر الدفاع عن نفسه للدولة أو قد يستأجر من يتولى عنه هذه المهمة [1] ، وإذا كان الحضرى أهل علم وصنعة فالبدوى يكره العلم ويبغض الصنعة ، وإذا كان الحضرى يحترم حقوق غيره ويشجب السلب والنهب فالبدوى يمجد السلب والنهب كمظهر من مظاهر القوة والغلبة والسلطان .

وقد يكون كل ما ذكره ابن خلدون عن خصائص البدو وقيمها غير صالح كمبرر منطقى ومعقول لتفسير ظاهرة البداوة لاسيما البداوة العربية منها فى الوقت الراهن ، ولو أن ذلك لا يمنع من اعتبار ذلك خلفية تاريخية تعين باحثى البداوة العربية ودارسيها على أن يتعرفوا على مختلف صور تلك البداوة قديما .... ولاشك أن تلك المعرفة سوف تعين كثيرا فى تحديد مختلف أبعاد ظاهرة البداوة العربية المعاصرة [2] *.

النظام القبلى :

يسود البداوة نظام قبلى خاص ، ومنذ القدم وهناك نزاع قبلى بين مختلف القبائل ، ومن هنا كثرت العداوات وساد نظام خاص بين مختلف القبائل ، فانحصرت الوحدة فى القبيلة الواحدة ، وأحيانا فى العشيرة الواحدة المحجوزة فى منطقة معينة واحدة لاتتجاوزها إلا مضطرة عند الانتجاع وراء الماء والكلأ إذا فقدا فى منطقتها .

العائلة أساس النظام القبلى :

إن أساس النظام القبلى هو العائلة أو (الحمولة) ، وغاية البدوى الكبرى أن يكون أبا لأبناء كثيرين يستطيع أن يقوى بهم ويعتز اذا كبروا بحيث يصبحون أسرة كبيرة هو ربها ، ثم يتزوجون وتكبر الأسرة فيصبح الجد الأكبر رئيسا للأسرة ، أو شيخا لعشيرة صغيرة تنتمى إليه، وإذا إستطاع بفضل كرمه وغناه وشجاعته فى الحرب أن يكسب محبة أسر أخرى من أقربائه واحترام أفرادها أصبح شيخا لعشيرة أكبر ، ومن هنا فإن النظام القبلى عند البدو هو نظامهم

---

(١) صلاح مصطفى الفوال : البداوة العربية والتنمية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٧ ، ص ٤٢ .

(٢) صلاح مصطفى الفوال : دراسة علم الاجتماع البدوى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

* لمزيد عن البداوة العربية وعن أسبابها ، والسلطة فى البادية والضبط الاجتماعى يمكن الرجوع إلى :
- صلاح الفوال : البناء الاجتماعى للمجتمعات البدوية ، مكتبة غريب ، ١٩٨٣ .
- صلاح الفوال : علم الاجتماع البدوى ، سلسلة علم الاجتماع والتنمية ، ط ١ ، ١٩٧٤ .
- محمد عبده محجوب : انثروبولوجيا المجتمعات البدوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٦.

السياسى ، فهم قبائل ، والقبيلة تنقسم إلى عشائر ، والعشيرة إلى بطون ، والبطن إلى افخاذ والفخذ إلى أسر حتى نصل إلى العائلة الواحدة ورئيسها (١) .

إذن تتركز جميع روابط البدو الاجتماعية فى الأسرة وما يتفرع عنها من بيوت وشيجة القربى ، والقبيلة تؤلف فى العادة من عدة حمائل * قد تحالفت مع بعضها .

والبدوى مخلص لعشيرته ولكنه يدافع عنها باختياره ورضاه . وهو يحترم شيخ العشيرة أو القبيلة ، ولكنه لا يتحمل الاستبداد منه (٢) .

التجمع القبلى وأسبابه :

تتجمع الجماعات البدوية فى تجمع قبلى ، نظرا للظروف الطبيعية غير المستقرة وغير المأمونة ، ويرى " ابن خلدون " أن التجمع القبلى فى أماكن معينة ، إنما هو أمر فرضته الحاجة إلى الاستمرار فى الحياة وأن اجتماعهم هذا لم يكن إلا من أجل التعاون لتحصيل القوت والضروريات من أجل البقاء ، كما أن اعتمادهم على الحيوانات ومنتجاتها هو الذى حدا بهم إلى سكنى البرارى والقفار ، حيث يقيمون فى بيوت الشعر يسهل عليهم نقلها عندما يحل الجدب فى مكان فيرحلون إلى مكان آخر . كما أن الحياة فى ظروف طبيعية قاسية قد وحدت بينهم ودعت إلى نشأة علاقات وصلات قوية فيما بينهم تتمثل فى دفع الخطر الذى قد يتعرضن له وصد المعتدى . أو القيام بغارات على مناطق أخرى لتوفير سبل العيش .

والقبيلة عبارة عن تجمع عدد من الناس ينتمون إلى أصل مشترك ويشتركون فى ملكية منطقة معينة من الأرض ، وتقوم بينهم صلات قرابة ويتكلمون لغة واحدة .

كما يرى آخرون أن القبيلة عبارة عن وحدة اجتماعية تجمع عدة معاشر أو مجتمعات محلية ولا يشترط فى هذه العشائر أن تكون ذات علاقة نسب واحد . بل قد تندمج عائلة أو عشيرة فى قبيلة أخرى نتيجة لهزيمة على يد قبيلة أخرى أقوى منها فيتعرض أفرادها للسبى وينفرط عقدها ، أو قد تفتقر إلى وسائل القوة المادية مما يؤدى إلى إعاقة استقلالها القبلى كأن تجدب مراعيها وتتناقص مواشيها فتتشتت عشائرها وتنضوى تحت ولاية قبيلة أخرى تمتاز

---

(١) جبرائيل سليمان جبور : البدو والبادية ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٨ ، ص ٢٣٠ .

* الحمائل جمع حمولة وتطلق على الأهل .

(٢) مكى الجميل : البداوة والبدو فى البلاد العربية ، مركز تنمية المجتمع ، سرس الليان ، ١٩٦٢ ، ص ٥٣ .

بالقوة والغنى فتصبح تحت حمايتها وقد تنقل زعامة القبيلة من عائلة إلى أخرى ويصحب ذلك تغيير فى اسم القبيلة ذاتها (١) .

ويرجع البعض أسباب التجمع القبلى فى المكان المحدد واللغة الواحدة والحضارة المشتركة . فإذا فقد واحد من هذه المكونات فقدت القبيلة شرطا أساسيا من شروط وجودها - وينتج من احتلال كل أعضاء القبيلة لمكان واحد ، واشتراكهم جميعا فى لغة واحدة . وخضوعهم لنمط حضارى موحد أو أنماط حضارية مشتركة أن يسود بينهم الشعور بالانتماء إلى المجتمع الواحد ، والتماسك الاجتماعى والتعاون .

ويؤكد ابن خلدون على الناحية القرابية للقبيلة حيث يؤكد على العصبية الواحدة والنسب الواحد وما يؤدى ذلك إلى الاخلاص فى سبيل الدفاع عن القبيلة ومصالحها وصد العدوان الذى يقع عليها ، وأن اختلاط الأنساب كدخول الموالى والأرقاء ، فقد لايهتمون كثيرا بمصالح القبيلة، وأن النسب المتصل هو الأساس فى الوحدة والالتحام بين أفراد القبيلة الواحدة ، حيث يشعر كل فرد أن أى اعتداء على أى فرد من القبيلة هو اعتداء على القبيلة كلها ، ويبين ابن خلدون أن النسب " الصريح " يأتى من عدم الاختلاط والعزلة والبعد عن القبائل الأخرى ، ويخص بذلك رعاة الإبل الضاربين فى الصحراء .

عصبية النسب - الولاء البدوى :

لقد أوجب النظام القبلى الخاص أن يرتبط أفراد القبيلة بعضهم ببعض برباط النسب ، والعصبية الشديدة للقبيلة ، وهى عصبية فرضتها الحياة فى البادية وأصبحت عندهم أساس المجتمع القبلى .

وترتبط هذه العصبية أو هذا الولاء أشد الارتباط بصالح القبيلة ومنفعتها ، وقد أصبح لها مدلول خلقى واجتماعى وسياسى وفلسفى ، بحيث تركزت الحياة فى البادية فى جميع مناحيها على أسس قبلية ، وتقيدت أكثر نظمهم الأخلاقية والأدبية والسياسية والاجتماعية بنظم هذه العصبية وما تفرضه على الفرد والجماعة ، وذابت المصلحة الفردية أمام مصلحة القبيلة ، وترك للقبيلة مسئولية الفرد أى تحقق للفرد مصلحته وحقه ، فإذا جنى أحدهم مثلا على غريب وضع

---

(١) سعيد فالح الغامدى : البناء القبلى والتحضر ، دار الشروق ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م ، ص . ص ٧ - ١٥ .

عشيرته أو قبيلته فى موضع الجانى ، واضطرت القبيلة فى مثل هذه الحالة الى أن تتحمل المسئولية فتدافع عنه أو تساعده فى دفع الدية أو الغرامة ، واذا جنى أحد على فرد من القبيلة اعتبر كأن القبيلة كلها جنى عليها ، وحق لها أن تهب لحفظ مكانتها والقصاص من المعتدين .

وإذا كانت الجناية ضمن القبيلة ، كانت العشيرة التى جنى على أحد أفرادها أو البطن أو الفخذ أو حتى العائلة هى التى تقوم بالدور نفسه بالنسبة لأفرادها ، وحماية مصلحتهم ومصلحتها ، وهكذا فإن هذه العصبية تتناول أولا الولاء للعائلة ، ثم الفخذ أو البطن ثم العشيرة ، ثم القبيلة إلى حلف قبائل (1) .

وقد يحتمى بعض أفراد القبائل بقبيلة ويستجير بها ، فيصبح ولاؤه لها . وقد يستجير بفرد من أفرادها ويحميه فيدين له ولأهله بالولاء دون قبيلته .

المكانات والأدوار فى المجتمعات البدوية :

يمكن تحديد نوعية المكانة وما يستتبعها من أدوار فى المجتمعات البدوية على النحو الآتى:

- المكانات والأدوار المرتكزة على السن :

يمكن أن يمر الفرد خلال حياته بعده مكانات وأن يمارس ما يستتبع كل منها من أدوار خاصة ، فمكانته وهو طفل ودوره تختلف عن مكانته وأدواره وهو شاب ضمن طبقة المحاربين مثلا أو وهو رجل ناضج أو شيخ وقور ومهيب ومؤثر . وكثير من المجتمعات البدوية تعطى اهتماما خاصا للسن وتعتبره أساسا للتمايز فيما بينها .

- المكانات والأدوار المرتكزة على الجنس :

وترتبط هذه المكانات وما يستتبعها من أدوار بالاختلاف البيولوجى بين كل من الذكر والأنثى ، ولدى غالبية المجتمعات البدوية يتمتع الرجل بمكانات السيادة والسلطة وما يستتبعها من الأدوار الإشرافية ، بينما تختص المرأة بمكانات أقل وبالتالى بأدوار أقل أهمية من وجهة نظر المجتمع .

---

(1) جبرائيل سليمان جبور : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣٢ .

المشيخة عند البدو :

لكل قبيلة من قبائل البدو أسرة تتوارث مشيخة القبيلة ، وليست هذه المشيخة للأكبر سنا ، وإنما لأكبرهم همة ، ولابد للشيخ ان يمتاز بصفتين ، الشجاعة والكرم ، وإستخدامه للأسلحة فى الحرب إستخداما جيدا (١) .

وبما أن المشيخة وراثية فى الغالب ، فمن المألوف أن يهيئ الشيخ الأمر ويعد من سيخلفه من أهله ويكون غالبا من أبنائه ، وإذا كانوا صغارا فمن إخوته ، وقد دعا اختلاف الورثة أحيانا إلى الخصام والنزاع على المشيخة وانشقاق القبيلة ، وفى الغالب تميل القبيلة مع الأقوى لاسيما إذا كان يتحلى بصفات كريمة .

ولذلك فإن المتوقع من الشيخ أن يكون كريما حين يقصد أو يحل فى رحابه أحد ، وفارسا حين يغزو أو يدافع ، وسريع النخوة حين يستنجد وتطلب حمايته ، وإذا ظهرت بوادر هذه الصفات فيشجع على المشيخة ، ولكن ليس من المحتم أن تكون المشيخة وراثية برغم أنها فى الغالب تكون كذلك . والشيخ هو الحاكم الشرعى لقبيلته حتى تتخلى عنه قبيلته ، أما الآن فقد الغيت أكثر صلاحياته وصارت بيد الدولة عند أغلب القبائل البدوية (٢) .

رب البيت فى البادية :

رب البيت هو صاحب الكلمه الأولى والأخيرة ، وهو الآمر الناهى ، وعلى الجميع اطاعته، وهو الذى يغزو ويكتسب لأهله ، وكانت مكانته تزداد بالنسبة إلى قوته وشجاعته وكرمه ونسبه . وهذا لايعنى استبداده ، أو أنه لا يأخذ رأى أهله ، فإذا كانت الزوجة ذات رأى استشارها أحيانا، واذا كبر أولاده وأصبحوا رجالا فإنهم قد يشاركونه فى كثير من القرارات التى يتخذها، ولكن العرف العام أن الكلمة الأخيرة هى لكبير العائلة .

منازل القبيلة :

لكل قبيلة من القبائل الكبرى فى المجتمع البدوى منازل تعرف لها فلا تتعداها واذا فعلت فقد تعرضت للقتال . وهذه المنازل قد اكتسبتها بحكم القوة وتحتفظ بها بحكم القوة ، ومتى

---

(١) عبد الجبار الراوى : البادية ، مطبعة العانى ، بغداد ، ط ٢ ، ١٣٦٨ ﻫ / ١٩٤٩ م ، ص ٢٢٧ .

(٢) جبرائيل سليمان جبور : مرجع سبق ذكره ، ص . ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

ضعفت شاركتها فيها قبيلة أقوى منها .

- نمط الملكية العقارية البدوية :

النظام البدوى نظام متكامل ، فالتنظيم السياسى يقوم على الأساس القبلى ، هناك رئيس القبيلة ، ورؤساء العشائر ، وهناك توزيع العمل بين الجنسين " والمرأة البدوية نشاط اجتماعى كبير" ، وهناك الضوابط الاجتماعية الدقيقه والتصور الاقتصادى والقيم التى تترتب على أساسها الحقوق والواجبات ، وأن كثيرا من القيم البدوية ، مايزال حيا فى الحياة العربية المعاصرة ، ويتحكم فى صورة السلوك العام للعربى .. وهذه القيم إلى حد كبير ، هى التى تحدد الشخصية العربية ، والهوية الثقافية للأمة العربية ، وذلك لعوامل كثيرة مختلفة الطبائع . ولعلى أشير هنا إلى جانب واحد منها ، لاتصاله التنظيمى المباشر بالاستغلال الاقتصادى للموارد الطبيعية ، ذلك هو الجانب القانونى فى تصور الملكية العقارية ، ووسائل الإنتاج الاقتصادى البدوى بصفة عامة هى ملكية جماعية ، كالمراعى والمياه ، وفى داخل القبيلة قد تكون هناك مراع ومياه خاصة للبطون والعشائر فى نطاق القبيلة ، وللأحياء في نطاق البطون والعشائر وهكذا ، ولكن ليس لفرد من الأفراد .

وإذا ارتكب أحد أفراد القبيلة جرما ، فإن الدية تقسم ، وفق نظام دقيق ، على أفراد أهله .

وفى مجتمع بدوى آخر غير مجتمع الرعاة ، هو مجتمع الزراع المتنقلين ، نجد أن الرجل يزرع الأرض بعد أن يستصلحها ، ويقيم فيها فترة من الزمن تطول أو تقصر ، فاذا قلت خصوبتها إنتقل إلى قطعة أخرى ، إن التنقل هو المورد الاقتصادى أساسا ، وتنقل البدوى تابع لتنقل المورد . وهكذا فإذا رجحت أن البدوى مستقر ، فإن استقراره على نحو خاص يتفق مع تصوره هو للملكية ، ذلك أن بيت البدوى ليس هو الخيمة التى يعيش تحتها ، ولا الحى الذى ينزل به ، وإنما هو كل المكان الذى يتحرك فيه . فإذا كانت بيوتنا هى بيوتا محدده بالأمتار المربعة فإن بيته يمتد لمئات الكليومترات المربعة . ومن هنا ، فإنهم يطلقون على هذا المجال الذى يجولون فيه موسميا ، بالدار ، فيقولون دار قبيلة فلان وفلان .

فالملكية الجماعية البدوية تمثل الوحدة الزمنية المتصلة من ناحية أخرى ، بحيث تصبح وحدة عضوية تمثل كيان القبيلة ، فهى مرتبطة بنظام القرابة ، والعدوان عليها ، هو انتقاص من وحدة الجماعة ، وانتزاع لأجزائها ، فانتزاع الأرض يساوى انتزاع الإنسان ، ولعل هذا ما

يجعل الاعتداء على العقار البدوى ، مصدر الحروب والمقاومة الشديدة ....[1] .

- الغزو فى المجتمع البدوى :

الغزو سلوك محمود بالبادية ويعتقدون أنه حلال ، ولكن يرجع ذلك لقلة علمهم بأمور الدين . جعل قويهم ينهب ضعيفهم ، مع ما يحدث من إزهاق للأرواح أثناء الغزو ، واعتبار ذلك من أمور الشجاعة والبطولة ، ونتيجة لذلك أن يصبح غنيهم الذى يمتلك ثروة من المال والمواشى ، معدما فى ليلة ، أو من لايملك " جديا " واحدا ، صاحب ثروة فى حملة واحدة [2] .

وهم عند خروجهم ينقادون لواحد منهم ولا يخرجون قط عن دائرة أوامره وتعليماته ، وعند الاقتراب من مقر القبيلة التى ينوون الغارة عليها ، يختبئون فى مكان ما ، ويبعثون بشخصين للتجسس والاستطلاع ، وتبليغ قائدهم بمكان السلاح والماشية ، ثم يهجمون ، ويربطون الرعاة فى جذور الأشجار حتى لا ينتقل خبر الغارة إلى القبيلة قبل مغادرتهم ، ويدرك أصحاب المواشى أن مواشيهم قد سرقت ، عندما يحل المساء دون عودتها إلى مقرها ، ومن عاداتهم أن يبقوا جيادهم وإبلهم فى حالة استعداد أمام الخيام تحسبا لمثل هذه المواقف ، وبعد ذلك يتعقبون المغيرين ، وتستمر المطاردة محاولين استرداد حيواناتهم حربا وقتالا ، وقد يستردون ما أخذ منهم وقد يسلبون حيوانات ذلك العدو الذى بادأهم بالعدوان وقد لا يستطيعون ، ومهما كانت التضحيات - سواء فى الدفاع أو الهجوم - من كلا الطرفين ، فإنهم لايأسفون عليها بل يعدونها من مفاخرهم ومآثرهم [3] .

والغزو زاد البدوى الروحى ، لاستجلاء مظاهر الرجولة والهيبة ومنعة الجانب ، والغزو محمدة عند البدوى وتمجيد لاذم فيه ولانقيصة منه كالذى فى الخطف أو الابتزاز أو السرقة ، فأحيانا يبذل البدوى من ماله ومن شباب قومه أضعاف ما يربح من الغنائم التى يفرقها قبل وصوله إلى أهله ، بما يتمجد به شباب القوم ، وتتغنى به شعراؤهم ، ويذكر أن عادة الغزو قد استمرت فى عشائر البادية حتى عام ١٩٢٩ م تقريبا ، حيث صدر قانون منع الغزو ، وعقدت الاتفاقيات بمنع الغزو بين عشائر العراق ونجد مثلا .

---

(١) صلاح مصطفى الفوال : علم الاجتماع البدوى ، مرجع سابق ص .ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) أيوب صبرى باشا : مرآة جزيرة العرب ، ترجمة وتعليق د/ احمد فؤاد متولى ، د/ الصفصافى احمد المرسى ، دار الرياض للنشر والتوزيع ، جزء ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٣٧٣ .

(٣) أيوب صبرى باشا : المرجع السابق ، ص ٣٧٤ .

ومن عاداتهم أن الشيخ يعلن لجماعته قبل الغزو الاستعداد للغزو دون أن يعلمهم الجهة المراد غزوها أو العشيرة وحينئذ يستعدون للغزو [١] .

إذن الغزو والقتال كان من السمات الاساسية للبدو عامة والبداوة العربية بصفة خاصة ، ورغم أن الغزو يمكن أن يعد نوعا من اللصوصية - كما يذكر بعض الكتاب - إلا أن الظروف الاجتماعية والاقتصادية فى المجتمعات الصحراوية قد رفعته إلى مستوى النظام القومى ، وأصبحت الغارات واحدة من المهن القليلة الخاصة بالرجال ، وكان الصراع بالبادية يدور حول التنافس الشديد على الماشية والماء والمراعى ، مما أدى إلى تقسيم الصحراء إلى قبائل متحاربة * [٢] .

وترجع أسباب الحروب والغزو بالبادية العربية إلى الطبيعة القاسية التى كثيرا ما كان ينضب معينها فتهدد البدو بالمجاعات وتدفعهم غريزة حب البقاء إلى نهب غيرهم حتى ولو كانوا جيرانهم ، كما كانت تدفعهم أيضا إلى سلب القوافل التجارية المارة بدروبهم أيا كان نوعها ومهما كان أصحابها لايصدهم عن ذلك وازع من خلق أو دين . كما أن اعتقاد البدوى أن ما يملكه هو مايستطيع انتزاعه من الغير ، وبذلك اعتبر الغزو قيمة من قيم البداوة التى يفتخر بها البدوى ، ولذلك نجد أن ابن خلدون " اعتبر العدوان أحد سجايا البدو وإرضاء لنزواتهم الحربية وإشباع لغريزة حب التملك عند البدو ، فبين ابن خلدون فى مقدمته (أن رزقهم فى ظلال رماحهم) ، وكانت هناك دوافع للحرب مثل الدافع السياسى ، وذلك للسيطرة على طرق القوافل التجارية ، كما كانت أيضا للثأر ولاستظهار الشجاعة .

ولقد عرفت البداوة العربية القديمة التخطيط للمعارك القبلية ، واستطلاع قوة العدو ومقارنتها بالامكانيات المتاحة ، ثم استشارة كبير القوم للانتفاع بخبرته وحكمته .

أما الأسلحة عند البدو ، فكان السيف وهو سيد الأسلحة عند البدو والعرب ، كما عرفوا الرمح والقوس لأغراض الحرب والصيد .

---

(١) عبد الجبار الراوى : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٤٢ .

* يذكر ان الحروب والغارات بالبادية العربية قد صارا شيئا من طبيعة البدو لدرجة أن الواحد منهم قد يغير على أخيه ان لم يجد غيره حيث قال ابوتمام :

نفير من الضباب على حلول	وضبه أنه من حان حانا
واحيانا على بكر اخينـــا	اذا لم نجد الا أخانـــا

(٢) صلاح مصطفى الفوال : علم الاجتماع البدوى ، مرجع سبق ذكره ، ص . ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

الأسلاب والغنائم :

هناك قاعدة عامة لتوزيع الأسلاب بعد الحرب وهى بالتساوى بين المحاربين أما قائد الغزو فله نصيب مميز قد يصل فى كثير من الأحيان إلى ربع أو خمس الغنيمة [١] .

الصيـــــــد :

إن للبدو وسائل عديدة للصيد ، أهمها البندقية ، وطير الحر ، والكلاب السلوقية ، وأما الصيد فهو الغزال والأرنب والطيور - الحبارى والقطا والحمام .... الخ [٢] .

المأكـــــل :

طعام البدوى التمر واللبن أساسا وأحيانا الفقع ان وجد ، وأكل البدوى بسيط - ويقلل من الأكل ويقول البدوى (البطنة تذهب الفطنة) ويعيبون الأكول الشره ، وهى عادة عربية قديمة ، ويعتقدون أن هذه العادة تبعث الصحة فى البدن ، وتطيل العمر [٣] .

والبدو يبكرون عادة فى تناول الغذاء ويرون ذلك أقرب إلى راحة البدن ، ويؤخرون العشاء حتى لايفوتهم ضيف واحد . وهم يكرمون الضيف ويقابل بالبشاشة والترحيب ، وأول ما يبدأون به إيقاد النار ، وإحضار القهوة ، وهم لايكتفون بتأخير وقت العشاء لتلقى آخر ضيف طارق ، وإنما يضرمون النار ليراها السائرون من مسافات بعيدة فيهتدوا إلى دار الضيافة التى يستعد صاحبها لاستقبال ضيوفه المجهولين وذلك مهما يكون فقرهم [٤] .

والبدوى قادر على تحمل الجوع والعطش فقله من أهل البدو هى التى تعد من أهل الغنى واليسار ، والكثير منهم فقراء ، وهم قادرون على الصبر على الجوع والعطش [٥] .

---

(١) صلاح الفوال : علم الاجتماع البدوى ، مرجع سابق ، ص . ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .
(٢) عبد الجبار الراوى : البادية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٦ .
(٣) عبد الجبار الراوى : مرجع سابق ، ص ٢٥٣ .
(٤) عبد الجبار الرواى : مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .
(٥) ايوب صبرى باشا : مرجع سابق ، ص ٣٦٩ .

وللبدو قدرة وصبر على قطع المسافات الطويلة ساعة هبوب رياح السموم القاتلة وهم جوعى وعطشى ركوبا أو مرتجلين ، ويؤدى ذلك إلى بعض الأمراض والعلل ، ولكنهم فى مجموعهم أصحاء البنية ورشيقو المظهر ويعيشون سنوات طويلة [١] .

القهـــــوة :

هى المادة الوحيدة التى بها يكرم البدو ضيفهم أول قدومه وقبل الطعام وبعده ، وعليها يسهرون ويتسامرون ، ولهم فى جودة صنعها وتقديمها وشربها أشعار وأمثال [٢] .

الملابـــــس :

يرتدى البدوى الملابس العربية الفضفاضة ، وهى تتألف من قميص طويل وعريض وسروال وعباءة ، ويضع على رأسه كوفية وعقالا ، وفى الشتاء لاتفارقه الفروة [٣] .

الديـــــن :

البدوى متدين ولايكذب ولايحلف بغير اسم الله ، وأعظم قسم يحلف به البدوى قوله بعد أن يتناول عودا صغيرا من الأرض (وحق هذا العود والرب المعبود) وهو لايعترف بغير الله بقدرة فى هذا الكون ، وهو لايندب ميتا فهو يعتقد أن الأنسان أمانة الله أعطاها ثم استردها [٤] .

المسكـــن :

يتسع بيت البدوى لأهله وضيوفه وصغار الغنم والإبل والخيل فى البرد القارس ، خوفا عليها من البرد ، وبعض بيوت الشعر صغير مرفوع بعمودين فقط ، وبعضها مرفوع بثلاثة أعمدة وأربعة وخمسة وستة وسبعة ، وقد تزداد ، البيوت التى ترفع على أقل من ثلاثة أعمدة تسمى (مكرونا) والثلاثة تسمى (مثولثا) وهكذا (مرويع) و (مخموس) و (مسدوس) [٥] .

---

(١) أيوب صبرى باشا : مرجع سابق ، ص ٣٧٠ .
(٢) عبد الجبار الراوى : مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .
(٣) عبد الجبار الراوى : البادية ، مرجع سابق ، ص ٢٣٢ .
(٤) نفس المرجع ، ص ٢٣٤ .
(٥) نفس المرجع ، ص ٢٣٤ .

- الزواج - المرأة ومنزلتها :

أهم مقاصد البدو من الزواج التناسل والتوالد ، وهم يعتنون عناية شدية بانتقاء زوجاتهم من ذوات النسب الشريف البعيد عن كل شائبة . ويفتشون عن سيرة أم الفتاة المخطوبة ، ويتخيرون أخوالا لأولادهم من ذوى السيرة الحسنة (١) .

طريقة الزواج :

لايتحرى الرجل أو الشاب الراغب فى الزواج عن جمال الفتاة أو مالها بقدر ما يتحرى عن قوة وسطوة القبيلة التى ينتسب إليها ، وعن كثرة عددها وعن عصبيتها ، وعن الأقرباء التى ينتمى إليها والد الفتاة .

بعد أن يحوز الطالب الذى توفرت فيه الشروط على موافقة والد الفتاة وأقربائها ، عليه أن يرسل إليها وإلى أهلها الهدايا التى تتلاءم ومكانة قبيلته وقبيلة الفتاة ، فضلا عن المهر الذى يقدم أيضا وفقا لظروف الطرفين .

والمهر عبارة عن إما كليم أو سجادة أو سوار ذهب أو لبس ، أو إبل أو خراف ، ويمكن أن تكون أساور فضية حسب حالة العريس (المعرس) وإذا كان والد العروس (المعرسة) غنيا عليه أن يرسل معها عند الذهاب إلى بيت الزوجية عدد من الإبل والأغنام ، وكذلك الجوارى ، وعلى الطالب أن يذهب إلى والد الفتاة أو أخيها ويخاطبة (إنى أطلب يد كريمتك) أو (أختك) وهم يردون (ونحن زوجناك) ، ولابد أن تعلن هذه الموافقة على الملأ ، أو يمسك والد الفتاة أو أخوها عصا فى يده ويقدم الطرف الآخر إلى الزوج قائلا (لقد زوجتك فلانة) ثم تكسر العصا من وسطها وتلقى على الأرض (٢) .

- التنشئة الاجتماعية لدى البدو :

تترك القبائل العربية أطفالها الذكور يلعبون حتى سن الثالثة أما فى الرابعة فيكلفون برعى الماعز والحملان الصغيرة فى مكان قريب ، وفى الخامسة يجرون ويلعبون خلف الإبل وإذا ما بلغوا سن السادسة يتعلمون كيف يركبونها وحدهم . وهم يكتسبون مهارة فى ركوب الخيل

---

(١) عبد الجبار الراوى : مرجع سابق ، ص ٢٦١ .

(٢) أيوب باشا صبرى : مرجع سابق ، ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

واعتلاء سنام الجمال لدرجة تمكنهم من اللحاق بها مهما كانت سرعتها ، وتجعلهم قادرين على ترويضها . وخلال تلك السنوات يعلمونهم إطلاق النيران . واستخدام " الجنبية " أى الخناجر الصغيرة ويصطحبونهم خلال المعارك والحروب ويتركونهم تحت أشعة الشمس أو البرد القارس ويعودونهم ركوب الخيل ومصاعب الحرب ، والأبناء تبدى استعدادا طيبا وجادا لحضور مثل هذه المعارك ، ويتسابقون إلى ذلك .

أما البنات فما أن تصل البنت الثانية من عمرها حتى يحزمونها بحزام من جلد الماعز أو الأغنام حتى يستر عوراتها . وعند بلوغها العاشرة تشتغل مع الأولاد بالرعي ثم تتعلم كيف تحلب وكيف تصنع منتجات الألبان . ثم يبدأ فى إجراءات الزواج ، بالبحث أولا عن زوج من بين أبناء اخوة الاب (فى الغالب) البالغين سن الزواج ، وإذا رغب عقدوا الزواج فورا (١) .

- الضبط الاجتماعى فى المجتمع البدوى :

لعل نسق الضبط الاجتماعى فى هذه المجتمعات البدائية البدوية والذى يقوم على أساس من الانقسامية segmentary system ، حيث إن من المعروف أن المجتمع الانقسامى مجتمع يفتقر إلى وجود سلطة مركزية تستطيع أن تصدر من القوانين التى تقسر أعضاء هذا المجتمع على الخضوع لها ، ويقوم نسق الضبط الاجتماعى فى تلك المجتمعات على حق الجماعة فى الاعتماد على قوتها الذاتية فى المحافظة على حقوقها التى يحددها العرف . ويبرز تمايز الجماعات السياسية الانقسامية من خلال وحدة الانتماء القرابى أو الوطن الذى تقع فيه عناصر الثروة الطبيعية التى تعيش عليها تلك الجماعات ، ولكن تلك الجماعات التى تنتمى إلى أصول قرابية وإقليمية مشتركة تنضم إلى بعضها البعض لتتماسك وتتعاضد ضد أى عدوان تتعرض له، وتكون المسافة القرابية أو الاقليمية التى تفصل بين أطراف النزاع محددة لمدى الجماعات التى تنضم وتتماسك فى مواقف الصراع ، فجماعة الإخوة تتماسك مكونة وحدة متمايزة فى نزاعها مع أبناء عمومتها ، بينما ينضم الأخوة وأولاد العم - إذا تعرضوا لعدوان جماعة قرابية أخرى كما يتمثل الانشقاق فى ضرورة وقوف أبناء العمومة موقف الحياد فى حالة تنازع الإخوة(٢) .

---

(١) أيوب صبرى باشا : مرجع سبق ذكره ، ص ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٢) ولمزيد من المعلومات عن النسق الانقسامى يرجع إلى :

- محمد عبده محجوب : مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج وتطبيق) ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٤ م .=

ويعتبر المجتمع الانقسامى بوجه عام وحدة مجتمعية social unit تتميز بالنسبية التى تجعل من مدى العلاقات وأنماط السلوك الواجبة والمتوقعة ، أمرا تحدده المواقف المتنوعة والقيم. التى تفرض مثلا على الوحدات التمايزة ، والتى تتمتع بنفس الخصائص والإمكانيات ، أن تلتحم لتكون وحدة كبرى تتعدى حدود ذلك التمايز ، كما قد تفرض تلك القيم على تلك الوحدة القبلية السياسية الكبرى أن تنقسم إلى عدد من الوحدات الثأرية المتمايزة . كذلك فإن المجتمع الانقسامى يتمتع بوجود نظام سياسى يضفى أو يمسك الوحدة القرابية أو الاقتصادية أو الثأرية المتمايزة والتى قد تتغير مراكزها فى البناء الانقسامى ، حيث قد يرقى البعض منها إلى مراتب الزعامة بعد أن كان خاضعا للسيطرة أو قد ينشق البعض منها عن الوحدات الأصلية ليكون جماعات ثأرية جديدة ، ولكن القيم الانقسامية والعلاقات التى تتمتع بالاستقرار تنتمى دائما إلى نوع من التساند والاتساق فى ذلك النسق الانقسامى [1] .

- القضاء بالبدو :

ليس للبدوى قانون مكتوب يسير بموجبه أو يرجع إليه ، ولا هو يعترف بهذه الشرائع المكتوبة ، إلا إذا كانت تتفق مع شريعته غير المكتوبة ، وهى شريعة العرف والعادة ، التى جرى عليها منذ ألف البداوة ، ويتقيد بما تفرضه عليه من نظم أقرتها حياة البادية وعادات أهلها وأخلاقهم ، فهو لا يحيد عن العرف وإذا حاد رده القضاء البدوى إلى عرفهم ، وإلا فإن قبيلته مضطرة إلى أن تتحمل عنه ما يفرضه عليه العرف المألوف .

والقضاة بالبادية فى الغالب نزهاء ، وإذا اخطأوا رجعوا عن خطئهم إذا أرشدوا إلى الطريق الصحيح ، ويمكن الاعتراض والاستئناف ، والمجالس القضائية على مستوى عال من الاحترام لكل من القضاه ورأى كل من المتقاضين .

والمهم فى القضاء أن يأتى المدعي بالبينة أو الشهود ، وإذا لم يكن هناك بينه أو شهود

= - محمد عبده محجوب : الضبط الاجتماعى فى المجتمعات القبلية - دراسة فى الأنثروبولوجيا السياسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٣ .

- أحمد أبوزيد : البناء الاجتماعى ، الجزء الثانى ، الانساق ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٦٧ .

-Smith, M.G.; " Segmentary Lineage System" , J.R.A.I.,Vol.86,part II .

(١) محمد عبده محجوب : مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ، مرجع سابق ، ص ٢٤٢ .

وكان المتهم لايزال مصرا على الإنكار كلفه القاضى بحلف اليمين ، وكان يعمد القاضى أحيانا فى بعض الأمور الهامة إلى " البشعة " ، وذلك أن المتهم يستدعى فإذا أنكر عرض عليه أن "يبشع " ، "و البشعة " هى أن يؤتى بالمدعى والمدعى عليه الى خيمة القاضى ، فيعمد إلى النار ويدس بها آلة من حديد كالمحماص التى تقلب بها القهوة عند تحميصها ، وهى عبارة عن يد حديد فى نهايتها جزء مستدير رقيق غير مجوف ، وتظل فى النار حتى تحمى ، وبعد ذلك يشير إلى المتهم أن يفتح فمه ويمد لسانه لكى يلمسه بها (يبشعه) فاذا لم تؤثر على لسانه كان بريئا، وإلا فهو مجرم ، والقاضى هنا يستخدم الفراسة أو الناحية النفسية للمتهم ، ويبنى حكمه على ما يستنتجه من تصرفات المتهم وسلوكه ، فإذا كان المتهم بريئا فإنه لايشعر بالخوف ولايجف فمه ، فلا تؤثر اللسعة السريعة بلسانه والعكس صحيح وفى هذه الحالة يظهر على وجه الرجل الخوف أو الاضطراب ويجف لسانه وتؤثر عليه الحديدة ، ويحكم عليه ، " والبشعة " لاتستخدم إلا فى حالات نادرة ، وقد تم منعها (1) .

الثأر كظاهرة فى المجتمعات البدوية :

إن الثأر يعتبر أحد صور الجزاء على القتل ، كما أن هناك القصاص ، " وهو أن تقوم القبائل التى تخضع لسلطة مركزية قوية ، فتقوم هذه السلطة بمنع الثأر ويكون هناك هيئة قضائية تتخذ ما تراه مناسبا طبقا لظروف الجريمة ، وغالبا ما يكون الإعدام هو القصاص من القاتل " ، كما أن هناك التعويض لتمكين أهل القتيل من مواجهة الخسارة التى ألمت بهم نتيجة فقدهم واحدا منهم .

وقد عرفت التقاليد البدوية العربية أن للقتيل وليا أو صاحب دم يطالب به ويكون حقه فى هذا الشأن معترفا به من الجميع ويكون لذلك الولى سلطانا ، أى حق واجب ، وقد قضت الأعراف البدوية أن يكون صاحب الدم واحدا من عصبية القتيل ومن أقرب الناس إليه ، وإذا لم يكن للقتيل ولى فان ذلك يكون مسئولية رئيس العائلة أو الفخذ أو البطن على اعتبار أن الدم دم الجماعة كلها والثأر ثأرها .

ويمكن دفع دية القتيل والكف عن طلب الثأر له ، والقاعدة أن تجمع الدية من ذوى القربى- حتى الجد الخامس – وتوزع الدية على أهل القتيل وفق الأنصبة الخاصة بذلك ، والدية

---

(1) جبرائيل سليمان جبور : مرجع سابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

مقبولة لدى البداوة العربية خصوصا فى حالات القتل الخطأ (١) .

هذا ولم تكن الحروب القبلية الجماعية أو قتل القاتل أو أحد أقربائه هما وحدهما الأسلوبين المقبولين طلبا للقصاص ، وإنما يقوم إلى جوارهما نظام " الدية " وإن كانت الدية من حيث الكم والكيف تخضع فى رأينا لعدة اعتبارات منها :

- مكانة القتيل وخصائصة الاجتماعية والبيولوجية والعقلية ، فليس الرجل كالمراة ولا البالغ كالطفل ولا النابغة كالبليد ، ولا ذوا المكانة المرموقة كالشخص العادى ...... الخ .

- مكانة الوحدة القرابية المنتمى إليها القتيل ووزنها الاجتماعى .

- مكانة القاتل ووزنه بين أعضاء وحدته القرابية من جهة ، وبين المجتمع البدوى المحلى من جهة أخرى .

- الثقل الاجتماعى للجماعة القرابية وموقفها من جريمة القتل معارضة أو تأييدا .

- ظروف جريمة القتل وطبيعتها ، وهذا العامل لايحدد فى رأينا كم ونوع الدية فقط ، بل ويحدد أيضا مبدأ قبول الدية فى الأصل أو عدم قبولها .

- " الصلات الاجتماعية بين القاتل والقتيل " ، لان إنتماءهما إلى وحدة قرابية أو وحدتين قرابيتين داخل وحدة قرابية كبيرة يزكى بغير شك قبول مبدأ الدية فضلا عن أنه يقضى سريعا على مختلف الآثار المترتبة على جريمة القتل أو على الاقل يضمن عدم توسيع دائرتها (٢) .

والثأر أو عداوة الدم يحقق أهداف اجتماعية ونفسية تتمثل فى إشباع رغبة الوحدة القرابية للقتيل فى الانتقام ، بالتالى استردادها لهيبتها وكرامتها ، وإعادة التوازن الاجتماعى المفقود بين الوحدتين القرابيتين للقاتل والقتيل ، حيث أدت جريمة القتل الأولى إلى إنقاص الجماعة شخصا واحدا ، وعلى تلك الجماعة أن تقتص لنفسها بقتل شخصا ما من الجماعة

---

(١) صلاح مصطفى الفوال : علم الاجتماع البدوى ، دار نافع للطباعة ، ١٩٧٤ م ، ص . ص ٣١٠ - ٣١٣ .
(٢) صلاح الفوال : علم الاجتماع البدوى ، مرجع سابق ، ص ٣١٦ .

الثانية حتى تنقص واحدا ، وبالتالى يسترد ما بين الجماعتين من توازن تقليدى ، كما يحقق ذلك راحة القتيل واسترضاء روحه بالقصاص من القاتل - كما تعتقد مجتمعات بدوية كثيرة (١) .

- **الحالة الصحية للبدو :**

من مشكلات المجتمعات البدوية مشكلات العناية الصحية . فترتفع عندهم معدلات الأوبئة خصوصا بين النساء ، وأن المستوى الصحى فى البداوة سيئ إلى حد كبير ، وذلك لعدم توفر الرعاية الصحية والطب الحديث والعناية بالنظافة ، فتكثر بين البدو الأمراض البكترولوجية والطفيلية وذلك نتيجة للأوساخ فى مصادر المياه عندهم ، هذا إلى جانب أمراض سوء التغذية لأن وجبات البدو الغذائية مختلفة وغير متوازنة ، ويكثرون من شرب القهوة .

ولقد كان الطب فى البادية وحتي فى الحاضرة عبارة عن التداوى بالطب العربى القديم ، وهو إما جسمانى ويكون بالكى والتجبير والوصفات العشبية ، وإما نفسانى وذلك عن طريق قراءة التعاويذ بواسطة عرافين أشتهروا بهذا النوع من العلاج النفسى (٢) .

وعلى الرغم من تمتع البدو بالهواء النقى والجو الخالى من العوادم إلا أن هناك أمراضا خطيرة تصيبهم نتيجة للآفات التى تصيب بعض أكلهم ، كما أن الآبار التى يشربون منها كثيرا ما تكون ملوثة (٣) .

إصابتهم بالجدرى :

إذا أصيب واحد بهذا المرض تركوا واحدا أصيب قبل ذلك بنفس المرض بجواره ، وإذا لم يجدوا تركوا المريض وحيدا وبجواره المأكولات والمشروبات الكافية ويفرون بعيدا .

الناحية التعليمية :

ان الأمية عند البدو كانت من أهم المشكلات الاجتماعية ، فالبدو بعيدون عن التعليم والتيارات الثقافية ، وهم لايهتمون بالتعليم والأخذ عن الغير ، وهذا ما جعل القبائل البدوية

---

(١) صلاح الفوال : نفس المرجع ، ص ٣١٤ .

(٢) عبد الفتاح حسن ابو عليه : الإصلاح الاجتماعى فى عهد الملك عبد العزيز ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٦، ص . ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٣) مكى الجميل : البدو والبداوة فى البلاد العربية ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .

تعارض فى الأخذ بأساليب الحضارة الجديدة ، مما سبب مشكلات كثيرة عند الانطلاق والتحضر فى مجتمعات بدوية كثيرة .

-الترويح بالبادية :

إن الترويح بالبادية قد يكون تلقائيا ، أو مقصودا ومخططا له ، وهو متعدد الأشكال والأهداف ، جماعيا أو فرديا ، كما أن الترويح قد يكون مجرد حرفة تمتهنها فئات أو جماعات خاصة كحرفة لا حبا فى الترويح .

وللترويح بالبادية أهداف اجتماعية حيث يؤدى إلى زيادة أواصر الود والألفة بين ممارسيه .

وللترويح البدوى أشكال مختلفة : فهناك الفنون الشعبية البدوية ، وهى ترتبط ارتباطا وثيقا بمختلف صور الحياة البيئية والاجتماعية والدينية والفكرية السائدة ..... وتعتبر الأساطير البدوية من الفلكلور الذى لا يخلو منه مجتمع بدوى ، ومن هذه الأساطير ما يتصل بنشأة هذه المجتمعات أو الخوارق التى أتاها أبطال هذه المجتمعات الشعبيون ، ومنها ما يتصل بالعالم الآخر كالملائكة أو الشياطين أو ما يتصل بالجن والغيلان ..... ولهذه الأساطير رواه يجيدون فن الالقاء حتى يمر معهم الليل الطويل دون ملل .

وتمثل الأمثال والسير الشعبية البدوية حصيلة خبره فى الحياة وتعكس تجاربا للأجيال الجديدة ، وتقال الأمثال الشعبية كحكمة مستخلصة ، أو يروى المثل وأصله .

والغناء البدوى شئ يكاد أن يكون فطريا ، والبدوى العربى يحتفل بكل مناسباته السعيدة بالغناء ، كما يغنى أيضا فى المناسبات غير السارة . فهو يغنى فى المناسبات الدينية والأعياد والمواسم ، وفى حفلات العرس والولادة والختان وهدهدة الصغار ، وأيضا أثناء العمل مثل حفر بئر أو رعى الماشية أو اثناء الحرب ، وعند وفاة عزيز أيضا نائحا أو باكيا . ومن الغناء ما يؤدى منفردا أى يؤدية شخص واحد والباقى يستمعون ، ويسمى " بالسامر " ومنه ما يؤدى أثناء سير الجماعة البدوية ويسمى " بالحداء" وهويصاحب رحلة البدوى الطويلة والشاقة عبر دروب الصحراء الموحشة ، سواء كانت الرحلة طلبا لمرعى أو لمغنم أو لحرب ، ويصاحب الحداء موسيقى إيقاعية تنسجم مع خطوات الماشية [1] .

(١) صلاح الفوال : علم الاجتماع البدوى ، مرجع سابق ، ص . ص ٢٨٠ – ٢٨٥ .

الفصل الثالث

البناء القبلى والبداوة بمجتمع نجد

-لمحة تاريخية .

– البيئة الطبيعية لنجد وأثرها على الحياة الاجتماعية .

– نسبة البادية بنجد .

– التوزيع السكانى وأثر البيئة عليه .

– الحالة السياسية بنجد .

– الإمارة .

– شيخ القبيلة.

-الحكومة والقضاء فى نجد .

-الفئات الاجتماعية بنجد .

-الحالة العلمية والدينية.

-استخلاصات أساسية .

لمحة تاريخية :

لقد تواتر لدى المؤرخين قديما وحديثا أن أول من ابتدأ العمران فى اليمامة التى هى أحد أقاليم نجد الآن - هما قبيلتا طسم وجديس ، ثم أعقبهما تابعة اليمن الذين اصطنعوا قبيلة كندة التى اندفعت من اليمن إلى نجد مؤسسة مملكة كندة فيها .

ثم سكن بنو حنيفة من بنى بكر بن وائل اليمامة ، وقد ازدهرت اليمامة فى عهد بنى حنيفة إلى أن بدأت الحضرمة وأخذت السيادة فيها قبيل ظهور الإسلام .

ولما ظهر الإسلام كانت زعامة اليمامة لهوذة بن على ، فأسلموا - ثم ارتد بنوحنيفة مع من إرتد من القبائل العربية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن قضى على مسيلمة الكذاب ، وذلك ضمن من قضى عليهم من المرتدين فى نجد فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وانقادت اليمامة للخلافة الراشدة .

ولما ضعفت الدولة الأموية فى أواخر عهدها قد أتاح ذلك لبنى حنيفة فرصة ولاية اليمامة بأنفسهم والانفصال عن الدولة الأموية .

وفى العصر العباسى لم يهتم الخلفاء العباسيون بشئون اليمامة مما جعلها تعيش فراغا قياديا أدى إلى استقلالها فيما بعد .

وبعد انضمام الأحساء للعثمانيين وانضمام الحجاز قبل ذلك . أصبحت نجد محاطة من جميع جهاتها تقريبا بمناطق نفوذ عثمانية مما أتاح لأشراف مكة استغلال هذا الوضع لصالحهم فبدأت غزواتهم لنجد منذ عام ٩٨٦ هـ .

ولم تتعرض نجد لغزوات الأشراف فحسب ، بل تعرضت لغزوات قبيلة بنى خالد التى أخذت طريقها للزعامة فى منطقة الأحساء بعد طرد العثمانيين ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م .

وإذا كانت نجد لم تخضع - ولو شكليا - فى تلك الفترة للعثمانيين ، فإنها لم تخضع خضوعا مباشرا للأشراف ، كما أنها لم تشهد استقرارا سياسيا داخليا إبان نفوذ بنى خالد بل بقيت الحروب القبلية على أشدها ، وظلت النزاعات بين القرى والبلدان النجدية قائمة ممتدة ، بل إنها تتطور فى بعض الأحيان لتقوم بين أفراد القرية الواحدة ، وأبناء الأسرة الواحدة .

وإن قراءة الاحداث التاريخية فى هذه الفترة لتكشف لنا عن جوانب مهمة فى الحياة السياسية الداخلية فى نجد ، تلك السياسة التى كان القتل أبرز مظاهرها ، والعنف أوضح معالمها ، وفى غياب الوازع الدينى والسلطة القوية ، وحبا فى الزعامة تحت تأثير بعض القوى النجدية التى تهدف إلى توسيع نفوذها فيما جاورها من البلدان التى تكون مسرحا للفتن بين الأسر النجديه يتطور إلى مواجهة قتالية هى انعكاس لتطاحن القوى الكبرى فى نجد التى تستغل الخلاف بين الأسر فى البلد الواحد ، وبين الأسرة الواحدة لتنقل خلافها بين بعضها إلى هذا البلد أو ذاك [1] .

وكانت بادية نجد فى عهد الملك عبد العزيز مقسمة الى ثلاثة إمارات هى :

١ - إمارة الرياض ، وعلى رأسها ولى العهد الأمير سعود بن عبد العزيز .
٢ - إمارة الأحساء ، ويحكمها ابن جلوى .
٣ - إمارة حائل ، وعلى رأسها الأمير عبد العزيز بن مساعد . [2] .

وتشمل منطقة نجد بالعرف الحالى أربع مناطق طبيعية هى :

اليمامة (نجد) وعاليه نجد والقصيم وحائل (منطقة الجبل) .

أما " اليمامة " فهى المنطقة الآهلة بالسكان من نجد عن بقية المناطق الحضرية ، ولم تدرس الدراسة الكافية ، ويتباعد سكانها عن بعضهم إذ يتجمعون على شريط ضيق من الأرض يمتد على مسافة طويلة ، حيث يساير الأودية الضيقة ولايكاد يتجاوزها [3] .

---

(١) عبد الرحمن بن على العرينى : الحياة الاجتماعية لدى بادية نجد واثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجرى وحتى سقوط الدرعية ، رسالة ماجستير فى التاريخ الحديث (غير منشورة) ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية قسم التاريخ ، عام ١٤٠٤ ه ، ص ص ٣٢ - ٥٥ .

(٢) عبد الجبار الراوى : البادية ، مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

(٣) اليمامة : كانت تسمى (جوا) وتسمى (العروض) ، وتسمى (القرية) ثم سميت اليمامة نسبة إلى اليمامة بنت سهم ابن طسم المعروفة بزرقاء اليمامة وقصتها معروفة .
- محمود شاكر : مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

البيئة الطبيعية لنجد وأثرها على الحياة الاجتماعية :

تقع منطقة نجد * وسط الجزيرة العربية . وتنقسم إلى عدة أقاليم أهمها العارض والخرج والأفلاج والحريق وحوطة بنى تميم والمحمل وسدير والوشم والقصيم وجبل شمر ووادى الدواسر، وكان يطلق على هذه الأقاليم - باستثناء القصيم وجبل شمر ووداى الدواسر - اسم اليمامة فى كثير من الفترات التاريخية (١) **

وتتصل البادية العراقية بالبادية النجدية ولايفصلهما أى حاجز طبيعى من جبال أو أنهار- وكانت قبائل الباديتين فيهما تتجول حيث تشاء ومتى تشاء .

وكان الجفاف والقحط وندرة الماء فى الصحراء من عوامل التنقل والغالب أن يكون مصحوبا بالغزو للقبائل المقيمة فى ديار خصبة ، مما أوجد خلافات سياسية بين السلطات المحلية فى الأقاليم ، وتعدى هذا إلى مناطق أخرى خارج حدود الجزيرة العربية . وظل الوضع كذلك إلى أن خططت الحدود المنظمة والمعترف بها بين هذه السلطات ، وذلك بعد مؤتمرات السلام فى أوربا بعد الحرب العالمية الأولى ، والى وجود نظام الجنسية أو التبعية ، وكانت هذه الهجرات القبلية فى المواسم تعكر صفو السلام بين الحين والحين ، وفرضت القبائل القوية على القبائل الضعيفة قوتها وأخذت المراكز الخصبة والزراعية فى الأقاليم . كما كان للجفاف والقحط وندرة الماء عاملا من عوامل هجرة بعض سكان البادية إلى المدن للعمل بالتجارة أو بالحرف الأخرى وساعد على تحولهم إلى وظائف اقتصادية أخرى ، والعيش ضمن جماعات بشرية أخرى تختلف فى أوضاعها الاجتماعية عن الجماعات البشرية التى كانوا ينتمون إليها ، أو هجرتهم إلى القرى للعمل بالزراعة .

وهضبة نجد وما جاورها يسودها المناخ الصحراوى بما له من إيجابيات وسلبيات تتحكم فى النشاط السكانى داخل هذه المنطقة ، ويتغير المناخ بالمنطقة من فترة زمنية إلى أخرى ، حيث إن الوقت الحالى يسوده نوع من الجفاف يختلف عما كانت عليه منطقة نجد منذ أكثر من خمسين عاما .

---

* النجد فى اللغة : المرتفع من الأرض ، وقد اطلق على هذا الجزء من الجزيرة لارتفاعه عما يجاوره من الأرض - وأرض نجد مختلفة الارتفاع والانخفاض ، فالقصيم مثلا تعلو الف قدم فوق العارض ، وحائل تعلو مثل ذلك فوق القصيم ، واليمامة خمسمائه قدم دون الرياض .

(١) ** منطقة اليمامة هى المنطقة التى سيتم فيها هذه الدراسة .

عبد الله صالح العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية ، دار النشر غير موجودة) ط ١ - ج ١ ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م . ص ٣٣ .

والمناخ هذا سلبياته على سلوك الأفراد ، فنجد أحيانا من يضطر إلى السلب والنهب ، وظهور مشكلات كثيرة يعانى منها المجتمع ، والتى يتعذر على السلطة أحيانا السيطرة عليها ، بل إننا نجد السلطة المشرفة نفسها والمتمثلة فى شيخ القبيلة أو أمير المقاطعة تحت طائلة العوز تلجأ إلى فرض إتاوة على من تحت يدها .

كما أن لموقعها الجغرافى البعيد عن البحار ، ما جعل سبل الرزق فيها متوقفا على الزراعة والرعى ، والمهن المساندة لها ، كما حرمها من كثير من الإيجابيات كتلطيف درجة الحرارة فى فصل الصيف ، وإمدادها بالسلع التموينية ، لكن هذه البيئة تمتاز بتربة خصبة من الناحية الرعوية (١) .

نسبة البادية بنجد :

لقد كان البدو يشكلون حوالى أكثر من نصف سكان الجزيرة العربية ، ومازال البدو يشكلون نسبة كبيرة من سكان البلاد العربية بشكل عام * .

ونسبة البدو فى منطقة " نجد " عالية ، ومع أنه لاتوجد إحصاءات دقيقة سوى إحصاءات تقريبية وصفها الرحالة الأجانب الذين زاروا نجد معتمدين على ما وصلهم من أقوال شيوخ القبائل أو افراد من السكان ، إلا انه من المؤكد أن البدو أكثر عددا من الحضر ، وربما تصل نسبتهم إلى ثلثى مجموع السكان فى نجد ** .

وسكان البادية يعتبرون أنفسهم أرفع درجة من الحضر – سكان الواحات والمدن – وذلك لأنهم أنقى نسبا ، ومما يفسر نقاء النسب أنهم يعيشون فى شبه عزله عن الخارج حافظوا فيها على نقاء أنسابهم التى هى موضع اعتزازهم وافتخارهم ، ولأنهم لايصهرون إلى من هو

---

(١) عبد الرحمن بن زيد السويداء : نجد فى الامس القريب ، صور وملامح عن أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عاما ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٩٨٣ م ، ص . ص . ١٧ – ١٨ .

* التقارير الحديثة تبين أن سكان البدو يمثلون ٢٦٫٨٠ / من عدد السكان – المؤشر الاحصائى ، مصلحة الاحصاءات العامة ، الرياض ، ١٩٧٩ م .

** بخصوص حجم البداوة وكثافتها فى بداية القرن العشرين يمكن الرجوع الى :

-Carlo Guarmani ; Northern Najd, Translated by Capelcuro, London , 1938.

– حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١.

أقل منهم نسبا ، أو إلى من هو فى نسبه موضع شك . هذا إلى جانب أنهم يعتبرون أنفسهم أكثر شجاعة واحتراما وكرما (١) .

وهناك بعض الكتاب من يعتبر إقليم نجد من العرب الخلص ، أى فيهم نقاء النسب ، ويرجعون ذلك الى أن إقليم نجد ظل فى شبة عزله لمدة طويلة عن الموجات البشرية الخارجية ذات الأجناس المختلفة لغور المنطقة داخل الجزيرة العربية من جهة ولإحاطتها بالرمال الصحراوية ولقلة تعرضها لموجات الغزو الخارجي من جهة أخرى .

وعلى الرغم من هذا كله فقد دخلت إلى بعض المدن النجدية عناصر بشرية كالزنوج الذين اشتروا على شكل رقيق من أفريقية ، حيث أن تجارة الرقيق كانت متداولة وأن اقتناء الرقيق لم يكن مقصورا على الأمراء والشيوخ والأغنياء فحسب بل إن معظم الأهالى كانوا يملكون رقيقا إلا أن الرقيق ظلوا محتفظين بعنصرهم ولونهم ووظيفتهم الاجتماعية (٢) .

التوزيع السكانى وأثر البيئة عليه .

تمركز السكان فى نجد فى سلسلة الوحدات التى تشكل هلالا تحف به الرمال من كل جوانبه . فتواجدت معه المجموعات السكانية النجدية فى المناطق ذات الأودية التى تنبع أو لاتنبع، وفى أماكن آبار المياه ومناطق سقوط الأمطار والأراضى ذات التربة الصالحة للزراعة . فغدت كل واحة من واحات شمر والقصيم وسدير والوشم والخرج والأفلاج ووادى الدواسر مناطق آهلة بالسكان على اختلاف فئاتهم الاجتماعية .

ولقد كان للهجرات الموسمية البدوية فى بعض الأقاليم أثر فى تعرف البدو على حياة التجمعات الزراعية المستقرة والتى بالتالى قد استهوتهم وأدت ببعضهم إلى ترك حياة البداوة والعمل فى الزراعة .

والواقع أن البدو هم أفضل من كيّف الحياة البشرية طبقا لبيئتهم الصحراوية ، فنزلوا حيث يوجد المرعى اللازم للإبل والماشية وحيث الماء اللازم للشرب ، وارتحلوا عنها فى حالات الندرة والقحط (٣) .

---

(١) عبد الفتاح ابو عليه : مرجع سابق ، ص ١٢٥ .
(٢) عبدالفتاح ابو عليه : مرجع سابق ، ص ١٦ .
(٣) نفس المرجع ، ص ١٨ .

وسكنت جماعات بشرية أخرى فى المناطق الخصبة الصالحة للزراعة وظهر بذلك نوع من المجتمعات الزراعية ذات الطابع والولاء القبلى .

وهناك جماعات بشرية أخرى تمركزت حول طرق القوافل التجارية ، وعلى خط المواصلات الداخلى والخارجى المار بالاقليم والذى يربطه بالأقاليم والبلدان الأخرى . وخير ما يمثل هذا النوع سكان المدن النجدية كحائل وعنيزة وبريدة وشقراء والرياض وليلى وغيرها .

ولما كان ينقص هذا التوزيع الاجتماعى قوة السلطة المركزية المحلية والقوانين والأحكام النافذة ، فإن البلاد قد افتقرت إلى عوامل الاستقرار ، زد عليه أن معظم مجتمع نجد كان من البدو الرحل ، وكانت معظم قبائله ذات فروع تتصل بخارج حدوده وخارج حدود سلطته المحلية . فكان لكل من قبائل حرب وشمر وعنزه والدواسر وآل مرة والسهول وسبيع فروع ، إما فى الأقاليم الأخرى داخل جزيرة العرب كالحجاز والأحساء ، أو فى خارج حدودها كالعراق والشام والأردن . ويمكننا تفسير هذا التشابك السكانى فى المنطقة العربية بأمور منها : حاجة البدو إلى العشب والماء ، وكثرة الحروب والمنازعات الداخلية ، وضعف السلطة المركزية المحلية ، وعدم استتباب الأمن ، أو كنتيجة لغزو من القبائل الأقوى للقبائل الأضعف تضطرها إلى الرحيل تحت عامل الضغط والقوة . فكانت جميع هذه العوامل تلعب دورا هاما فى تنقلات وهجرات القبائل والعائلات والأفراد إلى خارج حدود الاقليم . وبخاصة أن نظام الحدود الثابتة والمنظمة لم يكن معروفا بعد فى أرض الجزيرة العربية (١) .

الغزو وأثره فى الحياة الاجتماعية ببادية نجد :

من أهم مشكلات البدو كما يبدو للباحث هى عدم الاستقرار وكثرة تنقلهم على الدوام داخل حدود إقليمهم وخارجه بحثا عن العشب والماء اللا زمين لطعام إبلهم وأغنامهم وحيواناتهم الأخرى . إلا أنه من الغريب أن البدو أنفسهم يفتخرون بحياة الترحال هذه وينظرون لأنفسهم على أنهم النموذج المثالى لبنى البشر . ويعتبر الجفاف والقحط وندرة الماء فى الصحراء السبب الأساسى فى ترحالهم المستمر وعدم استقرارهم فى منطقة معينة ، وهذا الوضع هو السائد فى المناطق الصحراوية وينتج عنه .. الغزو الدائم الذى مارسته القبائل الأقوى ضد القبائل الأضعف ، مما أوجد نوع من الفوضى الدائمة فى المجتمعات البدوية التي أصبح الغزو عندها وسيلة للعيش فى الصحراء ، والطابع المميز لحياة سكان البادية . وفى عرف البدو أن القبائل

---

(١) عبد الفتاح ابو عليه : مرجع سابق ، ص ١٩ .

الأقوى والأشجع وصاحبة السيادة فى الصحراء هى القبائل التى تمارس الغزو بشكل واسع . فكان الغزو عندما يضيق بالبدوى المرعى أو الهجرة إذا كان هناك سبيل ، والقبيلة المغلوبة ، عليها بالهجرة ، وهذا يفسر الهجرة من وقت لآخر ، إلى العراق والشام ومصر ومثال ذلك تدفق قبائل شمر وعنزه إلى ما بين النهرين ، فكلها هاجرت نتيجة تغلب غيرها من القبائل عليها واضطروهم إلى ترك أراضيهم ، كما وجدت حالة من التنافر بين القبائل البدوية وقامت عدة مشاحنات وحروب قبلية كما هو الحال بين قبائل الدواسر وآل مرة ، وقحطان وعتيبة وحرب وغيرها . وظل التحامل القبلى فترة طويلة من الزمن وأثر هذا على العلاقات بين السكان ، إلا أن ذلك قد تغير فى الفترة الحالية .

وهذا الوضع السياسى المضطرب ، وهذا التهديد والاعتداء المتواصل من البدو على الجماعات المستقرة ، وعدم قدرة السلطة المركزية أو المحلية فى الوقوف الدائم فى وجه هذه الجماعات . كل هذا دفع السكان إلى إقامة أسوار مدنهم وقراهم ، تلك الأسوار العريضة والقوية كانت حماية طبيعية للسكان داخلها ، وهذا النوع أو الأسلوب من السلطة كان مجالا ملائما للفوضى فى الاقاليم (١) .

وكثيرا ما كانت الهجرات البدوية الموسمية تعكر صفو السلام فى المنطقة وكثيرا ما تعرضت السلطات المحلية لاحتكاكات وتصادمات مع السلطات المجاورة فى كل من العراق والكويت وقطر وسورية وشرق الأردن . وتطور هذا إلى أبعد من ذلك فأثار حساسيات بين السلطات المحلية والدول الكبرى فى المنطقة كبريطانيا وفرنسا صاحبتى الحماية على الأقطار العربية المجاورة فيمابعد . وتمخض عنه نوع من المحادثات الحدودية أدت الى تخطيط منظم ومعترف به للحدود بين الدول الناشئة فى المنطقة . وأدت كذلك إلى دراسات ونظريات سياسية ملائمة لحل المشكلات الناجمة عن مثل هذا الوضع الاجتماعى المؤثر بدوره على كل من الوضعين الاقتصادى والسياسى فى المنطقة ، وذلك كنظرية إيجاد مناطق محايدة وقوانين تسمح للقبائل بالتنقل فى أراضى الدول المجاورة ذات القبائل المتشعبة الفروع (٢) .

الحالة السياسية بنجد :

ان الصفات التى كان المجتمع النجدي يرى ضرورة توافرها فى الزعامة السياسية هى أصالة النسب والشجاعة والكرم ، ولقد كانت زعامات البلدان النجدية تنتمى إلى قبائل عربية

---

(١) عبد الفتاح ابو عليه : مرجع سابق ، ص . ٦٨ .

(٢) عبد الفتاح حسن ابوعليه : مرجع سابق ، ص . ١٩ .

مختلفة . على أن قبيلة تميم احتلت ، فيما يبدو ، مكانا واسعا بين تلك الزعامات لكثرتها العددية بين السكان من ناحية ولنزعتها الاستيطانية المعهودة منذ زمن طويل من ناحية أخرى . ومن أمثلة الأمراء المنتمين إليها أمراء العيينه - أقوى بلدة نجدية حينذاك - وأمراء ثرمداء وروضة سدير وبريدة .

على أن الاسر التى كانت تسيطر على مقاليد الأمور فى البلدان النجدية وصلت إلى الإمارة بطرق مختلفة . منها أن يكون جد الأسرة هو الذى أنشأ البلدة أو أحياها بعد أن هجرها آخرون . ومنها أن يستولى على البلدة بالقوة وينتزع الإمارة ممن كانوا يتولون زعامتها . وفى كلتا الحالتين السابقتين تكون الإمارة ، عادة ، وراثية فى الأسرة أو تذهب إلى فرد من أفرادها باختيار منهم . وذلك باستثناء الصراعات التى قد تقوم داخل الأسرة أحيانا [1] .

والصراع حول السلطة أمر مألوف فى تاريخ جميع الأسر فى مختلف الأزمنة ، وكان هناك صراع شديد داخل الأسر الحاكمة فى نجد ، وبرغم صلة القرابة القبلية ، التى كانت موجودة بين أمراء بعض البلدان إلا أن هذه الصلة القرابية لم تخلق جوا من التآلف أو الوحدة الإقليمية . بل أنها لم تمنع قيام الحروب بين أولئك الأمراء . وقد أصبح التفكك السياسى نتيجة طبيعية لتلك الأوضاع حتى غدت كل بلدة مستقلة بذاتها ذات علاقة غير ودية مع جارتها فى أغلب الأحيان . وكان على كل أمير أن يظل فى حالة استعداد عسكرى إما لمهاجمة خصمه وإما للدفاع عن بلدته .

ولقد تعاقبت على الإمارات النجدية المختلفة فترات ضعف وقوة . لكن أقوى إمارة ظهرت كانت إمارة العيينة وخاصة فى عهد رئيسها عبد الله بن معمر (١٠٩٦ - ١١٣٨ هـ) [2] .

أما بالنسبة للقبائل الرحل فى المنطقة فقد كانت المؤهلات التى يصل بها صاحبها إلى مركز القيادة هى صفات الزعامة لدى القبائل العربية فى مختلف العصور ، ومع أن زعيم القبيلة كان يختار حسب مؤهلاته القيادية الذاتية من قبل رؤساء العشائر والبطون فإن قرب الفرد من الزعيم القديم كان من بين مرجحات زعامة من سيخلفه . ولهذا يلاحظ أن الزعامة لاتخرج فى كثير من الأحيان عن أسرة الزعيم القديم ذاتها حتى أصبحت لدى معظم القبائل وراثية تقليدية.

---

(١) عبد الله العثيمين : مرجع سابق ، ص ٤٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٤٥ .

عبدالله بن معمر   العيينة

وكانت العلاقات بين القبائل النجدية سيئة بصفة عامة . وكانت القوة هى الفيصل فيما يحدث بينها من نزاع سيرا على المثل المشهور " نجد لمن طالت قناته " وقد تعددت القبائل المتنازعة حول موارد المياة وموطن الكلأ فى نجد وطمح بعضها إلى امتلاك مركز الصدارة فى هذه المنطقة .

ولم تكن علاقة الحاكم بالمحكوم/والرئيس بالمرؤوس على وتيرة واحدة . بل وجد اختلاف بين علاقة الحضرى بأميره عن علاقة البدوى برئيسه . ولعل من أهم أسباب ذلك اختلاف طريق الزعامة لدى الحاضرة عنها لدى البادية ، واختلاف طبيعة ثروة كل منهما . فقد كانت القوة أو الاغتيال من الطرق المؤدية إلى الإمارة لدى الحضر . وما من شك أن الخوف من الثأر قد يؤدى إلى إتخاذ إجراءات ظالمة أحيانا . وكان الاختيار المبنى على وجود مؤهلات خاصة هو الطريق غالبا ، إلى رئاسة القبيلة . لذلك لم يكن الرئيس خائفا من أتباعه ، وإنما كان حريصا على أن تظل الثقة به موجودة فى نفوس أولئك الأتباع . وهكذا كان لزاما عليه أن يحسن علاقته بهم . وثروة الحضرى عادة ، غير قابلة للنقل ، مثل المزرعة والبيت والمتجر . ولهذا كان عليه أن يصبر على بعض ما يحدث له من جور لأنه إن حاول الهرب منه قد يفقد كثيرا من ممتلكاته الثابتة . أما ثروة البدوى فقابلة للنقل . بل إن حياته ذاتها حياة تنقل وترحال . وعلى هذا الأساس فإنه لو أحس بنوع من الجور فما عليه إلا أن يطوى خيمته ويسوق حيواناته بعيدا عن موطن ذلك الجور دون أن يعرض ثروته لضرر كبير . وكان من السهل عليه دائما أن يجد ترحيبا لدى قبيلة أخرى وهذا ما أدركه كل من الرئيس والمرؤوس ، وكيف علاقته بموجبه .

ومع أن بعض المصادر تشير إلى أن الظلم كان من الصفات الغالبة فى أمراء البلدان النجدية – وهذا متوقع لما ذكر سابقا – فإنه وجد أمراء نجديون عادلون يحلون أمور أتباعهم بطريقة شرعية (١) .

ولذلك ، كانت نجد ، فى حاجة إلى حركة سياسية إصلاحية تجمع شتات إماراتها وقبائلها تحت راية واحدة ليسود الأمن والاستقرار فيها (٢) .

---

(١) عبد الله العثيمين : مرجع سابق ، ص ٤٨ .
(٢) عبد الله العثيمين : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

- **الإمارة:**

تتمثل السلطة المشرفة فى أمير المقاطعة أو شيخ القبيلة ، والأمير ملم بأحوال إمارته وشئون القبائل المحيطة بهذه المنطقة ولايوجد حكومة بالمعنى الحاضر ، لكن الأمير هو كل شئ فى إمارته ، والسلطة نجدها فى أبسط صورها بدون كتابات أو تدوين للقضايا إلا ماكان منها مهما من وجهة نظر القائم على السلطة ، والكلمة هنا الشفهية المبلغة للفرد أو الجماعة على مسمع من الملأ أو بصفة منفردة من القاضى أو الامير أو شيخ القبيلة تكون نافذة المفعول مطاعة بدون قيد أو شرط أو تردد.

ويتولى الأمير كافة السلطات فهو بمثابة وزير الدفاع والداخلية والخارجية والزراعة والمالية فى الوقت الحالى ، هذا بالإضافة إلى ما هو أقل منها ، ويقوم بخدمته فى وقت السلم مجموعة من الجنود غير النظاميين هم خدم الأمير وهم طوع بنانه ، ينفذون تعليماته بكل دقة ، أما فى وقت الحرب فانه ينضوى تحت لواءه أعداد كبيرة من أفراد إمارته ، فيما يقابل فى الوقت الحاضر قوة الاحتياط ، وهؤلاء يتطوعون لخدمة الأمير نظير هبات أو عطايا ، وأحيانا تكون هذه الخدمة إجبارية وبدون مقابل حينما يداهم هذه الإمارة خطر من الخارج أو تمرد من الداخل ، وتتكون واردات الإمارة من الذكاة على المنتجات الزراعية والمواشى ، وما يفرض على الأفراد من الإتاوة بين الحين والاخر من الحاصلات الزراعية أو الحيوانات ، وذلك لتجهيز الغزو ، أو الدفاع عن حدود الإمارة ، أما مصروفاتها فهى تمثل مصروفات الأمير الخاصة ومصروفات تجهيز الجيوش أو مايدفع للإمارات أو السلطات الأقوى المجاورة دفعا لشرها أو رجاء حمايتها(١) .

ويحمى الأمير من يلوذ به ويطلب حمايته خاصة إذا كان اللاجئ قد أتى من قبيلة أو إمارة أخرى ، وتمتد الإمارة أو تنكمش حسب قوة هذا الأمير ، وتبعا لقوة القبائل المجاورة .

شيخ القبيلة :

شيخ القبيلة أقل شأنا من أمير المقاطعة خاصة إذا كانت قبيلته ليست كبيرة الحجم ، وعادة يكون بيت الشيخ مميزا عن غيره من البيوت وهي بيوت من الشعر - أى صوف الأغنام - وذلك لكبر حجمه وارتفاع " رفته " * .

---

(١) عبد الرحمن بن زيد السويداء : مرجع سابق ، ص . ص ٢١ - ٢٢ .

* " الرفه " هو القسم الخاص بالرجال للتجمع وشرب القهوة وتناول الطعام ، ومناقشة المسائل التى تهم القبيلة ، من غزو أو انتجاع مكان معشب ، فهذا الجزء يعتبر ما يقابل قصر الحكومة فى الإمارة ، وأحيانا يكون مقرا للسمر والمساجلات الشعرية .

س لماذا يشتغل الحكم في المناطق الحضرية ولا يشتغل في المناطق البدوية؟

ولا يكره الشيخ أفراد القبيلة على أمر معين كغزو مكان ما ، إلا بإرادتهم حسب أغلبية الآراء ، ولكل فرد ما كسب من هذا الغزو وعليه تحمل ما يلحقه من تبعات ، وعادة يخوّلون أميرهم عندما يظفرون بكسب ، أن يأخذ الشيخ جزءا من هذه الغنائم والباقى يوزعه على الأفراد ، وبهذه الطريقة يضمن طاعتهم وولاءهم له . أما إذا داهم القبيلة خطر ما فإن أفراد القبيلة يدافعون عن ذمارها بكل ما أوتوا من قوة .

شيخ القبيلة ومدى سلطته :

إن منصب الشيخ من أخطر المناصب وأهمها داخل القبيلة ، وإن منصب شيخ القبيلة يكسبه الاحترام والتقدير ، ويفرض على أفراد القبيلة السمع والطاعة لتحقيق الضبط الاجتماعى فى القبيلة ، ولكن الاحترام والتقدير يسقط ويخرج الأفراد عن الولاء للشيخ إذا صدر عنه سلوك يخالف المصلحة ويعتدى به على حقوق الآخرين وحريتهم ويستغل سلطته لتنفيذ مطامعه الخاصة والشخصية . ولا تقبل القبيلة من أحد أن يخرج على القانون القبلى حتى ولو كان شيخ القبيلة نفسه [1] .

ولابد أن يستعين شيخ القبيلة بأهل الحكمة والرأى لمساعدته فى حل المشكلات والقضايا، ولابد من المشورة والرأى فى أى أمر طارئ ، وليست سلطات الشيخ محصورة فى إصدار الأحكام ، ولكنه صاحب الرأى النهائى فى الأحكام التي يصدرها مجلس القبيلة وله حق الاعتراض عليها حسب ما تمليه المصلحة العامة ، كما أنه هو الذى يصدر أوامره بإعلان الحرب أو السلم ، وهو الذى يتحدث باسم القبيلة لدى القبائل الأخرى .

الحكومة والقضاء فى نجد :

بالرغم من وجود سلطات مركزية بعد ظهور الدعوة السلفية فى نجد ، إلا أن مفهوم الحكومات المنظمة بمعناه الحديث لم يكن ليكتمل بعد .

ولقد بنى التنظيم السياسى فى بلاد نجد على أساس قبلى ، على اعتبار أن القبيلة هى الوحدة السياسية للمجتمع النجدى ، ولأن معظم الحضر فى نجد من أصل قبلى والجميع يشتركون فى نظام اجتماعى قبلى ، لذا لعبت القبيلة النجدية دورا هاما وأساسيا فى السياسة الحكومية .

---

(١) سعيد فالح الغامدى : مرجع سابق ، ص ٢٣ .

تشكلت فى نجد اتحادات قبلية كانت نتيجة لتحالفات بين أمراء القبائل المختلفة لينظموا نوعا من السيادة على قبائلهم . ومن هنا كان ظهور السلطة الجماعية التى أدت بالتالى إلى السلطة المركزية الأقوى ، إلى جانب ظهور نظام الحماية حيث أن القبائل الضعيفة كانت تلجأ للأقوى لحمايتها مقابل دفعها إتاوات سنوية .

ولقد عينت السلطة المحلية فى نجد أمراء على المناطق التابعة لها وكانت وظيفتهم سياسية وإدارية وعسكرية . فهم يجمعون الزكاة والضرائب ، ويرسلونها إلى مركز الثقل . ويديرون شئون الإقليم باسم الحاكم ، ويجمعون الجند عند إعلان النفير العام من قبل الحاكم المقيم فى عاصمة الاقليم (١) .

القضاء فى حاضرة نجد :

لقد تركزت دراسة علماء نجد فى تلك الفترة على مادة الفقه خاصة المذهب الحنبلى . أما العلوم الشرعية الأخرى فكان حظها من العناية أقل من هذه المادة . وكان من أهم ما تؤهل له الدراسة تولى القضاء . وكان إتقان الفقة كافيا .

ومن الواضح أنه قد وجد اكتفاء ذاتى من القضاة النجديين فى أكثر بلدان منطقتهم . والمعلومات التى توضح دخل أولئك القضاة غير متوافرة . ومع أنه لم تكن لهم مرتبات نقدية فإن مصادر دخلهم كانت متنوعة . فقد كانت هناك بعض الأوقاف المحلية التى تذهب منفعتها أو جزء منها للقاضى . على أن من بين هؤلاء من يأخذ أجورا من المتخاصمين مقابل الفصل بينهم .

والحديث عن القضاء والقضاة هنا خاص بحاضرة نجد . أما باديتها فلم يكن لهم قضاة شرعيون ، وإنما كانوا يتحاكمون إلى العرف والتقاليد الخاصة بقبائلهم (٢) ، فكان لكل قبيلة من القبائل النجدية قاض – وأحيانا قاضيان – يستمد حكمه من عادات المجتمع . لذا فإن السلطة التنفيذية القضائية فى البادية هى القبيلة ، وبصورة أوسع وأعم فهى المجتمع البدوى ، وكان القاضى يعرف باسم " عارف " * .

---

(١) عبد الفتاح ابوعليه : مرجع سابق ، ص . ص . ٢٤ – ٢٦ .

(٢) عبد الله العثيمين : مرجع سابق ، ص ٥٢ .

* يطلق أسم " طواغيت " على بعض القضاة بنجد قديما .

ومازالت الحكومة السعودية الحاضرة تهتم بالقضاء فى البادية ، لهذا فقد شكلت المحاكم الخاصة بالبدو ، وتفصل هذه المحاكم فى الخصومات البدوية على أساس من الشرع والعرف والعادات والتقاليد البدوية القديمة التى لاتتعارض مع الشرع * .

والسمة العامة هى التحدث باللغة العربية الفصحى أثناء انعقاد المحكمة وإن كانت هذه اللغة على السليقة . فعندما يقسم البدوى أمام القاضى كان يقول : " والله الواحد القهار ما أنا لهذه الدعوى خبأر " . وعند التبرئة كانوا يقولون العبارة التالية " بحق بارى البرية . قاطع المال والذرية ، أن ذمتى - ذمتنا إذا كانوا جماعة - من هذا برية " .

وكانت تتوارث القضاء عائلات معروفة ومتخصصة فى الشئون القضائية البدوية يرثها الابن عن أبيه أو قريبه بعد أن يكون قد تعلم القراءة والكتابة وتفقه فى الأمور الدينية وتدرب على القضاء لفترة طويلة . وعلى سبيل المثال لا الحصر كانت عائلتا آل هليّل وآل دخيّن قضاة قبيلة عتيبة البدوية (١) .

الفئات الاجتماعية بنجد :

كانت نجد من أقل مناطق جزيرة العرب تأثرا من حيث اختلاط العناصر غير العربية بالسكان العرب المحليين لأنها بعيدة عن مواطن الامتزاج السكانى المتمثلة ، عادة ، بالمناطق الساحلية والأماكن المقدسة . وعلى هذا الأساس فإن الغالبية العظمى من أهلها كانت تنتمى إلى قبائل عربية معروفة النسب . أما الأقلية منهم فكانت فئات متعددة ، بعضها - على الأرجح - عربية الأصل ، ولكن أصلها ضاع أو سلب منها لسبب من الأسباب ، وبعضها من أصول غير عربية أتت إلى البلاد بطرق مختلفة كالرق ومزاولة بعض المهن (٢) .

وإلى وقت قريب فإن غالبية أهل نجد ترجع فى أصولها إلى القبائل العربية الأولى سواء كانت بدوية أو حضرية ، وقد دعم هذا انعزال أهل نجد عن بقية البلدان المجاورة ، هذا برغم وجود علاقات تجارية واسعة النطاق بين أهل نجد والبلدان المجاورة بل وغير المجاورة ، إلا أن

---

* عن القضايا بالبادية يمكن الرجوع إلى :

- M.J.L. Hardy; Blood Feuds & the pament Of Blood Money in the Middle East (Beirut, 1963) P.P 82 - 9

(١) عبدالفتاح ابوعليه : مرجع سابق ، ص ٢٨ .

(٢) عبد الله صالح العثيمين : مرجع سابق ، ص ٣٧ .

من المعلوم أن فئة التجار ليست فئة كبيرة ، وإقامتها لفترة قصيرة بحيث لاتؤثر على انغلاق المجتمع النجدى آنذاك .

وإذا كان قسم من أهل نجد يتعرض للهجرة تحت الظروف القاسية التى تستتبع حالات القحط وانكسار الحال من جوع وخوف ومرض ، وهذه الفئة ينطبق عليها ما ينطبق على فئة التجار .

هذا بالإضافة إلى عدم وجود ما يغرى سكان المناطق المجاورة للقدوم إلى نجد سواء كان ذلك للاستقرار أو للتجارة وعدم تعرضها لغزوات كبيرة من تلك التى تحدث تغيرا اجتماعيا .

هذه العوامل وغيرها حافظت على الأصالة السلالية لعرب منطقة نجد مما جعلهم أقل العرب تأثرا بالمؤثرات الخارجية لغويا واجتماعيا ، كما لم يحدث لسكانها اختلاط واسع بالعناصر غير العربية لبعدها عن مراكز الامتزاج السكانى سواء كان ذلك فى غرب الجزيرة حيث الأماكن المقدسة وماينشأ فيها من اختلاط طبيعى مع الأجناس الأخرى أو فى شرقها حيث تبدو مؤثرات الأجناس الشرقية وخاصة الإيرانية واضحة ، أو فى شمالها حيث يمكن أن يحصل تأثير تركى على بعض الأجناس العربية فيه .

وكما أنه من الممكن القول أن عرب نجد غالبيتهم يرجعون إلى قبائل معروفة النسب ويمكن إرجاعها إلى أصولها العربية الأولى ، وأنهم يمثلون العرب الخلص تقريبا ، ورغم ما سبق ، ومع أن نظرة النجديين قبلية تماما تتفق فيها البادية والحاضرة على حد سواء ، فقد ضم المجتمع النجدى بالإضافة إلى البدو والحضر الأصلاء المعروفة أنسابهم عددا من الفئات الأخرى مجهولة النسب بعضها عربية ترجع إلى أصول قبلية نجدية أو غير نجدية إلا أنها ضاعت أنسابها أو جهلت او سلبت منها تحت أى سبب من الأسباب ، وأبرز عناصر هذه الفئة الحضيريون ، وبعض هذه الفئات من لاترجع فى أصولها إلى أرومة عربية ، وتكون قد قدمت نجد بطرق مختلفة - كالرق مثلا - حيث كان للأرقاء قديما أدواراً اقتصادية كبيرة فى المجتمع النجدى ، وكان اقتناء الرقيق يدل دلالة أكيدة على غنى المالك .

ومن هذه الفئات من تكون قد هربت من مسترقيها أثناء توصيلها عبر سواحل شبه الجزيرة العربية الشرقية والغربية والجنوبية ، فتأتى إلى هذه المنطقة المنعزلة لتعيش بأمان محتمية بإحدى القبائل سواء تعرضت للرق أو لم تتعرض له ، وقد تعمل فى مهن يحتاج إليها المجتمع النجدى ويأنف منها أبناء القبائل المشهورة فتستغل هذه الأنفة لتمارس أدوارا اجتماعية تحقق لها البقاء .

كما أن هناك فئة قد تكون قدمت إلى شبه الجزيرة للحج أو العمرة أو الزيارة أو المجاورة ، ولئن كان أفراد هذه الفئة غالبا ما يستقرون فى مدن الحجاز إلا أن قسما منهم قد يتخذ من البلدان النجدية إقامة له ، إما فى طريق عودته إلى بلده ، أو تحت عوامل أخرى ، ولعل مما يشجع إقامة هذه الفئة فى نجد أنفة القبائل النجدية بدوية أو حضرية من بعض الحرف ، أو جهل بعض أفراد المجتمع النجدى ببعض أنواع التجارة فيتخذ منها مصدر رزق له لاينافسه فيه أحد من النجديين (١) .

ولعل من أبرز الفئات النجدية التى كان لها أدوار مهمة فى المجتمع النجدى وهى من أعرف الفئات ببوادى الجزيرة وواحاتها ، جبالها وهضابها .... الخ ، وهى واسعة الانتشار . إنها فئة الصلب أو الصلبة ، كما يسميها أكثر البدو أو الخلاوية كما يسميها البعض الآخر ، - وفى بعض مجتمعات نجد يقال عليها أيضا " السوعا " وهى برغم قدرتها هذه فئة ذليلة ليست كبيرة العدد ، وهى أوهن الفئات بأسا وأحقرها مكانة وأوضعها نسبا ، ويقال عنها أنه ليس لها نسب معروف عند العرب . ويطلق عليهم بعض الكتاب " بدو البدو " .

وليس لهذه الفئة منطقة واحدة خاصة ، أى ديرة كما يقول العرب تعرف بها ، أو قطر معين تستقر فى باديته ، أو تتنقل فى أرجائه ، بل لها فروع منتشرة فى أكثر بقاع الجزيرة من أطراف بادية الشام ، وفى النفوذ فى قلب الجزيرة ، وفى نجد ، وفى أقصى الحجاز فى الجنوب الغربى ، وفى الدهناء وبادية العراق (٢) .

ولقد احتار العلماء العرب والأجانب فى أمر أصل هذه الفئة ونسبها ، وقد أطلق بعض البدو عليهم " خلويه " أو " خلاويه " أى الذين يعيشون فى الخلاء ، وقد أرجع بعض الكتاب أصل هذه الفئة إلى الصليبين وزعموا أنهم تشتتوا بعد أن فرقت شملهم دولة الأيوبيين والمماليك، وقرروا أن طائفة منهم التجأت إلى بادية الشام وامتزجت ببعض أهاليها وجنسها الزمان بجنسها ، ومن هؤلاء الكتاب سليمان البستانى ، والإنجليزى وليم كفورد بلجريف الذى قام برحلته إلى الجزيرة منذ أكثر من مائة عام ، وقد ذكرهم عند الطب العربى والكى والطبابة عند البدو ، وزعم أنهم أشهر قوم فى ممارسة الطبابة بين البدو ، وأنهم شعب شمالى ، وذكر أن

---

(١) عبد الرحمن بن على العرينى : مرجع سابق ، ص . ص ٦٢ - ٦٦ .
(٢) جبرائيل سليمان جبور : البدو والبادية ، مرجع سابق ، ص . ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

سحنتهم بيضاء وتقاسيم وجوههم الجميلة وعيونهم زرقاء وهذا دلالة على أنهم من أصل غير عربى ، وأنهم يختلفون عن أبناء الصحراء الآخرين ، وأن اسماءهم وتقاليدهم تؤيد تحدّرهم من أصل مسيحى ، ولكنه لم يوضح أصل صليبى أو افرنجى *(١) .

– ولقد جاء بالموسوعة الإسلامية كثير من الأصول القديمة عن صليب وفروعهم ، وقد رجح أنهم عرب من دين غير الإسلام فى الأصل ، وأنهم اعتنقوا الإسلام فى عصر متأخر ، وبين أن عاداتهم وأخلاقهم وضعف مكانتهم السياسية والاجتماعية لتشير إلى أنهم ضحايا كارثة أو حرب قديمة هى التى أوصلتهم إلى هذه الحالة من الذل والمسكنة .

– وهناك من أرجح نسبهم فى الأصل إلى الهند وأنهم أستجلبوا كموسيقيين لأحد الخلفاء العباسيين ، (ويدعمون) هذا الرأى بأن لغة صليب تحتوى على بعض التعابير الهندية ، ومما أكد هذا الرأى ما كتبه الفرنسيون عن القبائل البدوية ، كذلك ما جاء فى كتاب القبائل البدوية الذى وضعته السلطة الإنجليزية فى أواخر أيام الانتداب ، ويبين الكتاب أنها قبيلة غريبة ضاع أصلها فى مجاهل الأساطير ، وأن هناك من يقول إنها من أصل هندى بينما يقولون هم عن أنفسهم أنهم من بقايا الصليبيين ، أو بالأحرى من الإفرنج ، ثم أحيانا يقولون إنهم من أصول مختلفة ، منهم من يقول إنهم نصارى من سكان هذه البلاد القدماء ، ومنهم من يقول إنهم عرب من منطقة سموها ، وأحيانا يقولون من بنى مر . أو بنى غانم .... الخ ، فهم يزعمون عند النصارى أنهم من أصل نصرانى ، وعند المسلمين أنهم مسلمون كغيرهم من البدو ، وإذا زارهم أجنبى طمعوا فى شئ من العطاء وادعوا أنهم من أصل إفرنجى .

وهناك من اختلف مع الآراء السابقة فنجد أن الرائد السويسرى " جون لويس بركهارت " وقد كتب عن الوهابية والبدو ، فقال إنهم قبيلة من أهل الشمال لايملكون خيلا ولا إبلا ولا غنما ، وليس لديهم سوى الأتن وقليل من الخيام الرثة ، وقد انتشروا بين قبائل غزة وعرب أهل الشمال، ومورد رزقهم فى الصيد ، ولم يشر إلى أنهم من أصل صليبى أو هندى .

---

* لمزيد من المعلومات عن التقسيمات الاجتماعية والفئات الاجتماعية ببعض المجتمعات العربية يمكن الرجوع الى:

- Ameen Rihami; Around the Coasts of Arabia ,

(١) جبرائيل جبور : البدو والبادية ، مرجع سابق ، ص . ص ٣٣٤ – ٣٣٧ .

وقد كتب عنهم " جون فلبى " الذى قضى أكثر من أربعين عاما من حياته فى الجزيرة العربية فى كتابه " قلب الجزيرة العربية " إن الصلبة قبيلة خاصة اندمجت مع العرب بحكم البيئة، ولكنهم ليسوا من العرب الخلص . إنهم قبيلة ضائعة حجب الزمن أصلها . فالعرب البدو يحتقرونهم ويحمونهم فى الوقت نفسه ، ولهذا فالصلبه يؤدون خدمات نظير هذه الحماية (١) .

وقد ذكر السير " رتشرد برتن " ، الذى قابل هذه الفئة فى رحلته سنة ١٨٥٣ م ، وأسماهم " خلوية " ولم يذكر اسم صليب ولم يشر إلى علاقة لهم بالمسيحيين أو بالصليبيين وقال عنهم : إنهم محتقرون مثل قبيلة هتيم ، وهم حدادون وسمكرية ، ويربون الكلاب السلوقية الأصيلة والحمير ، ويقدمون الأخيرة مهرا للنساء وهى تزيد من احتقار زملائهم البدو لهم ، كما أنهم بجوار المهن التى سبق ذكرها يصنعون قيود ونعال الخيل ونجارة للاكوار والقتب والهوادج ، كذلك صنع القدور والآنية ، والأوتاد ، فقد رضخ هؤلاء المنبوذون تحت نظم قاسية إلى القيام بخدمات خاصة لحماية أنفسهم واستمرار بقائهم ، ومن هذه الخدمات العناية الطبية بالجرحى فى المعارك ، كما يعرفون أماكن الماء ، واقتفاء الآثار ، وقد ساعدهم ذلك على اقتفاء أثر الطرائد فى الصيد .

والمرأة فى " الصلب " أكثر حرية من البدوية ، فلا تكره على الزواج بمن لاترضاه ، ويندر أن تجد ضرة فى بيتها ، وليس ذلك بسبب فقر ، فالصلبه ميسورى الحال بالنسبة لبعض من البدو . ولها دور فى الطبابة واستعمال النباتات الطبية ، كما لها دور آخر وهو الرقص فى حفلات العرس والختان التى يقيمها البدو المجاورون من الشيوخ والكبار . وهى تحسن الرقص ، مما جعل البعض يظن أن الصلب هم الغجر أو النور (٢) .

ولقد حدث تطور فى حياة هؤلاء القوم فى السنين الأخيرة فقد تغيرت النظم فى البادية ، وقد حقق الأمان لهم .

وهناك فئة اجتماعية نجدية جهلت أنسابها العربية أو تجوهلت أو سلبت ، ثم أدخل فيها بعض العناصر غير العربية التى قدمت نجدا بسبب أو بآخر وأطلق على هذه العناصر جميعا لقب الخضيريين ، وهو لقب ليس من المعروف نجديا سببا لإطلاقه على هذه الفئة ، ولاشك أن له مستند لغوى إذ كان النجديون يعتقدون أن أغلب هذه الفئة من الموالى – وهو اعتقاد ليس

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص . ص ٣٣٤ – ٣٥٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ص . ص ٣٣٤ – ٣٥٣ .(١) نفس المرجع السابق : ص . ص ٣٥٤ – ٣٥٥ .

دقيقا– فقد اطلقوا عليهم ما كان يطلق على الموالى عند العرب بأنهم خضر القفا ، على أن البعض يطلق على هذه الفئة أو بعضها صفافير وهى تعنى أحيانا فى اللغة السواد لأن العرب تسمى سود الإبل صفرا، ولعل هذه اللفظة أطلقت على بعضهم لامتهانة صناعة النحاس أو تصفيره لأن الصفر هو جيد النحاس ، وصانعه الصفار ، وليس حكما مطردا أن يكون كل أفراد هذه الفئة أصولهم غير عربية ، فمنهم من هم من أصل عربى . إلا أنهم لأسباب معينة جهلوا هذا الأصل ، ومن أسباب جهل النسب وترك الديار لدى النجديين قديما وحديثا .. أن يستدين فيفلس ولايجد من قبيلته من يساعده على وفاء دينه فيضطر للهرب والاختفاء غير آبه بالانتساب إلى قبيلته ، فينشأ خلفه جاهلين نسبهم ... أو قد يقوم بتنفيذ ثأر قديم فى قبيلته أو حولها أو قد يرتكب جريمة ما سواء كانت قتلا أو غيرها فيضطر للهرب من بلدته وهو يخفى نسبه وموطنه حتى على الأولاد ... الخ من الأسباب ، ومن خلال هذه الأسباب أو غيرها قد تضطر ظروف الحياة على امتهان نوع من الحرف والصنائع التى هى فى نظر صريحى النسب – بادية وحاضرة – من المهن الوضيعة وهو فى هذا يقبل أن يعمل بهذه الأعمال على أن يعيش حرا لاتثقله قيود القبيلة أو البلدة التى فيها أسرته ومعارفه (١) .

ولايفوتنا أن نذكر فئة كان لها تواجدها فى المجتمع النجدى وهم فئة " العبيد أو الرقيق". وهم الأشخاص ذوى البشرة السوداء ، والشعر المجعد ، والأنف الأفطس وهذه الفئة تعتبر فى أسفل السلم الاجتماعى من حيث الترتيب العام لفئات المجتمع ، وينظر إليهم نظرة تختلف عن باقى الفئات ، وكانت هذه الفئة تباع وتشترى وبأسعار زهيدة فقد ذكرت إحدى الاخباريات – بمجتمع الغطغط – أنهم كانوا يشترون هؤلاء العبيد " بالملح " أى بأبخس الأسعار ، وكانت الفئات الاجتماعية المتميزة تمتلك الكثير من العبيد ، فكان شيوخ القبائل تمتلك الكثير منهم كنوع من التفاخر ويصبحون أتباعاً مخلصين له بعد عتقهم ، وكان الرقيق برغم تحررهم فإنهم يظلون محتفظين ببعض مظاهر الرق ، فلا يتزوجون من أمراة عربية ، بل من بعضهم ، أو من أرباب الحرف الذين يستقر بهم الحال قرب القبيلة ، وبرغم هذا فإنهم سواء تحرروا أو لم يتحرروا فإنهم يلقون من أبناء البادية طيب المعاملة وحسن الجوار .

وتنطلق نظرة بعض البدو للرقيق والأرقاء من نظرة الإسلام ووضع كثير من الأرقاء فيه ، هذا الوضع الذى رفع بلالا وصهيبا وعماراً وسلمان الفارسى .

---

(١) عبد الرحمن بن على العرينى : مرجع سابق ، ص . ص ١٩٢ – ١٩٤ .

واستنادا إلى ما سبق فإن جميع من كانوا أرقاء فى السابق للقبائل النجدية قد ألحقوا نسبهم بها مما ترتب عليه كثرة هذه القبائل ، ورفع الوضع الاجتماعى لهؤلاء الأرقاء بعد تحررهم حيث عدوا من ضمن التركيب الاجتماعى لهذه القبائل لهم ما لأفرادها وأفخاذها وعليهم ما عليهم ، ويدين كثير من أبناء هؤلاء الموالى للوضع الجيد الأمثل الذى حصل عليه آباؤهم أو حصلوا عليه فيما بعد التحرر مما يعطى الباحث انطباعا بأن فئة الرقيق أو الموالى فيما بعد قد لقيت من بادية نجد – فى الغالب – كل عطف ورعاية وتكريم لم تلقه فئة الرقيق أو الموالى فى كثير من المناطق المجاورة أو غير المجاورة وهذا أثر على تشبع هؤلاء الأرقاء أو الموالى فيما بعد بكثير من عادات البدو الأصيلة وأخلاقهم الكريمة [1] .

يتضح لنا أن النظرة الاجتماعية لدى البدو بصفة عامة ، ولدى النجديين بصفة خاصة ، نظرة قبلية . ومن هنا كان ثبوت الانتماء العربى مهما لتحديد مكانة الفرد أو الأسرة فى المجتمع . واتضحت هذه النظرة فى قضية الزواج ومزاولة بعض الأعمال والحرف [2] .

والتركيب الاجتماعى لمجتمع نجد مرتبط أيضا بالتكوين الاقتصادى فى هذا المجتمع ، حيث أن حجم ومكانة الجماعات يقاس عادة بحجم أراضيها ، أو بمدى اتساع ديرتها ، وما تملك من الحيوانات كالإبل والخيول والأبقار .

وانطلاقا من المبدأ الاقتصادى الموجود آنذاك فى نجد ، انقسم السكان إلى فئات أخذت اسماءها من واقعها الاقتصادى كالبدو الرعاة العاملين فى الرعى ، والبدو أشباه الرعاة ، وهم رعاة وجناة محصول عند نضوجه ، والحضر الذين يعملون بالزراعة ، والذين يعيشون فى المدن وأشباه المدن ، ويعملون فى التجارة والحرف .

ويختلف التركيب الاجتماعى فى إقليم نجد عنه فى الأقاليم الأخرى ، ففى إقليم نجد نجد مجتمعا مكونا من جماعة بشرية ذات جنس وأصل واحد تقريبا ، ترتبط فى العادات والتقاليد وأساليب الحياة بروابط قوية لم تؤثر عليها نشاطات السكان الاقتصادية ، لذا يمكن توزيع الفئات الاجتماعية فيه إما على أساس النسب من حيث نقاوته ، أو على كبر حجم القبائل أو صغرها كما هو الحال فى المجتمعات البدوية النجدية ، وإما على أساس الأنشطة الاقتصادية كما هو الحال فى الحاضرة فى نجد [3] .

---

(١) عبد الرحمن بن على العرينى : مرجع سابق ، ص . ص ٢٩٢ – ٢٩٤ .
(٢) عبد الله صالح العثيمين : مرجع سابق ص ٣٨ .
(٣) عبد الفتاح أبو عليه : مرجع سابق ، ص . ص ٤٨ – ٤٩ .

كما أن السلم الاجتماعى فى نجد يتباين تباينا واضحا فى كل من البادية والحاضرة . ففى البادية لاتعتبر المعايير الاقتصادية أو المعايير التعليمية الثقافية أساسا فى تنظيم السلم الاجتماعى ، بعكس ما فى الحاضرة حيث تعتبر المعايير الاقتصادية أساسا فى التنظيم الاجتماعى فيها .

فالبدو يرون أنفسهم أرفع من الحضر ويأتون فى الطبقة الأولى من هرم التقسيمات الاجتماعية وذلك بناء على نقاوة أنسابهم . لأن النسب هو المعيار الحقيقى للتنظيمات الاجتماعية عندهم ، لذا كان السلم الاجتماعى فى البادية يعتمد على المعايير الاجتماعية فيها ، ولقد شكل كل من شيخ القبيلة ورؤساء العشائر والفخوذ وحدة اجتماعية تأتى فى الدرجة الأولى من السلم الاجتماعى فى البادية . كما يشكل باقى أفراد القبيلة وحدة اجتماعية تأتى فى الدرجة الثانية من السلم الاجتماعى البدوى . وهناك الجماعات التى ليست من أصل ونسب نقى حسب عرف البدو ومفهوم قوانين البادية ، وهناك من الأفراد والجماعات من هو مشكوك فى أنساب قبائلهم " كما سبق الحديث " ، فاعتبرت هاتان الفئتان من السكان وحدة اجتماعية ثالثة . هذا إلى جانب الفئة الاجتماعية الرابعة وهى المجموعة الدنيا فى المجتمع البدوى ، وهى تضم جماعات الرقيق * وأهالى نجد يطلقون كلمة عبيد – والخدم فى القبيلة (١) .

وفى الحاضرة كان المعيار الاقتصادى أساسا للتقسيمات الاجتماعية فيها . وبعد انتشار الدعوة الإصلاحية فى نجد وما رافقها من سلطة دينية أصبحت المعايير الثقافية والتعليمية الدينية ذات أثر كبير فى التوزيع الاجتماعى ، حيث شكل العلماء فى نجد هيئة ذات نظام دقيق، استولى على قمتها المشايخ المنحدرون من صلب الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبذلك تشكلت فى البلاد وحدة اجتماعية تضم علماء الدين والمطاوعة والمدرسين والمرشدين والوعاظ ، حصلت على امتيازات وسلطة كبيرة فى البلاد . هذا بالإضافة إلى الأسرة السعودية التى تحافظ بقوتها على النظام وتتبناه بسيفها فلها من الفضل ما للعلماء هذا مع الاعتراف بما لهم من علم .

وكمعيار اقتصادى أتى بعد ذلك فئة التجار ورؤساء العائلات الثرية فى التقسيم الاجتماعى الحضرى . أما فى المجتمعات الزراعية فكانت الوحدة الاجتماعية الأولى فيها تتكون من ملاك الأراضى الزراعية وأصحاب أشجار النخيل ، ويأتى عامة السكان فى الدرجة الثانية . أما أصحاب الحرف فيأتون فى الدرجة الثالثة لأن أهالى نجد يأنفون من الحرف ماعدا حرفة البناء . هذا ويأتى الرقيق والخدم فى آخر السلم الاجتماعى (٢) .

* ترفض المراة الصلبية الزواج من عبد ، برغم ضعة مكانة اهلها .

(١) جبرائيل سليمان جبور : البدو والبادية ، مرجع سابق ، ص ٣٥٥ .

(٢) عبد الفتاح ابو عليه ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٣ .

أما من حيث طريقة المعيشة فإن المجتمع النجدى كان منقسما إلى قسمين : حضر وبدو . غير أنه كانت توجد مرحلة انتقالية معينة يمر بها بعض السكان . وهذه المرحلة من الصعب الحاق مجتازيها بأى من القسمين السابقين . ذلك أن هؤلاء لم يقطعوا الصلة بحياتهم البدوية التى كانوا بصدد تركها ، ولم يألفوا بعد الحياة الحضرية التى كانوا فى سبيل الانتقال إليها (١) .

الحالة العلمية والدينية بنجد :

يدخل فى إطار الحديث عن الحالة العلمية والدينية أمور أهمها العلم والعلماء ، والانتماء المذهبى الفقهى للسكان ، والقضاء ، ثم العقيدة وأركان الإسلام .

ومن الواضح أن التعليم فى نجد كان على نطاق ضيق جدا . فقد كان معدوما لدى قسم كبير من السكان ، وهم البادية . وكان قليلا لدى القسم الآخر من المجتمع النجدى ، وهم الحاضرة . وكانت صعوبة الحياة الاقتصادية بصفة عامة ، وانشغال أكثر الناس بالبحث عن لقمة العيش ، وعدم وجود من يتولى التعليم برعاية مالية من الأمور التى حالت بين الغالبية العظمى من السكان وبين السبيل إلى المعرفة . ومع ذلك فقد وجدت محاولات للتعلم والتعليم حسب الإمكانات المتوافرة . ويبدو أن العامل الدينى كان له أثر فى إقبال بعض أرباب الأسر القادرة ماليا على تعليم أبنائهم قراءة القرآن الكريم أو أجزاء منه على الأقل .

ومن المؤكد وجود علماء فى نجد قبل القرن العاشر الهجرى . ولعل من أبرز الأدلة على ذلك الوثائق الشرعية التى كتبها علماء من هذه المنطقة فى تلك الفترة ، ويلاحظ المتأمل فى تراجم علماء نجد الذين سبقوا ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن أكثر من نصف أولئك العلماء قد ولدوا فى بلدة أشيقر وتعلموا فيها ، وأن بعضا ممن لم يولدوا فيها قد وفدوا إليها لتلقى العلم عن مشايخها . ويلاحظ ، أن أكثر من نصف العلماء النجديين فى تلك الفترة ينتمون إلى آل وهبة بن تميم (٢) .

وكان المذهب الحنبلى منتشرا فى نجد . ثم أصبح بعد ذلك المذهب السائد فى المنطقة . ذلك أن علماء نجد الذين ظهروا قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانوا حنابله إلا واحدا قالت عنه المصادر أنه أصبح شافعيا .

---

(١) عبد الله صالح العثيمين : مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٢) عبد الله صالح العثيمين : مرجع سابق ، ص .ص ٤٨ – ٥١ .

والمتأمل فى التاريخ الإسلامى العام يرى أن كثيرا من البدع فى الدين قد انتشرت بين فئات المسلمين عبر العصور المختلفة ، كما يرى أن كثيرا من الخرافات قد تسللت إلى عقائد بعض الناس ، وخاصة الجهال . ومن أمثلة الأمور المخالفة لتعاليم الدين الإسلامى بناء القباب على قبور من يعتقد فيهم الولاية ، وجعل تلك القبور أماكن للعبادة ، وتقديس أولئك الأموات وسؤالهم الشفاعة عند الله ونحو ذلك .

وتختلف المصادر فى وصفها للحالة التى كان عليها النجديون من حيث العقيدة والقيام بأركان الإسلام . فالمصادر المتحمسة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية تعطى صورة قاتمة لتلك الحالة ، ولكن من المؤكد من بعض العلماء والمصادر أن بلاد نجد كانت فى حاجة إلى دعوة إصلاح دينية توضح للناس ما خفى عليهم من أمور الدين وأحكامه [١] .

وكان التعليم السائد فى بلاد نجد تعليما يسير على الطريقة القديمة فى أسلوبه وكذلك فى مادته . إذ لم تكن فى البلاد مدارس منظمة بالمفهوم الحالى سوى ما كان من مدارس أهلية، خاصة بتعلم القرآن وأمور الدين ومبادئ القراءة والكتابة وكانت كلها على الطريقة التقليدية المعروفة . وكان من المتعارف على تسميتها بالكتاتيب ، أو " القراية " .

ومن الملاحظ والثابت أن بلاد نجد كانت بعيدة عن تيار العلم المنفتح على الخارج ، بعكس الحجاز مركز الاحتكاكات مع الخارج وذلك عن طريق مكانته الدينية والتجارية . هذا إلى جانب أن المطبعة دخلت الحجاز فى العهد العثمانى سنة ١٨٨٢ م (١٣٠٠ هـ) ولم يكن هذا متيسرا فى نجد [٢] .

وبعد انتشار الدعوة الإصلاحية فى نجد فقد عملت هذه على تعليم الأعداد الكثيرة من النجديين ليكونوا وعاظا ، ومن هنا كان تشكيل هيئة دينية فى البلاد سميت " هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " ولقد كان المشايخ المشرفون على الهيئة وأفرادها بحاجة ماسة لتعليم أعلى وثقافة أوسع تنفتح على العلوم جميعها والواقع أن الدعوة السلفية (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) أحدثت ثورة علمية دينية فى نجد وخارجها فأحيت مذهب الإمام احمد بن حنبل وقضت على مجموعة الخرافات والبدع ، وعلى كل ما شاب العقيدة الإسلامية ومفاهيم الإسلام .

---

(١) عبد الله العثيمين :مرجع سابق ، ص ٥٤ .

(٢) عبد الفتاح ابو عليه : مرجع سابق ، ص ٢٩ .

وكان التعليم يقتصر على القراءة والكتابة والعلوم الدينية والسيرة وشئ من التاريخ وبعض مبادئ العلوم العقلية كالحساب. والحق أن اللهجة النجدية كانت قريبة جدا من اللغة العربية الأصلية ، ومع هذا فهى لاتخلو من تعبيرات عامية بعيدة أحيانا كل البعد عن الفصحى ، كما خالطتها تعبيرات وكلمات أجنبية . ونفسر هذا بأنه نتيجة للعلاقات التجارية مع الخارج ، حيث أن تجار المنطقة كانوا على اتصال بالبلاد العربية المجاورة والأكثر انفتاحا على الخارج ومع البلدان الإسلامية الأخرى فى شرق آسيا .

ومع أن نسبة التعليم فى نجد كانت منخفضة تماما ، إلا أنه ظهرت فى البلاد مجموعة من الأدباء والشعراء الذين سجلوا أدبهم وأشعارهم بخط أيديهم لعدم توفر المطبعة الحديثة آنذاك ، وهناك بعض المخطوطات التى عثر عليها وتم طبعها .

ومن الأدب النادر فى نجد تلك المجموعة من الشعر الشعبى الذى نظم بلهجة عامية والذى كان وليد الحوادث الكبيرة ، وقد سمى هذا النوع من الشعر العامى بالشعر النبطى الذى اهتم به سواد الناس فى نجد لأنه الشعر التقليدى الشعبى الذى يصور الحياة الاجتماعية الشعبية . ويحتل هذا الشعر مكانة كبيرة فى الحفلات الشعبية والرسمية فى البلاد . هذا إلى جانب أن الشعر كان يدور فى فلك الدعوة الإصلاحية وفى تأسيس كيان الدولة (١) .

استخلاصات أساسية :

- لقد لعبت البيئة دورا كبيرا ويكاد يكون كاملا فى حياة الفئات الاجتماعية النجدية وتوزيعهم الجغرافى . فإن قسوة البيئة الصحراوية أدت إلى ازدياد ارتباط الفرد بقبيلته لأنها المجتمع الذى يحميه ويدافع عنه وينظم هجرته الموسمية والشرائية ولأنها ضمنت له تكافلا اجتماعيا ، مقابل تقديم الولاء الكامل للقبيلة وشيخها ، وذلك باحترام قوانينها وأحكامها وإن كانت فى غالبها تحمل سيطرة القبيلة الكاملة (٢) .

ولذلك أرتبطت الجماعات البشرية فى هذا المجتمع بروابط تعتبر عن عوامل وحدتها . فالبناء الاجتماعى للجماعات البشرية فى كل من سكان البادية والحاضرة مبنى على أساس قبلى . والقبيلة هى الوحدة الكبرى فى هذه المجتمعات .

---

(١) عبد الفتاح ابو عليه : مرجع سابق ، ص ٣٢ .

(٢) عبد الفتاح ابو عليه : مرجع سابق ، ص ٢٠ .

- والشيوخ يختارون من أكبر وأجود وأكرم وأشجع رجال القبائل . والشيخ هو المسئول المباشر عن أفراد قبيلته ، إلا ان بعض الكتابات تؤكد على أن سلطة الطبقة المؤلفة من شيوخ القبائل وذوى النفوذ فى العائلات ، تلك الطبقة التى تسلمت شئون القبائل كانت تجر القبائل فى كثير من الأحيان إلى نزاعات قبلية مع القبائل الأخرى ، وذلك نتيجة تأثر مصالح القبائل بمصالح هذه الطبقة . وهذا يفسره لنا كثرة الحروب القبلية التى كانت نتيجة لأطماع رؤساء القبائل ، والتى خلقت جوا من المنازعات والصراعات على موارد الحياة الاقتصادية .

- ويرى بعض العلماء أن الوضع الاجتماعى والحياة القبلية تتناقض تناقضا شديدا مع ما هو واقع فى المدينة . فالقبلى يشعر بالاحترام الشديد إلى درجة التقديس لقبيلته، ويعتمد الأفراد فى القبيلة اعتمادا كبيرا على السلطة السياسية التى يمثلها(الشيوخ) لحل قضاياهم ومشكلاتهم والدفاع عن حقوقهم واستردادها فى حالة اغتصابها من أفراد آخرين وتربط بينهم روابط قرابة معقدة ، ويشعرون بالولاء لموطنهم الأصلى ويذكرونه دائما ويحنون إليه وهم فى هجرتهم إلى المدن القريبة من مواطنهم الأصلية للعمل وتحسين مستواهم الاقتصادى ، وكثيرا ما يتعرض القبلى المهاجر لإحباطات عديدة نتيجة لعدم اندماجه الكلى فى مجتمع المدينة ولعدم مطابقة سلوكه لسلوك المدنيين وهو إذا استطاع أن يعدل فى سلوكه فإنما هو تعديل مكانى سرعان مايزول بعودته إلى موطنه الأصلى حيث يمارس سلوكه السابق [١] .

- والبدو لم يعرفوا مفهوم الدولة والنظام والمواطنة والحدود والشعب . وإن من مشاكلهم تمسكهم الشديد بالنسب ونقاوته ، فمن اعتقادهم أن هذا من عوامل ترابط مجتمعهم وأنه كان مجالا لتفاخرهم مع الجماعات الحضرية فى المجتمع الكبير [٢] .

- فى بعض الأحيان كان البدو يعملون للتخلص من الحاكم القوى فى منطقتهم وذلك بمساعدة عدوه عليه ليعودوا إلى ما جبلوا عليه من غزو وسلب ونهب ، والبدو إذا ما وجدوا نظاما قويا كما هو الحال فى عهد الحكومات السعودية فإنهم يحافظون على الهدوء والسلام ويتأقلمون مع الوضع الجديد وإلا كان العكس .

---

(١) سعيد فالح الغامدى : البناء القبلى والتحضر فى المملكة العربية اللسعودية ، مرجع سابق ، ص . ص ٢١-٢٢ .

(٢) عبد الفتاح ابو عليه : مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

وقد واجهت الجماعات البشرية فى حاضرة نجد مشكلات كثيرة ، مثل سلب البدو لقوافلهم التجارية المارة بأراضيهم . ويعود ذلك لضعف السلطات المحلية فى الأقاليم مما يؤدى إلى انقطاع الأمن فيها . وهذه الاعتداءات لم تنعكس على المجتمع فقط . بل كانت تتأثر بها السلطات كذلك ، إذ ينخفض مقدار ما تأخذه من ضرائب نتيجة لتعطل التجارة ، بالإضافة إلى أن أسعار التمور كانت أحيانا تنخفض إلى النصف ، كما حدث عام ١٩٠٧ ، عندما انقطع الأمن فى الإحساء وتوقفت التجارة وبخاصة تجارة التمور التى كانت تصدر للخارج (١) .

(١) عبد الفتاح ابو عليه : مرجع سابق ، ص . ص ١٣٠ - ١٣١ .

البـــاب الثانـــــــى

" الدراسة الميدانية "

البنـــاء الاجتماعـــى

الفصل الأول

تعريف سريع بمجتمعات الدراسة

- مجتمع القصب .
- مجتمع الحائر .
- هجرة الغطغط

– مجتمع القصب :

تعتبر " القصب " قرية صغيرة إلى وقت قريب ، ويطلق عليها إداريا فى الوقت الحالى " مدينة " إلا أنها ما زالت تعتبر من القرى المتحضرة ، ومدينة القصب نشأت قرية صغيرة دعت الحالة الأمنية الى احتمائها بسور قديم يصل ارتفاعه إلى أربعة أمتار تقريبا ، وهو مبنى من الطين بطريق تسمى " العروق " وهى خلط الطين بالماء وتكوين طبقة من الأسفل وتترك فترة تصل الى يومين أو اكثر حتى تجف ثم توضع الطبقة الأخرى إلى أن ينتهى من البناء فيكون على شكل عروق مستطيلة قد يصل الى خمسة عشر عرقا ، وهذه الطريقة من البناء تجعل من هذا السور بناء قويا ويتحمل العوامل الطبيعية المختلفة فلا تؤثر فيه مياه الأمطار مثلا ، ويطلق على هذه الطريقة من البناء بريف مصر " الطوف " ، وللسور بوابات فى معظم الجهات ، وذلك لدواعى الأمن فهى تفتح فى النهار وتغلق فى الليل . ولا يوجد بالقرية شوارع بمعناها الصحيح ، ولكن يوجد حارات ضيقة لا تتسع لأكثر من مرور الناس والدواب ، وبالطبع كان لهذا التقارب بين البيوت دواعى أمن ايضا ، وذلك ليسهل حراسة القرية ، ويسهل أن تحاط بالسور ويسهل حماية أهل القرية لأنفسهم ، وبهذا نجد السور قد أحاط القرية مكونا مستطيلا طوله فى حدود خمسمائة متر من الشمال إلى الجنوب وحوالى ثلاثمائة متر من الشرق إلى الغرب تقريبا .

ولدواعى الأمن أيضا نجد " المرقب " وهو بناء مستدير يشبه " البرج " مبنى فوق مكان مرتفع يعلو عن سطح الأرض ، ويصعد به رجل حاد البصر يرقب كل المنطقة ويسمى هذا الرجل " رقيبه " أو " السبر " لأنه يسبر المكان بعينيه أو يرقب المكان ، ويصعد هذا الرجل فى أوقات متفاوتة ، بشرط أن تكون آخر مرة قبل الليل كى تطمئن القرية فى فترة الليل ، كما أنه يعرف الحملات التجارية المسالمة من غيرها من الحملات المغيرة والتى يقوم بالتبليغ عنها عند رؤيتها من بعيد .

كما أن نخيل القرية يحاط أيضا بسور . وهناك الأبراج التى تستخدم فى أوقات الحروب ، وفى المدافعة عن القرية فيحتمى بها الرجال فى أيام الخوف وهى الأيام التى يتوقعون فيها الإغارة عليهم .

سبب التسمية :

يذكر أن القصب قديما كانت تسمى " قصيباء " و " القصيبات " ، وذلك لتناثر مساكنها وقلتها فتظهر للناظر من بعيد وقد كونت هذه المساكن قصبات من الدور الدائرية فى بنائها والمتباعدة عن بعضها [1] .

---

(١) ناصر عبد العزيز الحميض : مدينة القصب أرض الملح ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م ، ص ٢٦ .

الموقـــــــــع :

هى احدى مجتمعات منطقة الوشم فى إقليم نجد ، وتعتبر من المدن الصغيرة القليلة الكثافة ، وتقع شرق مدينة شقراء بحوالى ٣٥ كيلومتراً ، وهى فى موقع متوسط بين جبال طويق شرقا ، والنفود غربا ، وتشكل الجبال الشرقية والرمال الغربية حماية طبيعية ، وتحديدا تضاريسيا لها ، ولقد تحرك هذا الموقع كمركز لدائرة غير ثابتة المحيط إذ أن الموضع الأول يقع على بعد اثنين كيلومترين تقريبا من موضعها الحالى فى الاتجاه الجنوبى الغربى ، ولا تزال آثار الأسوار قائمة حتى الآن فى الرقيبية وفى موضعها فى العود [١] ، ويطـــلق علـــى الجدار " قصر الشيخ " ولقد حدث نوع من الامتداد للمدينة نحو الجنوب ، وإقبال من السكان على الأجزاء الملاصقة لذلك الموضع الجديد وأطلق عليه " الصويدرية ؛ مسهرة ؛ بلوى " كأحياء جديدة ، وظلت الأحياء القديمة تمثل تناقضا عمرانيا وسكانيا ، ومع النهضة التى شملت المملكة ظهر التنظيم الجديد للشئون البلدية والقروية وظهرت المخططات الجديدة ، والتى وفرت للأهالى متطلبات البناء الحديث ، ووفرت الإقامة الدائمة ، فتم اختيار الموضع الجديد بعد إنشاء المجمع القروى بالقصب واستقراره وفراغه من تخطيط الأجزاء الشرقية والجنوبية الشرقية من آخر موضع لمدينة القصب ، وكان انتقال المدينة إلى موضعها الأخير هذا سريعا فى فترة تقارب أربع سنوات .

المناخ بالقصب :

لا يختلف مناخ القصب عن مناخ منطقة وسط نجد عموما ، فهى ذات مناخ صحراوى متطرف بين الحرارة والبرودة فى فصلى الشتاء والصيف ، فقد تصل الحرارة فى الصيف إلى ٤٦ درجة مئوية ، وقد تصل فى الشتاء إلى ٢ درجة مئوية .

أما الأمطار فقليلة وغير منتظمة وتســـقط فى فصـــل الشـــتاء والربيع وتنقلها الرياح (الغربية العكسية – الجنوبية الغربية) ، وقد أثر على القصب بعدها عن جبال طويق فلم تكن فى حماية من الرياح الشرقية والشمالية الشرقية الباردة التى تهب عليها شتاء ، ولذلك تتأثر المزروعات من تلك الرياح ، كما أكسبها هذا الموقع ميزة إذ حصلت على أرض زراعية كبيرة والناتجة من إرساب الأودية للطمى [٢] .

(١) المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٢) – عبد الله بن خميس معجم اليمامه ، المعجم الجغرافى للمملكة العربية السعودية ، ح ٢ ، ص ٢٨٨
– ناصر عبد العزيز الحمضى : مرجع سابق ، ص ١٤ .

لمحة تاريخيـــة :

لقد مرت القصب بفترات مظلمة من تاريخها ، بعدت فيها عن تعاليم الدين الإسلامى الصحيح ، وخيم عليها جو أشبه ما يكون بالجاهلية الأولى بكل مظاهره من تنازع وفرقة وحرب وقطيعة وخلاف . وأسهمت عزلة البلد وعزلة المنطقة ككل فى تدعيم هذه النزعة ، وإذا تتبعنا تاريخ القصب فى هذه الفترات نجد أنه فى سنة ١٠٠٥ هـ ، فجم الشريف حسن بن حسين بن حسن على بلد القصب ونهبها ودمر بلد الرقيبية المعروفة بالقصب ، وقتل رئيس القصب . ثم توالت الغارات من والى القصب ، إلى أن أتت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولم يبادروا بقبولها ، فغزاهم الأمير عبد العزيز بن محمد بجيش من الدرعية وحاصرهم وضيق عليهم الخناق وأخيرا صالحوهم على أن يؤمنوا بالدعوة (١) .

كل هذه الأحداث توضح لنا أن مجتمع القصب لا يختلف عن غيره من مجتمعات نجد ، حيث الحروب المستمرة ، والسلطة للأقوى .

ويقال إن هذه الآثار الموجودة فى القصب وما حولها هى " القصيبة " قديما ، وهى لا تبعد عن منطقة الملح أكثر من نصف الكيلو ، فقيل إن الملح قد طغى على مائها ، ولم تعد صالحة للحرث ولا للاستعمال ، فنزحوا إلى المنطقة التى تقوم عليها القصب الآن . وجنوب بلدة القصب ملاصق لها آثار وأطلال ، منها قصر كبير يطلق عليه الآن قصر " السيايرة " – آل سيار – من الدعم من بنى خالد ، وإلى ما قبل خمسين سنة كان قصر آل سيار موجودا ، ولكنه الآن أصبح ضمن مبانى بلدة القصب (٢) .

حدود القصب الحالية :

حدود القصب العمرانية حددها المجمع القروى بالمخططات والتخطيط . أما المزارع فهى تنتشر حسب جودة الأرض وقربها من القرى الأخرى حيث تكون المناطق الزراعية مناصفة بين القرى المجاورة لبعضها البعض .

الحركة السكانية بالقصب :

كانت الهجرة من وإلى القصب دائمة وكثيرة فى مرحلة ما قبل البترول ، وكانت معظم

---

(١) ، (٢) عبد الله بن خميس : مرجع سابق . ص . ص ٢٨٨ – ٢٨٩ .

الهجرات سعيا وراء الرزق ، ووليدة لظروف اقتصادية معينة ، فكان سبب الهجرة فى الماضى هو الفقر وضيق الموارد .

ولذلك هناك من يقدر عدد السكان المقيمين فى مدينة القصب بحوالى ٣ آلاف نسمة وعدد يقارب لهذا العدد قد استقر فى مدن أخرى مثل الرياض والكويت والقصيم ، وتعتبر الرياض أكبر مدينة جذب لهؤلاء المهاجرين فى السنوات الأخيرة نظرا لظروف الحياة الحديثة ، ولتوفر سبل العيش ، وتوفر الخدمات وخاصة التعليم الجامعى ، ومصالح أخرى تحتم عليهم الاستقرار بعيدا عن موطنهم .

وقد ذكرت بعض المصادر [١] سكان القصب وقبائلهم كما يلى :

- أسر من تميم منهم : " آل الحميضى " ، و " آل مسعد " ، " آل جريد " ، و " آل عتيق " ، و " آل الحسينى " ، و " آل نمى " .
- وفيها أسر من البقوم ومنهم " آل زاحم " ، و " آل سويد " ، و " آل غدير ، و " آل عوجان " .
- وفيها أسر من عنزة منهم " آل فوزان " ، و " آل جلعود " .
- وبها أسر من بنى خالد أمثال : " آل شعلان " ، و " آل غنام " ، و " آل الرحمة " ، و " آل كنعان " ، و " آل شبيب " ، و " آل جمعه " ، و " آل صالح " ، و " آل ثقبه " ، وبها آل فنتوخ " ، وأسرة علم وفضل وهم من بنى زيد وفيهم إمامة القصب ما يقارب من مائة وعشرين سنة ولا تزال فيهم .

  وبها بقايا من آل سيار أهلها الأقدمين .

  وبها آل قاسم قحطانيون ، وآل جريان من ظفير ، وبها من بنى هاجر المظافير ، وغير هؤلاء من الأسر الكريمة .

ويعتبر عدد السكان فى هذه المنطقة شبه مستقر ، فلم يشهد مجتمع القصب هجرة مفاجئة ، وفى نفس الوقت لم تكن مواردها متاحة لقفزة سكانية ينتج عنها تغيرات مفاجئة ،

---

(١) عبد الله بن خميس : مرجع سابق ، ص ٢٩١ .

فهى تحتفظ بهيكل سكانى وعمرانى واقتصادى تأثر مثله مثل باقى المناطق بالمملكة بالطفرة الاقتصادية التى شملت المملكة ككل .

والكثافة السكانية بالقرية قليلة بالمقارنة ببعض المجتمعات الأخرى بإقليم نجد ، وهذه القلة العددية من السكان تعمل فى أنشطة اقتصادية متعددة ، مما أدى إلى تناثر القوة البشرية بأعداد قليلة موزعة على أنشطة اقتصادية متعددة منها الزراعة ، وإنتاج الملح ، والتجارة والعمل اليدوى .

القصور بالقصب :

جمع قصر .. ويراد بها المناطق الزراعية التابعة لبلد ما ولكنها نائية عنه فيضطر أهلها لإقامة قصر أو قصور بها ، يشمل كل قصر سور واحد ، وتقام به عدة مبانى شعبية يسكنها عدة أسر ، بقدر الآبار المزروعة التى تحف بالقصر . ينتشرون نهارا فى زراعتهم وفى الليل يأوون بدوابهم إلى هذا القصر .... وإذا كانت الظروف غير آمنة يضعون رقيبا فى أحد أبراج هذا القصر أو أمكنته المرتفعة يراقب التحركات المريبة ، فإذا شعر بشئ من ذلك وتأكده رفع صوته ، أو أطلق طلقة من بندقيته لتراهم قد تجمعوا بمواشيهم ودوابهم داخل هذا القصر .

وهكذا يعيش أهل القصب مثلهم مثل باقى قرى نجد ، قرونا متعاقبة على هذه الوتيرة حتى تغيرت هذه الظروف الأمنية .

وهذه القصور معروفة حتى الآن ولا تزال تستقبل الزراع شتاء لزراعة " البر " ، وقليلا ما تستعمل صيفا ، وأشهرها فى اليمامة مثلا قصور " ضرماء " ، وقصور " ثادق " ، وقصور " القصب " ، وقصور " شقراء " ، وقصور " ثرمداء " ، وهكذا يكون لهذه القصور أثر كبير فى إنتاج البر فى هذه المنطقة [1] .

إنتاج الملح وتجارته بالقصب :

يستخرج الملح من صبخة القصب ، وهى المنطقة الجنوبية للبلدة . ويعتبر الجزء المستغل من هذه الأرض صغيرا ، وذلك لعدة اعتبارات أهمها إرتفاع تكاليف الحفر وأجور العمالة ويسمى هذا المكان " جفارة " وبه عدة " جفر " وتبدأ عملية إنتاج الملح باختيار قطعة أرض تكون قريبة لطريق يمكن إستخدامه " مدقا " بحيث يسهل نقل الملح .

---

(١) عبد الله بن خميس ، مرجع سابق . ص ص ٢٩٢ – ٢٩٣ .

وكان الملح يستخرج قديما بطريقة بدائية ويحمل على الجمال إلى القرى المجاورة ويسمى من يحملة " جمال الملح " وانتاج الملح يزداد مع كثرة الأمطار ويقل عندما تشح المياه ويصعب الحصول عليها ويزداد عمقها . ويفضل بالطبع شراء جزء قد ظهر فيه الملح سابقا ، لأن هناك أجزاء يتم فيها الحفر ويفاجأ صاحب الملكية بفشل مشروعه إذا كانت نسبة الأملاح فى المياه أقل أو اكثر من المعدل المطلوب لإنتاج الملح * .

وبعد شراء قطعة الأرض تحدد ملكيته بأن يحيطها بسور من التراب مرتفع قليلا حوالى نصف متر ويسمى " حبسا " والأرض مربعة الشكل طول الضلع حوالى ٥٠ مترا ثم تأتى مرحلة الحفر فى الأرض وهى أصعب مرحلة ومكلفة .

الزراعة بالقصب :

والقصب منطقة زراعية خصيبة يجود " برها " وتخصب زراعتها ، وتستقبل أودية جيدة لها أثر فى وفرة الماء وخصب الأرض ، فهناك واديها الكبير الذى يقبل من صفحة " طويق " مارا ببلدة " الحريق " ويفضى الى " القصب " فيروى نخيلها ومزارعها مارا " بالرقيبية " ، و " بالغابة " حتى يفضى إلى " ألسبخة " . وشرق " القصب " منطقة زراعية بها ما يقرب من سبعين قصرا ، تضم أكثر من ثلاثمائة بئر زراعية يصب فيها أودية ، منها : وادى " العمار " ، ووادى دويغر ، ووادى " أبا طليحات ، ووادى " أبا الجرفان ، ووادى " أعيوج " ، وبالقصب جبال مشهورة مثل أنف المتينة ، والشفيعى والقمعة ، وكلها متصل بجبل طويق .. وبها طرق جبلية وعقاب وأثماد وقلات ، وبمنطقة القصب رياض ومنتجعات وفلوات خصبة جيدة ، وجنوب القصب خلف السبخة مناطق زراعية وأثرية ونخيل بعلية [(١)] .

التجارة بالقصــــب :

لا يمارس التجارة فى جميع مجتمعات الدراسة إلا الرجال ولا يذهب للأسواق سوى الرجال ، وهناك سوق بقرية القصب يتكون من دكاكين متلاصقة على شكل مستطيل يقابلها أرض فضاء تتخذ " كحراج " **عام لبيع الإبل والأغنام والسمن و "الأقط" ***، والصوف

---

* إذا كانت الأملاح قليلة فلا يتكون الملح ، وإذا زاد أخرجت نوع من الملح يسمى " صالوخ " طعمه مر ومتحجر ويشبه لوح الزجاج .

(١) عبد الله بن خميس : مرجع سابق ، ص ٢٩٣ .

** الحراج : هو مكان فسيح توضع فيه البضائع على شكل " المزاد " العلنى .

*** الأقط : نوع من الطعام ينتج من اللبن بعد تجفيفه .

وجميعها من الأصناف التي يأتي بها البدو ، ويستبدلونها بما يحتاجون اليه من تمر أو هيل أو قهوة " بن " و " المحامل " و " الفناجيل " و " القماش " .. إلخ ، وليس هناك تخصص فى سوق القرية ، بل توجد جميع أنواع السلع المطلوبة فى الدكان الواحد ، فتجد " النعال " الأحذية وتجد " الأقمشة " إلى جانب أنواع الأغذية والتوابل والأعشاب .

الخدمات بالقصب :

التعليم بالقصب :

كان التعليم قليلا ويقوم به المطوع حيث يقوم بتعليم الصبية على ألواح خشبية من بعد صلاة الفجر حتى صلاة الظهر ، ثم تؤخذ فترة راحة حوالى ساعتين ، ثم يبدأ العمل بعد ذلك الى وقت صلاة العصر ، ومن أوائل المطوعين الذين قاموا بمهمة التدريس سليمان القاسم ، وابراهيم السويد ، وعبد العزيز بن المحارب ، وكان يصرف للمعلم من أوقاف خصصت لهم تسمى " أسبال " هذا بالاضافة للهبات التى كانت تعطى له من أهالى الصبية .

وبالنسبة للإناث فلم تحرم من التعليم فى مجتمع القصب فكانت هناك " المطوعة " لتعليم البنات قراءة القرآن ومن أشهر السيدات ، نورة النمى " أم هديب " ، وقد قابلت الباحثة سيدات يقرأن القرآن ويقرأن الكلمات التى تشبه فى كتابتها كتابة القرآن الكريم فقط ، وكانت هؤلاء السيدات تدعون بالرحمة للمطوعة " نورة " .

خدمات التعليم حديثا :

بالقصب خمس مدارس ، مدرسة إبتدائية ذكور وبها ستة فصول ، ومدرسة ابتدائية بنات وبها أيضا ستة فصول ، وبها مدرسة متوسطة بنين ومتوسطة بنات بكل منها ثلاثة فصول ومدرسة ثانوية بنات بها ثلاث فصول أيضا [١] .

كما يوجد بالقصب مركز رعاية صحية أولية ، كما أن بها مجمع قروى ، ومحكمة ، ومركز إمارة ، ومياه عامة ، وكهرباء عامة ، ومكتب بريد ، وهاتف [٢] .

---

(١) مصلحة الإحصاءات العامة ، وزارة المالية والاقتصاد الوطنى ، حصر الخدمات .
(٢) نفس المرجع السابق .

مجتمع الحائر

نبذة تاريخيــــــة :

يرجع تاريخ الحائر القديم ٣٩٨ هـ إلى قبيلة سبيع * ، وسبيع بضم السين من بنى عامر بن صعصعة من العدنانية ، أما بنو السبيع بفتح السين ، فهم بطن من " همدان " وهى قبيلة يمنية تجمع " حاشدا وبكيلا " ، التى عاشت تحت ظروف صعبة من التقاتل والتناحر القبلى ، مما أدى إلى إنتشار الفوضى ، والسلب والنهب ، حتى عم الخوف والذعر سكان المنطقة ، وأصبح التنقل متعذرا بين الحجاز – موطن سبيع الأصلى – ونجد ، والأودية ، فأخذ " عقيل بن عرينه " يفكر بماذا يحمى عشيرته ، وجيرانه من هذه الكوارث ، فاستمال بعض القبائل وتحالف معها ، حتى استطاع أن يرجع إلى المنطقة أمنها بين الحجاز ونجد ، ثم استمر الحال على يد مسعود بن عقيل ، من توحيد الكلمة بين العشائر ، حتى أتى جبران بن مسعود السبيعى وتزعم القبائل ، ولكنه كان عنيفا قاسيا ، فنفرت منه العشائر ، وتفرقت العشائر المتحالفة ، وأصبحت سبيع والبقوم ، بعد ارتحال حلفائها غير قادرة على حرب القبائل ، ولم يكن أمامها سوى هجرة بعض الأفخاذ وانتقالها من الواديين ، فرحل من الخرمة ، ورانية ، وتربة بعض من بنى عمر ، وبنى عامر ، وبنى عمير ، ومنهم المشاعبة ، والصعبة ، والخصران ، وبنى ثور ، والعرينات ، وعجمان الرخم ، والقواودة ، والمشاعلة ، والأعزة ، والصملة ، والجمالين ، واستوطنوا نجدا ، وتفرقوا فى كل من الصمان ، والدهناء ، ورماح ، وحضر العك ، والحسى ، والرمحية ، والحفيرة ، والحاير ، وطبيعة فى الخرج ، وتحضر منها من تحضر ، وسكنوا المدن ، مثل هجر ، والرياض ، والوشم ، والقصيم ، وأقربهم إلى التحضر ، العرينات وبنى ثور [٢] .

الســـــــكان :

وبنجد فى " العارض " أفخاذ من سبيع هى :

١ – بنو " عمــر " :

أ – الخصران .　　　　　ب – الصعبة .

---

* يبلغ تعداد السكان " ٢٠٠٠ " نسمة حسب تعداد وكالة الوزارة للشئون البلدية والقروية ، ادارة الإحصاء والبحوث .

(٢) فهد المحمد الربيعان : العرينات ، مطابع البـادية للأوفست ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ ، ج ١ ، ص ١٦ ، ص ١٨ .

أ – الخصران : أربع عشائر هي :
- الصملة ، آل مجفل آل دهيم .
- الجبور ، آل جفيران .
- النبطة .
- العرينات والملوح .

ب – الصعبة : أربع عشائر هي :
- الجمالين والبليدات .
- آل الشرفى .
- المدارية آل نافل .
- آل عزة . آل جفران امراء العزة .

٢ – بنو " عامر " وفى الحائر منهم :
- العنوقة .
- عجمان (الرخم) ، وآل هديهد .
- العبادين .
- الصيافى .
- القواودة .
- القدعة .
- بنو " حميد " آل زيار (١)

ويذكر أن معظم أفراد هذه القبيلة . قد جنحوا للحضارة والاستقرار ، وسكنوا المدن ، وانخرطوا فى الوظائف الحكومية ، وعملوا كضباط وجنود ، وفى الأعمال الخدمية ... الخ ، ويقدر مجموع أبناء هذه القبيلة بنحو أربعين الفا (٢) .

وسبيع الحائر " العارض " هم فخذ من العزة من سبيع ، وكان موطنهم بالحجاز إلا أنه قد حدث خلاف بينهم وبين أهل رانية والخرمة فى الحجاز فرحلوا إلى الحائر بعد أن حاربوا أهلها وأخرجوهم ، واستوطنوها ، ولذلك يسمى أفخاد سبيع الموجودة بالحجـاز بـ " سبيع العلا " ، أما أهل الحائر فيسمون " سبيع الحدارية " لأنهم انحدروا إلى هذا الموطن .

---

(١) حمد بن ابراهيم بن عبد الله الحقيل : كنز الأنساب ومجمع الآداب ، مطابع النهضة ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م ، ط ١٠ ، ص . ص ١٨٠ – ١٨١ .
(٢) فهد المحمد الريبعان ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

وتنقسم الحائر الى بدو وحضر ، حائر الحاضرة وهم المستقرون طوال العام ويعملون بالزراعة * ، وحائر البادية وهم أنصاف رحل ، يستقرون فى فصل الصيف فى مساكنهم بالحائر ، ويرحلون فى فصل الشتاء .

الموقــــع :

تشتمل منطقة " العارض " بالإضافة إلى الرياض على مراكز عمرانية تقع على ضفاف وادى حنيفة وروافده مثل العيينة ، والجبيلة ، والدرعــية ، وعرقة ، وعريجة ، والحاير ، وعجاج .

وتقع الحائر وسط الجزيرة العربية ، وتبعد عن مدينة الرياض العاصمة ثلاثين كيلومترا من الجهة الجنوبية ، وهى عبارة عن واد منخفض يحيط به سهل صغير من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية ، ويحيط بالسهل سلسلة جبال عالية مكونة من عدة شعاب تصب فى منطقة الحائر ، كما يخترق هذه القرية وادى حنيفة المعروف ، ومجموعة من الواديان ، كوادى { نساح " ، ووادى " الحاء " .

مجتمع الحائر وسبب التسمية :

تنطق بكسر الهمزة أو بالياء فيقال " الحائر " أو " الحاير " ومعناها الماء الحائر ، فتقول بعض الروايات القديمة أن سبب تسمية الحائر بهذا الاسم لأنه يصب فيه مجموعة وديان ويحار فيها الماء ، لأنه لا يخرج إلا من واد واحد فقط لذلك أطلق عليهـــا هذا الاســـم ، اما أهل الحائر فيرجعون سبب التسمية ، إلى ســـبب آخر فيذكرون أن الحائر كانت تسمى قديما " الملتقى " ، وقد قامت حرب بين أهـــل الحائـــر " من قبيـــلة سبيع " وقبيلـــة اليامية من نجران وقد كان القتلى فى هـــذه الحرب بأعـــداد كبيـــرة ، فحـــار الدم بينهم فسميت بالحائر .

---

* يعمل بالزراعة فئات اجتماعية معينة ليس منها أهل القبائل ، فأهل القبائل رعاة فى الغالب ، وهم لا يستنكفون العمل بالرعى ، فيقال " الرعى مهنة الأنبياء " أما الزراعة فهم يستنكفون العمل بها ، ويقررون صراحة ، لماذا العمل بيدى بالزراعة ، وهناك من يعمل بدلا منى سواء فى الماضى عن طريق فئات معينة فى المجتمع تخصصت فى ذلك ، أو عن طريق العمالة الوافدة فى الوقت الحالى ، ومنهم من يعلل عدم اشتغاله بالزراعة لعدم المعرفة فهو لم يتعود مثل هذا العمل ولم يتقنه .

الحائر القديمة :

هى منطقة الوادى المزروع بالنخيل وكان يسكنها أهل الحائر قديما ، وما زالت بيوتهم القديمه موجودة إلى الآن ، وقد هجرت وتركت شبه مهدمة ، وهى محاطة بجبال تعلوها بروج قديمة قد شيدت فى أعالى هذه الجبال فرضتها ظروف المنطقة حيث الغارات المستمرة ، فكان يحتمى فيها او يتمركز فيها الرماة اثناء الغزو والحروب ، كما أنها هامة لرصد أى غزو من مسافات بعيدة ، فيعلن عن ذلك ليستعد الجميع لملاقاة هذا الغزو وصده .

حائر الجديدة :

بعد أن تحدثنا عن منطقة الوادى " وهو المكان المنخفض المزروع بالنخيل وبه مزروعات بسيطة بجوار النخـــيل وأهمـــها البطيـــخ ويطلقـــون عليه " الجح " والشمام ويطلقون عليه " البطيخ " ، وبعض الخضروات والقمح " ، توجد الحائر الجديدة وهى فى التقسيم الجديد فى المنطقة المرتفعة عن الوادى قبل النزول إلى البلدة القديمة ، وقدتم تقسيم هذه المنطقة الجديدة إلى شوارع رأسية وعرضية تتلاءم مع ظروف المبانى الحديثة التى انتقل إليها أهل الحائر ، وزودت بالخدمات والمرافق اللازمة .

ويصلها بالرياض طريق مرصوف طوله ٣٥ كيلومتر تقريبا ، وهو لا يتسع إلا لسيارتين متقابلتين فقط * ، وحركة السيارات كثيرة على الطريق نظرا لوجود مصانع الطوب على جانبى هذا الطـــريق ، وما يتبعها من سيارات نقل ، كما يوجد على نفس الطريق بعض المصانع ، ومدرسة الفروسية ، وعدد كبير من مزارع الخضر والفاكهة ومزارع الدواجن ، مما يساعد على زيادة حركة السيارات ، هذا بالإضافة إلى المزارع الموجودة بالحائر نفسها ، ومصنع مياه " نساح " وكلها تخدم الحائر والجزء الأكبر للرياض وما حولها .

النشاط الاقتصادى :

كان يعمل معظم أهلها بالرعي والترحال فى معظم فصول السنة ولا يبقى فى هذه القرية غير عائلتين فقط تعملان بالزراعـــة وتقومـــان علـــى فلاحـــتها ولا يفارقـــونها وهم " الحضر " .

---

* أتخذت الاجراءات اللازمة لتوسعة هذا الطريق .

ونظرا لقلة الأراضى الخصبة فى هذه القرية عمد أهلها إلى زراعة النخيل تشكل غابات خضراء على امتداد الأراضى التى تقع فى الوادى أسفل الجبال ، ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن إنتاج التمور بالحائر كان لا يكفى أهلها فى بعض السنوات مما يدفعهم إلى شراء باقى احتياجاتهم من الأسواق الخارجية ، ويزرعون بجوار زراعة النخيل الخضروات البسيطة لقوت أهل الحضر ، فبدو الحائر لم يأكلوا الخضروات إلا حديثا ، وتعتمد الزراعة بالحائر على مياه الآبار ، ومياه الأمطار ، وتبلغ المســـاحة المزروعة ٧٠٠٨ر٤ دنم ، التابـــعة لحائر سبيع وهى " العفجة " ، و " لحا " وتشمل : وشلة ، عريض ، الوسطى ، ويوجد بالحائر " سد الحائر " لحجز مياه الأمطار ، ولا يوجد وحدة زراعية بالحائر ، فهى تابعة لمديرية الزراعة بالرياض ، ويتم الإشراف عليها زراعيا من قبل فنى زراعى من مديرية الزراعة [1] .

كما يعملون فى تربية الماشية ، ولكون الرياض قريبة منهم فقد جعل ذلك السكان يعتمدون فى شراء احتياجاتهم منها ، ويسوقون منتجاتهم فيها ، ما عدا الأشياء الصغيرة اليومية ، فكان هناك سوق صغير يوجد خلف المسجد فى أرض فضاء تسمى " براحة " بها بعض الدكاكين الصغيرة لبيع " الهيل" والقهوة و" الأقط " والسمن ، فيقال " راعى الإقط ، راعى السمن ... وهكذا " ، وعلى جانبه توجد بئر " وركيه " للشرب ، ومكان معد لاستضافة الأغراب وهو تابع للأمير .

الخدمات والمرافق :

تنقسم الحائر إلى قسمين :

القسم الأول : وهو الحائر القديمة الممثلة فى الوادى الموجود به المزارع والنخيل تمتد حتى قرية " ديراب " ، وكان يقيم فيها أهل القرية قديما ، ولقد وصلت إليها المياه والكهرباء إلا أن طرقها ضيقة وغير ممهدة وبها ثلاثة مساجد مبانيها قديمة ويحيط بها مزارع النخيل والخضروات ، والبرسيم ، وبها بعض المحلات والمساكن مهجورة الآن ، وتركها سكانها وسكنوا الحائر الجديدة بالقرب من الخدمات .

القسم الثانى : الحائر الجديدة وتسمى " الظهره أو الواسطة " ويقيم فيها أهل القرية وهم من أهل الوادى بنوا مساكن فى أعلى الوادى فكل رب أسرة له مسكن فى الحائر القديمة وأصبح له مسكن جديد حديث مسلح أو فيلا ، ومتوفر لها جميع الخدمات والمرافق ، حيث يتوفر فيها :-

---

(١) وكالة الوزارة للشئون البلدية والقروية ، إدارة الإحصاء والبحوث ، ملحق رقم ٣٥ ، " بيانات قرية " .

خدمات التعليم :

يوجد مدرستان للمرحلة الابتدائية للذكور وهما مدرسة ابى ذر الغفارى ، ومدرسة عكاشة بن محسن ، ومدرسة الحاير المتوسطة للذكور ، ومدرسة الحاير الثانونية للذكور، كما يوجد مدرسة لمحو الأمية للبنات ، والحاير الابتدائية للبنات ، والحاير المتوسطة للبنات ، والحاير الثانوية للبنات (١) .

خدمات الصحة :

يوجد مركز رعاية صحية أولية (٢) .

خدمات عامـــة :

مركز هيئة - مركز شرطة - مركز مرور - بلديـــة - مركز إمـــارة - دفاع مدنى - مياه عامة - كهرباء عامة - مكتب بريد - مكتب برق - هاتف - تلكس .

إصلاحية الحاير : وهى إصلاحية للتعليم المتوسط الليلى للذكور (٣) .

سوق القريـــــة :

وهو بسيط وبوسط القرية وبه بعض المحلات القديمة ، وبجوار السوق يوجد " مجلس الأجانب " ، وكان يقصده المسافرون والأغراب عن القرية ، ليقضوا فترة ضيافتهم ، ويقوم على استضافتهم الشيخ ، " ويكد على دوابهم " أى تطعم دوابهم ، وهى ما زالت تابعة لأسرة الأمير " آل جفران " .

ونلمح فى نفس السوق بئر قديم يسمى " الركية " ، وكان بالقرية ستة آبار لشرب اهل القرية .

ويوجد بوسط القرية مسجد قديم ، ولكنه جدد حديثا ، ويعتبر المسجد الجامع الوحيد الذى يرتاده المصلون لصلاة الجمعة ، أما المساجد الباقية فهى صغيرة ، حيث يوجد مسجدان صغيران .

---

(١) مصلحة الإحصاءات العامة ، وزارة المالية ، حصر الخدمات ، ص ١٥٩٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٩٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٥٩٣ .

هجرة الغطغط :

ما هى الهجرة :

الهجر جمع هجرة ، وهو شكل من أشكال " التوطين " غير المخطط من قبل الحكومة ، ولكنه يقوم على اختيار البدو لبقعة أرض معينة للاستقرار فيها بناء على دعوة من الحكومة للاستقرار ، والتشجيع على هذا ، وذلك عن طريق امداد البدو اقتصاديا وتكنولوجيا . وهو يختلف عن التوطين أيضا فى ان العبء الأكبر فى الهجر يقع على البدو أنفسهم .

أسباب قيام الهجر :

لقد رأى الملك عبد العزيز أن البدو قوى لا يستهان بها ولكنها قوة مفككة ، ولذلك عقدالعزم على ربط هذا الكيان المفكك الأجزاء ، ليقيم دولة قوية موحدة .

ورأى أن يتم ذلك من خلال استراتيجية شاملة متكاملة تتصف بالمرونة – وستظل المشكلة الأساسية هى مشكلة البداوة والانتماءات القبلية المستقلة عن بعضها فقيام بناء موحد لابد ان يكون على أنقاض هذه الأبنية المفككة ، ولذلك قامت فكرة "الاخوان " وهى فكرة دينية فى المقام الأول ، ولكنها تتضمن فى فحواهاالاستراتيجية السياسية والاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، التى نجحت فى تأسيس الدولة العصرية وقامت السياسة على :

– توسيع دائرة الانتماء ، وذلك عن طريق اعطاء أولوية للروابط الدينية قبل الروابط القبلية ، ولذلك لم يغفل أهمية " النخوة " و " العزوة " ، حيث إنها متأصلة فى نفوس أهل وأبناء القبائل ، ولها دور فى شحذ الهمم ، فهؤلاء الجند من قبائل متفرقة فتجمعهم بذلك فكرة أنهم " اخوان فى الله " أى انصر من أطاع الله ، فالهجرة من البادية هى هجرة إلى الله والتوحيد ، ولذلك ارتبطوا بانتماء أوسع .

– تغيير نظام الملكية : فلقدحل الملك عبد العزيز مشكلة البداوة بفكر جديد يخالف من سبقه ، فالبدو لا يثبتون ولا يطيعون ، لأنهم لا يملكون ملكية فردية إنما الملكية جماعية ولا يسكنون بيوتا ثابتة ، ولذلك فكر فى أن يعطيهم أرضا – ملكية خاصة –ويساعده فى بناء البيوت وبذلك ينقلهم من البادية إلى القرى والمدن ، فيربطهم بالأرض ، ويشعرهم بأهمية الملكية الفردية ، وفى ذلك منفعتهم ، وإذا اخطأوا يمكن ردعهم ،وبذلك ألغيب الملكية الجماعية للقبيلة ، واعتبرت كل الأراضى البور عائدة للدولة ولا ملك لأحد إلا بإحياء شرعى أو موافقة رسمية وبهذا

فقدت القبيلة سيادتها المكانية وأصبح كل فرد يتحـــرك بمفرده حيث شاء فى أى مكان من المملكة ، كما فقدت القبيلة أهميتها كوحدة اجتماعية مستقلة .

وحيث أن حياة البادية تقوم على الرحال الجماعى فقد أصبح من الصعب الاستمرار فى الترحال بشكل فردى أو على مستوى أسرى ، وهذه الفردية لا تشجع استمرار حياة البداوة أو الترحال ، إذن هى هجرة مدنية ، فمن بيوت الشعر إلى بيوت من لبن وحجر ، ومن الفقر والغزو إلى أرض لا تخون صاحبها إذا عمل بها ومن الخوف والتحذر إلى الطمأنينة .

الســـــــكان :

سكانها من "المقطة " من " قبيلة عتيبة " ، فقد انتقل " بن حميد " شيخ قبيلة عتيبه مع أبناء عشيرته من المقطة للاستقرار فى الغطغط ، وشرعوا فى بناء مساكن لهم من الطين ، وأقاموا مساجد للتعبد ، وحثهم الملك عبد العزيز على التخلص من إبلهم ليضمن عدم عودتهم للبادية مرة أخرى ، فى الوقت الذى شجعهم على اقتسام الأراضى فيما بينهم وتملكها ، ومن هنا عرف البدوى لأول مرة فى حياته الملكية الفردية للأرض .

كما أرسل المشايخ للهجر ليدعوا أبناءها للعمل وكسب الرزق فحاول البعض العمل بالزراعة ، إلا أن ما حدث بالفعل أن بنو الغطغط لا يعملون بأيديهم وما زالت الثقافة البدوية هى السائدة ،ولكن هناك تفضيل للعمل بالأعمال الحكومية والعسكرية والمدنية ، فى حين عمل البعض فى الأعمال الحرة .

ثم حاولت الحكومة فيما بعد حفر آبار ارتوازية عميقة فى الهجرة لتمد المنازل بمياه الشرب النقية وتزويدهم بالخدمات العامة اللازمة لهم .

لمحة تاريخية عن مجتمع الغطغط :

عندما دعت الدولة إلى التوطين ، والدعوة الى مشروع " الهجر " استجابت قبائل كثيرة لهذه الدعوة ، ومنها قبيلة " عتيبه " * ، فظهرت عدة هجر ** منها هجرة الغطغط ، واستقر

* تعتبر قبيلة عتيبة مناكبر القبائل العربية من حيث العدد والقوة والسلطة ، ويرجع نسب القبيلة إلى هوزان بن منصور بن قيس بن عيلان بن مضـــر ، وهى من أكبر القبائل ومن أمهات القبائل فى الجزيرة العربية ، وتمتد قبيلة عتيبة من الطائف شرقا فى الحجاز إلى الوشم والقصيم فى نجد .

** هناك هجرة " الروقه " و " برقا " من عتيبه ، واستقرت " الروقه " " بنفحا " و " الصوح " و " برقا " بـ " الغطغط " و " سنام " .

بهجرة الغطغط فرع من قبيلة عتيبه ، وقد عاشت قبيلة عتيبة مثلها مثل القبائل البدوية عموما ، حياة الرعى والترحال بحثا عن العشب والمراعى والماء نتيجة للظروف القاسية المرتبطة بالصحراء والجفاف .

ولما دعا الملك عبد العزيز للهجر ، وظهرت حركة الإخوان الدينية فى الثلاثينات واقبلوا على العلوم الدينية ، كانت أكبر هجر " عتيبة " هجرة " الغطغط "حيث يقيم زعيمهم " سلطان بن بجاد بن حميد " شيخ المقطة . خصوصا و " برقى " أحد جذمى " عتيبة " الكبيرين عموما . والتف حوله فى هذه الهجرة من قبيلته ومن غير قبيلته كثير من الناس . وأصبحت "الغطغط " مدينة حافلة بمساجدها وأحيائها وعمرانها الممتد على ما به من بساطة وتقشف . ولكن كانت لهذه البلدهيبة وسمعة كبيرة . وكان قطب هجر الجنوب (١).

سبب التسمية :

"الغطغط " ينطقها سكان " الغطغط " وأهل نجد بغينين مفتوحتين ، وسكون الطاء الأولى والأخيرة ، وينطقها قلة من الناس بضم الغاء وسكون الطاء .

ويرجع ابن خميس التسمية إلى " خطط " وقد تحول إلى غطغط كنوع من الاستسهال فى النطق بين العامة ويتفق بن خميس على نطقها بالطريقة الأولى (٢) .

وقد يرجع سبب التسمية إلى أن أرضها منخفضة ، أى " مغطوطة " فى الماء ، وأن اسمها الأصلى هو وادى "ثمامة " وقد سميت باسمها الحديث بعد استقرار أهلها بها .

الموقـــــع :

تبعد " الغطغط " تسعة وستين كيلومترا عن مدينة الرياض من الجهة الغربية ، وتقع غربى بلدة " المزاحمية " ، ومن الجهة الجنوبية يحدها صحراء النفود ، ومن الجهة الشمالية تقع " جو " على بعدخمسة كيلومترا ، وضرمى .

الخدمات بالغطغط :

خدمات التعليم : توجد بها مدرسة ابتدائية للبنين ومدرسة متوسطة للبنين ، ومدرسة ابتدائية للبنات ، ومدرسة متوسطة للبنات، ومدرسة محو أمية للإناث .

---

(١) عبد الله بن خميس : مرجع سابق ، ص ٢٢٦ .

(٢) عبد الله بن خميس: مرجع سابق ، ص ٢٢٥ .

الخدمات الصحية :

يوجد بها مركز رعاية صحية أولية .

خدمات عامة :

يوجد بها مياه عامة – كهرباء عامة – مكتب بريد – هاتف (١) .

حساب الوقت فى مجتمعات الدراسة :

كانت معرفة الوقت فى تلك المجتمعات تعتمد على ما يتاح لهم من الطبيعة فهم أثناء النهار يعتمدون على مواقع الشمس مع الربط بينها وبين ما يتم فيها من الأنشطة اليومية " خروج الماشية " ، أما المزارعون فيحددون بوقت بداية الزراعة وإطعام " المعاويد " أى الإبل .... إلخ .

وفى أثناء الليل فإنهم يستعينون بالنجوم خاصة نجم " سهيل " الذى يحدد لهم أشياء كثيرة ، وظهور نجوم أخرى أثناء الليل ، وبزوغ الفجر ، وما إلى ذلك من مظاهر طبيعية ، كمساعدة لهم على تحديد الوقت .

حساب السنين ببادية وقرى الدراسة :

كان يتم حساب السنين الماضية بالإشارة إلى ماحدث فيها من المتغيرات المرتبطة بالبيئة ومنها :

– سنة " الكتاد " * ، فى قرية القصب ، وقد سميت بذلك حيث أطعم أهل " القصب " مواشيهم من الكتاد سنة ١٢٣٩ هـ ، ومات أكثر من مائة ناقة وجمل من الجوع والكتاد .

– سنة السخونة : وهى ١٣٣٧ هـ ، وقد سميت سنة السخونة بالقصب حيث انتشر المرض فى الناس ولم يخل منها أى بيت ، وهناك بيوت بالقصب قد أغلقت بالكامل نظرا لوفاة جميع من فى البيت .

– سنة " الخير " حيث رزقت القصب بأمطار وسيول ولذلك سميت بذلك وكانت سنة ١٣٤٠ هـ .

---

(١) مصلحة الإحصاءات العامة ، مرجع سابق ص ١٥٨٩ .

* " الكتاد " نبات متوسط الحجم له أشواك يتم شويها على النار حتى يذهب الشوك منها ثم تعطى للمواشى لتساعدها على الحياة ، وهو يجلب من الشعاب والأودية المجاورة حيث لا يوجد عشب أو " نضيع " للمواشى والدواب بسبب قلة الأمطار .

– أو عندما تنمو المراعى بالبادية فى فصل الصيف فيقولون سنة ربيع كذا أو فى مكان المصيف " المقطان " مثل " سنة بعاج " أو " ربيع الدمنة " ، أو حدوث بعض الحالات غير العادية مثل نزول الثلوج بكمية كبيرة فيقولون " سنة الثلج " أو " سنة الغبار " ، أو انتشار وباء مرضى معين أو آفة فيقولون " سنة الجراد " ، " سنة الجرب " ، " سنة الجدرى " ، " سنة الرحمة " ، " سنة لوفه " ، وكذلك الغزوات أو " اللقوات " ، وهى تحدث بسبب القحط والنزاعات القبلية ، إما على الماء أو الكلاء ، وسنة الكسوف ، سنة الدهر نسبة للجفاف ، سنة السلاج وانتشر فيها مرض بين " الحلال " أى الماشية بالحائر .

الفصل الثانى

البناء الاقتصادى بمجتمعات الدراسة

– المناشط الاقتصادية التقليدية –

- مقدمة عامـــــــــة :
- مجتمع القصـــب

  - النشاط السكانى .
  - الزراعة .
  - الرعى .
  - الصيد .
  - التجارة .
  - المهن والحرف .
  - أعمال خاصة بالنساء .
  - الاستمرار والتغير بالبناء الاقتصادى بمجتمع القصب .

- مجتمع الحائر :
  - نمط الملكية لدى بدو الحائر .
  - الرحيل للبادية .
  - حماية ملكية القبيلة .
  - الصيد
  - الاسلحة المستخدمة فى القتال والصيد .
  - الزراعة بالحائر الحاضرة .
  - التجارة بالحائر .
  - الحرف بالحائر الحاضرة .
  - عمل المرأة فى حائر الحاضرة.

– الغطغـــــط

- مقدمة عامة
- اختيار الهجر
- النسق الاقتصادى لبدو الغطغط
- الرعى والترحال
- تربية الحيوان بالغطغط
- الصيد بالحائر والغطغط
- منتجات الالبان لدى بدو الحائر والغطغط
- التجارة بالحائر والغطغط
- المهن والحرف بالحائر والغطغط
- توزيع الأدوار بالحائر والغطغط
- الاستمرار والتغير فى دور المرأة
  فى مجتمعى الحائر والغطغط .

- **مقدمة عامة :**

يتركز الاقتصاد بنجد عامة وفى مجتمعات الدراسة خاصة ، على ثلاثة عناصر رئيسية هى : الرعى ، الزراعة ، التجارة ، وتقوم التجارة أساسا على منتجات الرعى والزراعة ، فتمثل الحيوانات والمنتجات الحيوانية وأهمها الإبل والأغنام والماعز الركيزة الأولى والأساسية للاقتصاد بنجد ، كما تمثل التمور والمنتجات الزراعية من قمح بأنواعه المختلفة والذرة الركيزة الثانية ... فعلى هذين القطاعين تقوم التجارة ، وتسوق المنتجات بنقلها من مكان انتاجها إلى أقرب أسواق داخل منطقة نجد ، وكانت تقوم التجارة أساسا على نظام المقايضة ، ثم البيع والشراء.

وتنقسم مجتمات الدراسة إلى بدو رحل " الغطغط " ، وبدو شبه رحل " الحائر " ، وحضر " القصب " .

وتتميز الحاضرة بنجد عن البادية فى تعدد المجالات الاقتصادية ، على حين اقتصرت البادية على نوع واحد من النشاط الاقتصادى وهو الرعى ، وما يصاحبه من تربية للجمال والمواشى وغيرها # .

وكانت القبائل تعيش حياة بسيطة ، فتسكن بيوت الشعر وثروتها الوحيدة الإبل والأغنام ، وطعامها التمر واللبن على مدار السنة ، ثم أدخل الأرز فى طعام البدوى حديثا وكان يشتريه البدوى من أسواق المدن مقايضة بالحيوانات عوضا عن النقود .

ونظام المقايضة كان شائعا عند البدو والحضر . وهذا النوع من التبادل الاقتصادى يعطينا دليلا على أن الثروة لدى البدو كانت عينية لا نقدية وأنها تقدر بما يملك من حيوانات لا بما يملك من نقود لأن النقود نادة فى الصحراء .

والبدو أقدر من أهل القرى على إنتاج وتربية الحيوانات وارتياد مواطن الماء والكلأ ، ولما كانت بعض هذه الحيوانات من العناصر الهامة للغذاء عند أهل الحضر كان لحياة البادية أثر فى الحياة الاقتصادية العامة .

تؤكد الرحالة الليدى بلنت على أن منطقة نجد من المناطق الصحراوية بلا مطر ولا مياه والتربة فقيرة ورملية وغير صالحة للزراعة باستثناء بعض بقاع محظوظة . وأنها خالية من الزرع إلا مناطق قليلة وهى القرى التى تظهر كنقط متباعدة وسط بحر من الرمال .

الليدى آن بلنت : رحلة إلى بلاد نجد : ترجمة محمد أنعم غالب ، منشورات دار اليمامة ، الرياض ، ط ٢ ، ١٣٨٩ ه /١٩٧٨ م ، ص ٢٠٦ .

إذن كانت أهم مقومات حياة البادية النجدية الاقتصادية الثروة الحيوانية ومنتجاتها . وكانت تلك الثروة تتأثر بعاملين اساسيين : أحدهما المطر ، والثانى الغزو . فالحيوانات تنمو بنزول الغيث وتقل وتضعف بالقحط ، ونزول الغيث فى جهة دون أخرى كثيرا ما أدى إلى حرب بين قبيلة وقبيلة حول موطن الكلأ ، والغزو كثيرا ما نتج عنه فقر من كان غنيا وغنى من كان فقيرا .

وبالاضافة إلى ذلك كان هناك عنصر اقتصادى هام له أثره فى الحياة الاقتصادية بحاضرة نجد وباديتها وهو الاستفادة من قوافل الحج التى كانت تمر بالمنطقة . فقد كان هناك تبادل تجارى بين رجال تلك القوافل وبين سكان البلدان النجدية التى يمرون بها . وكان رؤساء القبائل يتسلمون مبالغ مالية أو عينية من القوافل التى تعبر الأراضى الواقعة تحت سيطرتهم .

وسوف نتناول الحياة الاقتصادية بمجتمعات الدراسة محاولين إلقاء الضوء على أهم مصادر العيش والنشاط السكانى بتلك المجتمعات .

مجتمع القصب :

• النشاط السكانى :

يعمل الرجال فى أعمال الفلاحة ، " يسقون " و " يحرثون " و " يحصدون " ، و " يلقحون " أى تلقيح النخيل ، أو " يصرمون " أى جنى " التمر " أى ثمار النخيل ، أو يعملون فى إنتاج الملح وتسويقه من الملاحات الموجودة فى جنوب البلدة .

ونظرا لفقر القرية الشديد بمواردها ، فالقرية أرضها صحراوية ، جنوبها أرض مالحة ، بل شديدة الملوحة ، وشمالها جبال ، فإن بعض رجال القصب كانوا يهجرون القرية خاصة فى ايام الجفاف للعمل خارج البلدة ، فكانوا يسافرون إلى الكويت للعمل بأعمال " الغوص " ، أو يسافرون إلى الرياض أو المدن الأخرى القريبة للعمل فى اعمال يدوية ، أو أعمال " الحمالة " أو " التحطيب " أو أى أعمال خدمية أخرى ، فالكد والسعى وراء الرزق كان سمة هامة من سمات هذه القرية .

أما بالنسبة للمرأة فتبدأ عملها بعد صلاة الفجر * مباشرة بعد أن تكون قد ساعدت زوجها فى عملية الوضوء وتحضير الماء أو تدفئته فى الشتاء القارس ، فتقوم بتجهيز وجبة تسمى " الغذاء " تؤكل بعد صلاة الفجر ، وعادة ما تكون عصيدة قمح أو عصيدة " دقس " أو عصيدة " دخن " ، وبعد تناول هذه الوجبة تحضر للزوج التمر ليأخذه معه فى ذهابه لمزرعته ، وإذا وجد لبن تحضر له " صميل " صغير من اللبـــن إن وجد أو مـــاء ، وتســـمى هذه الوجبة (الهجور) .

ثم تقوم بعد ذلك بتنظيف المنزل وطحن الحبوب على الرحى ، و " جرش " بعض الحبوب الأخرى ، لتجهيزها للطبخ ، ثم بعض الأعمال كتنظيف الملابس أو خياطتها لها ولزوجها ولأولادها ، فلم يكن هناك حرفة الخياطة أو الخياط ، إلا لأشياء قليلة وخاصة ، ثم تجهز وجبة العشاء وهذه الوجبة تكون عقب المغرب وعادة ما تكون من " القرصان " وهى قرص عجين يتم تسويته على " مقرصة " ، ويمكن أن يوضع معها " قرع " ، أو وجبة " مرقوق " ، أو " رصعان " وهى تسوى على " التنور " # ، و " الرصعان " من دقيق بر (قمح بقشرته) يعجن ويخبز بان تلصقها المرأة على جدار " ألتنور " من الداخل ، وتخرج المرأة للبر " للتحطيب " أى جمع الحطب وإحضاره ، وإحضار الحشائش أيضا من البر " تحش " وتجمع العشب ، وتقوم أيضا المرأة بعملية " علف " الإبل فى المزرعة ومكان تواجدها ، وتتم هذه العملية بأن تجهز كمية من طعامه " عشب أو برسيم .. الخ " وتكورها بيدها اليمنى ثم تفتح فم البعير بيدها اليسرى ماسكة شفته العليا ، وتدفع الطعام فى فمه فيمضعها ويبتلعها ، ثم تجهز أخرى وهكذا - وتسمى هذه العملية " تلقيم الماشية " - ويتم تجهيز علف الإبل بواسطتها ، أى حشه أخضر من المزرعة أو من البر ، ثم تقطيعه ، أو دقه أو خلطه ببعض الأنواع الأخرى مثل ورق الطلح ويسمى " الخبط " ويجهز فى إناء كبير يسمى " الجذعة " ولهم ثلاث وجبات عند طلوع الشمس ، وفى الظهر ثم وجبة فى الليل بعد المغرب .

كما تعمل المرأة مع زوجها جنبا إلى جنب فى أعمال الزراعة وخاصة فى أوقات ضغط العمل ، والاحتياج إلى مساعدين ... مثل حفر البئر ، أو حرث الأرض وسقيها وحصادها .

---

* يقوم المؤذن بآذانين آذان عند حلول وقت الفجر وآذان يسبقه بحوالى ساعة ويسمى آذان " النباه " ، ولم يكن فى ذلك الوقت ما يعرفهم الوقت سوى بعض الظواهر الطبيعية ، كظهور النجوم ، أو ظهور الضوء ، أو الشمس ، أو تحرك الشمس .

التنور عبارة عن حفرة مستديرة عميقة حوالى متر ويوضع بداخلها الوقــود .

كما تعمل المرأة فى المزرعة بعد موسم الحصاد أى بعد مضى ستة شهور من زراعة القمح ، تبدأ فى زراعة الخضروات والحبوب ، مثل نبات " العصفر " الذى تستخدمه فى تلوين شعرها وتغذيته به ، وكذلك زراعة الحلبة والرشاد والبصل والباذنجان والطماطم والكوسة واللوبيا والفلفل ، كما تزرع الفواكه مثل البطيخ والشمام ، وهى تسهم فى عملية الحرث حيث تقود الإبل أو تسوق الحمير ، وخاصة فى حالة عدم وجود أبناء ذكور ، أو " صبى " الاجير ، كما تحلب الماشية مثل الأغنام ، الأبقار ، البعير ، وتنظف مكانها ، وتخرج الأغنام فى الصباح مع " راعى " القرية كسائر أغنام أهل القرية ، كما تقوم المرأة أيضا بجلب الماء وتسمى " روى " وتحضره فى إناء كبير نحاس يسمى " مروى " .

• **الزراعـــــة :**

كانت أمطار المنطقة غير ثابتة التوقيت ، ومن الصعب على المزارعين وضع برنامج زمنى يعتمدون عليه فى الزراعة ، حيث كانت الأمطار تقل لسنوات متصلة ، بحيث يقل ويتناقص حجم المياه فى جوف الأرض وفى الآبار ويصبح بالقرية شبه جفاف ، فلا تفى المياه لأغراض الشرب والزراعة ، وكانت هناك سنوات كثيرة يجهز فيها المزارعون بالقصب بنورهم قبل دخول موسم الشتاء لكن يمر هذا الفصل دون هطول الأمطار التى تمكن من وجود مزارع روتها المياه وتصلح لطرح البذور فيها مما يجعلهم يحتفظون بتلك البذور لعام قادم وهكذا .

ويطلق على هـــذا النـــوع من الزراعة (زراعة البعول) ، والمزرعة الواحدة يطلق عليها (بعل) وهى التى تعتمد على مياه الامطار وتترك وقت الجفاف .

وهناك الأرض الزراعية بالقصب والتى تعتمد على الآبار * التى تغذيها مياه السيول عن طريق تسربها خلال الأرض المسامية الرملية ، والمنطقة الجنوبية من البلدة لا تصلح للزراعة حيث المياه الشديدة الملوحة ، وتسمى الصبخة ويستخرج منها الملح . ويتحدث أهل القصب عن الزراعة قديما وعن تذبذب المياه وأثرها على الزراعة..

حفر الآبـــار :

وكان أهل القصب كغيرهم من أهل نجد يعتمدون على المياه الجوفية التى تستخرج من الآبار العميقة ، وكانت هناك صعوبة فى الكشف عن أماكن المياه الجوفية فكان هناك شخص

* إن منسوب المياه فى الآبار حاليا منخفض وإن هناك شبه جفاف بالنسبة لعدد كبير من الآبار ، وقد يرجع ذلك لقلة الامطار وانتشار الآلات الحديثة لشفط المياه لتغطية احتياج المزارع .

متدرب على معرفة أماكن المياه يسمى " سواس الماء " أو " يسوس او يصنت الماء " ، وكان يعتمد على ظواهر معينة وعلى مهارة خاصة فى معرفة مكان البئر للحفر ، وعندما يرشد صاحب البئر أو صاحب الأرض عن المكان الصحيح يأخذ مبلغا قليلا من المال أو شيئا عينيا ، ثم يتم الحفر بواسطة " العتل " و " الهيب " أو " الهيم " ، وهى عبارة عن قضبان كبيرة من الحديد مدببة فى النهاية ، كما أن بعضها بها كتل مكورة من الحديد .

وكان الحفر بطريقة بدائية يدوية يشترك فيها الأهل والجيران ولا يستخدم فيها عمالة أو أجراء ، ويقوم صاحب البئر بإطعام هؤلاء المشاركين ، وكان الجيران يقومون بالإسهام فى هذا الأطعام ، بحيث لا يقع العبء كله على فرد واحد بل يحدث نوع من التناوب فى إطعام هؤلاء العاملين حتى يتم الحفر ، وهو تعاون متعارف عليه عند أهل القصب ، فترد هذه الخدمات عندما يكون هناك أعمال مشابهة .

وتستخدم حبال مفتولة من ليف النخيل ، وشرائح جلد مصنوعة من جلد البعير لإنزال الرجال بداخل البئر أثناء الحفر ومعهم " زنابيل " لحمل تراب البئر ويسمى " نثيله " إلى الخارج .

وكلما اتجهنا شمالا بالقصب تصبح المياه أكثر عذوبة ، وكانت تخصص الآبار العذبة لشرب أهل القرية ، وتقوم النساء بجلب المياه فى قدور على رؤسهن ، فكانت تخرج مجموعات من الفتيات بعد صلاة العصر لجلب الماء * وكان الماء يؤخذ دون مقابل " صدقة " من أصحاب الآبار ، ويذكر من هـــــــذه الآبار " ذهبيــة " ، و " ركية عثمان " ، و " أم الذهب " ، و " الخيس " . أما باقى الآبار الموجودة فى جنوب القصب فهى ذات ملوحة عالية وهى عند " صبخة القصب " .

استخراج المياه للزراعة :

يستخرج الماء من الآبار عن طريق الســــوانى ، وهى عبـــارة عن خشـــبتين كبيرتين (يثبتان) فوق البئر مثل جزعى شجرة ، ويثبت بهما " المحاله " وهى تشبه البكرة معلقة فى الحامل الذى فوق البئر وتجرها الجمال أو الحمير عن طريق " السريح " وهى شرائح من

* كانت هناك فرصة للشباب من القصب لرؤية الفتيات عند جلب الماء فكان أحيانا يختبئ الشباب خاصة طالب الزواج ليختار من الفتيات من تصلح زوجة له .

جلد البعير ، وأحيانا يجرها الرجال وقد يساعدهم النساء ، فيقال " يزعقوا " أى يطلبون المساعدة ، وعند الجر تنزل " الغروب " وهى من جلد حيوان مثل الماعز " تشبه القربة " فيمتلئ بها الماء من جوف البئر ، وينزل " الغرب " عن طريق إرخاء الحبل " الرشا " ، ثم يشد مرة اخرى فيكون قد حمل الماء ثم يصب ما فى " الغروب " من ماء فى مكان بجوار البئر ، ثم يمر بقناة ويسيل بواسطتها إلى المزارع ، ويسمى مكان تجمع المياه " الجابية " وهو يشبه الحوض محاط بالطين لعدم تسرب الماء من خلاله إلى أسفل البئر مرة أخرى ، وتملأ " الجابية " فى الليل حتى يمكن استخدام المياه فى الصباح ثم تستمر السوانى فى تعويض ما يفقد من ماء " الجابية " . وبين البئر وبين السوانى طريق يسمى " المنحاة " ويكون طوله بطول البئر . ويمكن تلخيص الأدوات الخاصة بالسوانى كالآتى :

- المركازان أو الدراج : وهم من خشب متين (الأثل) توضع فوق البئر .
- المنحاة : وهو المكان المخصص لذهاب الإبل وعودتها لإخراج الغروب محملة بالماء من البئر .
- الغروب : وهى تشبه " القربة " بمصر وهى من جلد الماعز تقريبا .
- المحالة : وهى بكرة من الخشب بوسطها محور لتثبيتها .
- السريح : وهى شرائح من جلد البعير لتربط على " الكتيب " الذى يوضع على ظهر الإبل . كما يربط أيضـــا حبل من الليف يصـــل من " الغروب " وظهر الدابة ويسمى " الرشا " .
- الجابية : وهو مكان تجمع المياه بجوار البئر وهو يشبه " الحوض " .

الزراعة بالقصور :

يهجر أهل القصب قريتهم فى الشتاء ولا يبقى بها إلا من يحرسها ، ويسكنون فى القصور ، والقصور عبارة عن مساحة متسعة من الأرض محاطة بسور مبنى من الطين وبأركانها " مقاصير " ، هذه المقاصير عبارة عن أبراج للمراقبة ، والحراسة ، ومن الداخل يوجد فيها أماكن يقيم فيها الأهالى كهجرة مؤقته وأماكن لتخزين المحصول ويرجع تصميمها هذا إلى الرغبة فى توفير الأمن لسكانها ، وتبقى العائلات بهذه القصور فترة الزراعة وحتى يتم حصاد الزرع فى الصيف ، وفى فترة الشتاء والربيع تهجر القرية تماما * ، وعند عودة

* يسكن بالقصور المزارعون فترة الزراعة ، وأحيانا يعودون إلى البلدة فى بعض الأوقات عندما تكون المزارع ليست فى حاجة إلى عمل ، بشرط ترك حراسة بها ، وفى فترة ترك الفلاحين للبلدة وإقامتهم بالقصور يترك أيضا حراسة بالبلدة وهكذا .

أهل القصب إلى القرية تترك القصور ويترك بها من يحرسها ، ويحرس القمح المحصود والمكوم على شكل أكوام تسمى هذه الأكوام بـ (كدوس) ويسمى القمح بالعيش .

الخطوات التى تمر بها العملية الزراعية بالقصب :

كانت المزارع تسمى بأسماء أصحابها أو تسمى نتيجة لحادثة معينة أو صدفة ما حدثت فى هذا المكان أثناء بدايات العمل وتجهيز المزرعة مثل مزرعة " قرقاصة " نسبة الى شجرة قرقاص " وجدت فى مكان حفر البئر بهذه المزرعة . ومن المزارع ، مزرعة " ام الذهب " و " العرعية " و " سمحة " و " الخشرمية " و " ركية الشويعر " و " الطالعه " و " فيد الرمثية " و " قرقاصة " .

وكانت كل هذه المزارع قديما عامرة بالحياة تمتلئ بالخضرة والمياه ، أما الآن فقد أصبحت خاوية من كل شئ حتى النخيل فى معظمها ماتت بعد أن هجرها أصحابها .

وهناك نوعان من الزراعة بالقصب " كما سبقت الاشارة " ، فهناك الأرض التى تزرع على مياه الأمطار " السيل " وهى بعيدة عن الديرة . وتسمى " البعول " والمزارع التى تزرع على الرى من البئر وهى قريبة من الديرة ، وتكون المياه عذبة كلما اتجهنا إلى الشمال ، وبالعكس يزداد تركيز الأملاح كلما اتجهنا إلى المنطقة الجنوبية المنخفضة ، والتى تعتبر ملتقى أودية المنطقة وفيها توجد " صبخة القصب " .

ويعمل الرجل والمرأة وأولادهم فى الزراعة وهناك أنواع من التعاون بين المزارعين بعضهم مع بعض فى أوقات العمل الصعبة ، وفى حالة الاستعانة ببعض العمالة يدفع لها أجر بسيط لا يتعدى القروش فى اليوم ، وغالبا ما تكون أجرتهم سنوية أو موسمية ولا يتعدى الأجر مبلغا زهيدا بالإضافة إلى ما يتناوله من طعام لدى رب العمل .

وتبدأ العملية الزراعية بتسميد الأرض وحرثها " بالمجرة " أو " المحراث " * ثم تقسيمها إلى حياض بينها قنوات تسمى " كالة " لسقى الحياض ، وبعد عمل الحياض بواسطة " المسحاه " أو " المنساف " يتم بذر البنور ، ثم تفجير المياه بواسطة " الرايس " وهو الذى يشرف على الرى وذلك بتفجير الماء من فتحة صغيرة حتى يمتلئ هذا الجانب فتسد هذه الفتحة بحجر أو قطعة قماش أو طين وتسمى هذه السدة " المعراض " .

---

* تشترك المرأة مع الرجل فى عملية الحرث ، فالمرأة تسوق الإبل أو الثيران وتطعم الإبل ، كما تساعد فى تجهيز " المحراث " إن وجد .

هذا إذا كانت الأرض فى حاجـــــة إلى ماء ، أما إذا كانت بعـــد المطر فيؤجل عمل " الرايس " عند اللزوم ، وقد تمتد الفترة لأسابيع وربما إلى أن ينبت الزرع ، وفى بعض السنوات التى فيها أمطار وخير وفير قد لا يحتاج الزرع إلى سقاية حتى حصاده ، وتكون هناك فترات راحة تسمى " إناخه " نظرا لإناخة الإبل ، أما فى السنوات قليلة المطر أو عديمة المطر فقد يحتاج الزرع إلى سقاية أكثر من خمســـة أشهر قد تصل الى " اربعانية " الشتاء ، أى منتصف الشتاء ، ويكون زرعها أقل جودة من الزرع الذى يتم قبل دخول الشتاء أى فى آخر فصل الخريف ويسمى موســـم " الوسم " ، وتسمى سقاية الزرع فى مراحل نضجه الأخيرة " الشربه " .

موسم الحصاد :

إذا اصفر الزرع " القمـح أو العيش " واكتنزت السنابل بالحبوب بدأ حصاد الشعير أولا ، ثم القمح العادى (الطرى) ثم يأتى دور القمح " اللقيمى " الصلب ، وتشترك المرأة فى عملية الحصاد التى تستمر من طلوع الشمس وحتى وقت الغروب ، ويشترك الجيران والأقارب فى عملية الحصــاد ، فيصطفون على هيئة صفوف بحيث يحصد كل صف منهم جنبا من الزرع ، وذلك بواسطة " المقشة " وهى تشبه المنجل ، تاركين خلفهم أكوام الزرع متراصة وتسمى " طرائق " ثم يجمع كل عدد من " الطرائق " مع بعضها البعض ليكون " غمورا " جمع " غمر " وعند تجميع " الغمر " مع بعضها تكون " الكدوس " وهى كومة كبيرة ، ثم يضعونها " الكدوس " واقفة رأسيا على جذوعها أى على أعوادها ، وتكون السنابل الى أعلى ، وترص " الكدوس " بجوار بعضها البعض متقاربة .

وفى حالة الأزمات والاحتيـاج ، يفرط الناس السنابل وهى رطبة ، ويجففونها ويطحنوها ، وتطبخ ، ويعمل منها طعام ذو مذاق حلو ، وذلك بخلطه بالتمر .

وفى هذا الموسم، يقوم الأهالى بشوى القمح العادى (الحنطة) على الحطب وتسمى " شويه " وتسمى هذه السنابل " شلواطه " ، وبعد أن تشوى تفرك السنابل " التبن " ليبقى حبوب القمح الطرية المشوية لتؤكل ساخنة تشبه الذرة المشوية .

دوس العيش أى درس القمح وفصل التبن عن الحب :

ويسمى " الدياسة " أو دياسة الزرع ويتم على النحو الآتى : هناك أرض فضاء صلبة قد تم تجهيزها " لدوس العيش " وذلك بأن تسوى هذه الأرض بالطين والماء حتى تصير ناعمة

وجافة وصلبة وملساء وتسمى هذه الأرض " القوعة " وهى فى حدود ٢٠ مترا تقريبا على شكل مستدير ، وتنقل إلى هذا المكان " الكدوس " وتداس بـ " الحمير والثيران " ، وتظل الماشية تدوس بحوافرها على الزرع الجاف حتى يصبح حبا وتبنا وتخرج الحبـــوب كلها من السنابل " ويكوم " على هيئة أكوام كبيرة .

عملية الدرى أو التدرية :

وهو فصل التبن عن القمح " يدرونه " وتتم فى يوم بها رياح غير شديدة * فيقوم الرجال والنساء بملاء " الزمبيل " أو " الزبيل " ** بالقمح " العيش " ويضعه على رأسه ويضع كف يده عند نزول القمح من أعلى ويمسك باليد الاخرى " الزبيل " ثم يبدأ بصب " العيش " فيسقط الحب إلى أسفل ويطير التبن مع الريح على مسافة فى حدود مترا أو مترين حسب شدة الريح ، ثم يغرف (الزبيل) مرة أخرى وهكذا حتى تنتهى عملية التذرية ويتم فصل القمح فى جانب والتبن فى جانب آخر .

ثم يخرج الفلاح جزءا من المحصول لذى القربى والفقراء ومن يتعاون معه كراعى الإبل وراعى الغنم ، والحداد ، والنجار ، و " الرايس " أو مفجر الماء وسائق السوانى وغيرهم " غمرا " أو " حضنا " ، ثم يعبأ الباقى فى أكياس من الخيش يصنعها البدو تسمى " العدل " ويخزن التبن كعلف للبهائم .

وبعد إخراج الزكاة أو ما شابه ذلك ، يخزن فى بيته ما يحتاج إليه للسنة ، ويقوم ببيع ما يفيض منه ، وفى هذا الموسم تعمل " المراصيع " وهى اقراص من القمح المطحون ومعها سمن و " دبس " وهو العسل الذى يتسرب من التمر اثناء تخزينه ، أو أقراص " البر " القمح ومعها السمن البرى والبصل .

زكاة الـــزروع :

كان الإنتاج الزراعى قليلا ، ولكن يقال " كانت فيه البركة " وكانوا يسعون للزيادة حتى

---

* ليس للذرى وقت محدد فيتوقف على هبوب الرياح المناسبة .

** الزبيل عبارة عن وعاء مصنوع من الخوص وهو يشبه " المقطف بمصر " .

يتمكنوا من إخراج الزكاة ، وكانت طريقة إخراج الزكاة فى القصب أن يأتى رجل مندوب عن الأمير ويسمى " الخراص " قبل موعد الحصاد ليرى المحصول ويحدد مقدار الزكاة ، وتجمع هذه الزكاة وتورد للأمير وتسمى " زكاة العيش " ثم يوزع جزء منها على فقراء البلد " ضعاف البلد " واليتامى .

المنتجات الزراعية للقصب :

القمح : يعتبر القمح من أهم المنتجات بالقصب ويزرع بمنطقة القصور فى فترة الشتاء وينتج منه أكثر من نوع فمنه القمح " الطرى " ومنه أنواع متعددة حسب صلابته ولونه وطول سنابله ، وهو من أهم أنواع الحبوب وأشهرها ، وهو الغذاء الرئيسى وتقوم عليه معظم الوجبات ، وهو أنواع منها ، البر ، واللقيمى ، والقمح الطرى " الحنطة " يطحن ويستخدم أساسى فى الوجبات ، وهناك القمح الصلب " اللقيمى " : وهذا النوع يجرش ولا يطحن ، ومن الصعوبة فصله عن قشرته .

ثم هناك الشعير : ويأتى إنتاجه بعد القمح ، ويؤخذ منه قبل النضج كعلف للمواشى ، وبعد النضج يكون غذاء للمواشى خاصة الأغنام ويدخل أحيانا فى غذاء الانسان .

والذرة : من المحاصيل الصيفية ، وهى أنواع مثل الذرة الرفيعة والذرة الشامية ،

والدقس : وهو النوع الجيد من " الدخن " ويقطع منه فى أول زراعته للماشية وعندما يتم نضجه يستخدم فى وجبات أهل القرية ، مثل " عصيدة الدقس " فى الشتاء ،

والدخن : ويستخدمه أهل القرية وخاصة فى حـــالات القحط فيعمل منها " عصيدة الدخن " ، وفى العادة يستخدم للماشية .

الخضروات : تعتبر بعض الخضروات أساسية ، حيث أنها تستخدم كعناصر مكملة لبعض الوجبات ، وتزرع القصب أنواعا متعددة من الخضروات مثل الباذنجان واللوبيا والقرع بنوعيه المستدير الكروى والأصفر المستطيل ، والطماطم ، والكوسة ، والفلفل الحار " حبحر " ، والفلفل الاخضر .

وتزرع هذه الخضروات على نطاق ضيق ، حسب احتياجات البيت ، وما قد يتم توزيعه على الجيران والاقارب ، ويقوم صاحب الارض بزراعتها فى فترة خلو الارض من المزروعات الاساسية " الحبوب " وتزرع النساء بعض الخضروات على " السوانى " أى بجوار البئر أو فى احواض خاصة .

ويزرع القرع فى موســـم " السماك " الربيـــع ، ويزرع باقى الأنواع قبل بداية الصيف * ، وبجوار هذه الانواع من الخضر يزرع البطيخ " جح " ، والشمام ، والأترنج ، وهى للاستعمال المنزلى وبعض الهدايا للجيران والزوار ... الخ ، حيث اعتادت القرية أن تعطى من مزوعاتها ، دون مقابل وبدون خجل من ذلك .

– غرس النخيل : فى موسم الربيع " السماك " يأتى الفلاح بفسائل النخيل ** ، أو كما يسمونه " أفراخ النخيل " من جيرانه أو أقاربه ، ويعمل حفر بالأرض عميقة يزيد أو يقل عمقها حسب نوع التربة ، ويقطر متر تقريبا ، وتترك مسافة كافية بين كل حفرة والاخرى تسمح بان تحصل النخلة على ما تحتاجه من الارض ، وكلما كانت المسافة كافية كان إنتاج النخلة أفضل ، وتطرح النخلة بعد خمس سنوات تقريبا ، وقد تقل المدة إذا كانت الارض خصبة ، ويحتاج النخيل إلى عناية خاصة فى بدء زراعته ، فلا بد من تزويدها بالمياه وريها بصورة منتظمة فى الفترة الأولى من زراعتها ، وتسمى وهى صغيرة " خيص " وإذا كبرت تسمى " عيدانه " ، كما يتم تلقيحها فى فصل الخريف .

الصـــــــرام : والمقصود به " الجذاذ " أى جنى محصول النخيل ، ففى موسم التمر يصعد أهل المزارع إلى النخلة بواسطة " الكر " * * * وهو رباط يلفه المزارع أو العامل حول وسطه مع النخلة ، ويصعد به لاداء العمل سواء كان تقطيع الجريد ، أو " التشبيف " إزالة الشوك من الجريد ، او التلقيح – عبارة عن أخذ شمراخ من عرق الفحـــل ثم يربطه فى وسط

---

* تزرع الخضروات والفواكه فى بداية فصل الربيع وفى منتصفه وقبل بداية فصل الصيف حيث أنها تحتاج الى الماء باستمرار لضعف جذورها ، ولذلك فهى موسمية ولا تزرع على مدار السنة .

** تؤخذ الفسائل من جذوع أمهاتها ، وعند وضعها فى التربة تمتد جذورها فى الأرض ، ثم تفصل بعد ذلك عن أمها ، وإذا كانت الفسيلة مرتفعة عن الأرض ، يعلق لها " زبيل " ممتلىء بالتربة بجوار النخلة وعندما تتمدد الجذور فى " الزبيل " تفصل الفسيلة وتنقل إلى المكان المهد لزراعتها مسبقا .

*** "الكر " عبارة عن قطعة من نسيج " السناف " وهى التى تكون خلف ظهر الرجل ثم حبل من " القد " المجدول ، وهذا الجزء يكون حول النخلة ، ويشبك الحبل بمشبك فى الجزء الذى عند ظهر الرجل ، ويمسك الرجل به ويضغط على النخلة برجليه ثم يجذب الحبل ويصعد خطوة خطوة وهكذا .

" عنوق " النخلة أى العروق التى تحمل التمر أو " القنوان " لأن البسر إذا لم يلقح يتساقط من عروقه .

وعند جنى ثمار النخيل (الصرامة) يصعد الرجـــل " بالكـر " ومعه " زبيل " لتعبئة " العنوق " أى الشماريخ ، ومعه " المحش " ليقطع به ، ثم يدلى " الزبيل " بعد ملئه لتتلقفه الزوجة أو من يساعد لتفريغ ما فيها ثم يجذب الزبيل مرة أخرى وهكذا ، أو ينتظر مجموعة تحت النخلة وقد تحمل ما يشـــبه الســـجادة من أطرافها الأربعة ليسـقط الرجل " العنوق " بها دون أن ينفرط التمر .

وبعد إنزال العنوق يتم تصنيف التمر كل نوع على حدة ثم تنقيته من الشوائب ، وعزل البسر والعنوق ، استعدادا لتخزينه " كنزه " وبيع الفائض ، بعد أن يكون قد أخرج زكاته ، وصلة رحمه ، وإعطاء الضعفاء من أهل القرية .

ومن الأشياء الطريفة التى كانت تحدث بين الزوج والزوجة انه فى أثناء عملية " الصرامة " هناك تمر يسقط من النخلة يسمى " اللقاط " او " السقاط " تأخذ الزوجة هذا " اللقاط " لنفسها فتتصرف فيه بما تشاء ، فقد تبيعه وتشترى بثمنه اى شئ من احتياجاتها الخاصة .

ونفس الشئ بالنسبة للأشخاص الموجودين أثناء " الصرامة " فيستسمحون صاحب النخل لأخذ هذا " اللقاط " ، وذلك يتم أثناء عملية " الحصاد " فالسنابل التى تسقط فى "الحصيدة "تلتقطها الزوجة أو غيرها وتسمى أيضا " اللقاط " وهكذا ...

ويكال التمر بوعاء يسمى " الوزنة " وعندما ينقل " التمر " من مكان لآخر أو للذهاب به للسوق ، يعبأ فى أوعية من خوص النخيل تسمى " الخصف " ، وهى تشبه " برش العجوة بمصر " .

أدوات الزراعـــة :

كانت الأدوات الزراعية بدائية وبسيطة بالطبع نظرا لظروف المنطقة فلم تكن القصب ولا المنطقة بأكملها تعرف سوى هذه الادوات البدائية ، وكانوا يواجهون الصعاب والمشقة ، وكان الجميع يعمل دون استثناء الكبأر والصغار ذكورا وإناثا ... بكل جهد ونشاط من طلوع الفجر حتى غروب الشمس والأدوات عبارة عن :

المحراث أو المجزة : عبارة عن خشبة طولها حوالى ثلاثة أمتار فى طرفها الأمامى ثقب يدخل منه الحبل " الرشا " التى تجره الابل أو الثيران وفى مؤخرة الخشبة قبل نهايتها بحوالى متر ثقب واسع مثبت به خشبة مائلة إلى الأمام بطرفها الأمامى لسان من الحديد ، لشق الارض ، وفى نهاية الشرخ ثقب رأسى مثبت به عصا ليتحكم الرجل فى العملية وفى التوجيه نحو خطوط مستقيمة بجوار بعضها البعض .

المســـــحاة : عبارة عن قطعة عن الحديد مربعة الشكل تقريبا وبها فتحة مستديرة تركب فيها عصا طويلة طولها متر تقريبا من خشب " الاثل " ، وتستخدم فى تقسيم الأرض وعمل القنوات بين الأحواض وتسمى " كاله " .

المقشــــــة : وهى عبارة عن آلة حادة من المعدن الرقيق ، وتستخدم للعشب .

العتلــــــة : وهى قطعة من الحديد طويلة ومدببة .

المدمشــــة : عبارة عن مثلث من الخشب به فتحة يدخل فيه عود طويل من الخشب وتستخدم لتسوية " العيش " القمح بعد تذريته ، وتسوى الأرض .

كما أن هناك أدوات أخرى لأغراض مختلفة مثل :

الفــــاروع : وهو عبارة عــن قطعة حديــد بوسطها فتــحة لإدخال عود من الخشب ، أى أن لها حدين * .

القــــــدوم : وهو عبارة عن قطعة حديد مستطيلة تقريبا ولها حد قاطع وفى أعلى قطعة الحديد فتحة لدخول عود الخشب .

الفــــأس : ويستخدمه " القصاب " فى تقسيم الذبيحة وتكسير العظم حيث أن أهل القصب لا يعرفون " الساطور " .

النباتات الطبيعية بالقصب :

فى القصب أشجار وشجيرات وأعشاب متنوعة مثل :

---

* يستخدم " الفاروع " اذا كان الحطب طلح " أرطى " أو " سلم " أو " اثل " .

" السلم " وهو نبات طويل يصل ارتفاعه إلى أكثر من مترين فيه أشواك طويلة ، و " العوشز " أو العوسج وهو نبات أصغر من السلم ويشبهه ، وله ثمار حمراء ، و " الحمض " أو " الرمث " وهو نبات شجرى طوله متر تقريبا واغصانه بيضاء ، و " الحرمل ؛ وهو نبات شجرى ذو اوراق خضراء وأغصان صفراء وثمر أبيض ، والشبرم ، والجثجاث ، والكليب ، والصخبر ، والطبطاب ، والشيح ، والحمارى ، والسواد ، والطرفاء ، والكتاد ، والجعد ، والنقد ، والعراو ، وهى تستعمل كنباتات طبية ولإغراض اخرى ..

وتوجد الحمض فى شمال وشمال غرب القصب وبعضها شرق القصب ومنطقة القصور، أما الحرمل ، والسلم والعوشز (العوسج) ففى مجارى الوديان ، والأراضى الجبلية عند أماكن الصخور والأرض الوعرة كالشفيعى والجحفة والفريدة والمتينة والمقيود والقمعة ، أما الصخبر والحمارى والجعد فهو فى الجبال ، أما نبات " الطرفاء " فينبت فى السبخة فى جنوب القصب ، أما روضة العكرشية والمناطق الطميية فينبت فيها " الفقع " * (1) .

زراعة التوابـل : كما أن هناك زراعات لبعض أنواع التوابل مثل : الحلبة ، والرشا ، والحبة السمراء ، وهى حبة البركة ، والكمون ، والعصفر ، وكلها توابل للطعام ما عدا العصفر الذى تستخدمه النساء لشعورهن فيعطيها لونا محمرا بعد اضافته لبعض المواد ، ليكون ما يعرف باسم " المشاط " .

• الرعــــى :

كان الأهالى بالقصب يقومون بتربية الاغنام ، ويستأجرون من يقوم برعيها نظير أجر متفق عليه ، فكانت تخرج هذه الاغنام من " الدور " بعد صلاة الفجر ، وتتجمع فى قطعان عند (باب الحوطة) ، و (باب النقبة) فى غرب القرية ، ويتسلمها الراعى من أصحابها ، فكانت هذه الفترة تعتبر فترة لقاء لأهل القرية يتجمعون فى مجالس مخصصة للجلوس **، ثم يتفرق أهل القرية ليعودوا للتجمع مرة أخرى بعد صلاة العصر ، لاستلام الاغنام الخاصة بهم ، ويعطى الراعى مبلغ شهرى نظير عمله ، ففى نهاية الشهر يجمع الراعى جميع الاغنام بمكان

---

(1) ناصر عبد الله الحميصى : مرجع سابق ، ص ٥٩ .

* " الفقع " من النباتات الدرنية الهامة بمجتمعات الدراسة ، حيث يستخدم بدلا من اللحوم عند الطعام وهو يستخدم الى الآن واسعاره مرتفعة للغاية .

** هذه المجالس عبارة عن مكان محـاط بســور مــن الطين اللبــن موجـود بســوق القرية وتتجمــع فيه الرجال .

عنده (حوش) ويقال : "حرج " على الأغنام أى يحتجزها حتى يدفع مبلغ من المال على كل رأس غنم وعند الدفع يستلم صاحب الاغنام " حلاله " اغنامه .

وهناك من يعطى اغنامـــه للبدو " الرعاة " لترعى معه عاما تقريبا وفى نهاية موسم الرعى يتقاسمون نتاج هذه الاغنام ، أو حســـب ما اتفـــق عليه مسبقا ، أو مناصفة وذلك بعد الحول .

وكانوا يربون الإبل التى كانت تسلم للبدو ، وخاصة فى فصل الصيف لترعى معهم حتى موعد الإحتياج إليها فى فصل الشتاء ، كما كانوا يربون الأبقار والحمير التى كانت تستخدم فى عملية " دوس الزرع " أى درس القمـــح ، كمـــا كانـــت تستخدم فـــى استخراج المياه " السقى " .

كما كانت تربى بعض الطيور كالدجاج ، ولكن كانت قليلة وغير معتاد أكلها ، ولم تعرف القرية أكل الدجاج والبيض إلا حديثا ، بل كان بيض الدجاج قديما يستخدم لأغراض الشفاء من بعض الأمراض ، مثل آلام المفاصل والروماتزم ، وذلك بشربه نيئا ، ولم يعرف القصب طهى البيض سابقا .

- الصـــــيد :

كان هناك مواسم للصـــيد ، ففى الخـــــريف كان صـــيد " القميرى " و " الغرنوج " و " الصفارة " وهى الاسماء التى كان أهل القرية يطلقونها على الطيور التى تصطاد فى هذا الموسم وهى تقريبا تشبه السمان واليمام ...

وكان هناك صيد " الجراد " وكان له أهميته الكبيرة كمصدر غذائى " حيث الموارد الشحيحة بالقرية " ، وكان يطهى بطرق متعددة وأحيانا يخلط مع التمر ، ويعتبر مصدرا للبروتين كتعويض عن نقصه فى غذاء اهل القرية ، حيث كانت اللحوم نادرا ما تؤكل بل يمر العام بأكمله فلا تؤكل اللحوم سوى مرة واحدة فى عيد الأضحى ، اما باقى العام فكانت نادرا ما تؤكل وعن طريق " الشراكة " أى اشتراك عدد كبير فى ذبيحة واحدة " شاة " فيكون نصيب العائلة قليلا للغاية اى فى حدود " كيلو واحد " تقريبا وتسمى هذه الطريقة (خشره) وتكون فى السر .

طريقة صيد الجراد : عندما يشعر أهل القرية بقدوم الجراد او يسمعون عنه يخرج إليه صائدو الجراد ويسمون " الجرّادة " بتشديد الراء ، كما يسبق بعض الأفراد لمراقبة الجراد وتحديد وجهته وتسمى هذه العملية " ريادة " ومهمتهم معرفة اتجاه الجراد ومحاولة إبعاده عن النزول فى أرض ذات اشجار أو يصعب فيها صيد الجراد ، أى أرض مستوية ، وبعد ذلك يترك الجراد حتى قرب الصباح وفى فترة البرودة من الليل بحيث يصعب على الجراد الطيران فى البرد . فيعبأ بعد ذلك فى أكياس أو فى جلاليبهم بعد ربط فتحة الرقبة والاكمام ، وتحويلها الى كيس كبير .

والجراد انواع ، نوع صغير يسمى " دبا " ولا يستحب أكله إلا للضرورة وذكر الجراد نحيف ويسمى " زغير " وأما " المكن " فهو كبير الحجم .

• التجارة :

هناك نوعان من التجارة بالقصب ، أولا البيع والشراء لأهل القرية بعضهم مع بعض ، والتجارة مع المجتمع الخارجى ، وبالقصب مكان كبير لبيع الاغنام و" حراج " عام ويسمى هذا المكان سوق " العبيدى " * ، وكان البدو يعرضون فيه ماشيتهم من اغنام وإبل ، وصوف وإقط ، وسمن ، ويشترون من أهل القصب ما هو متوفر عندهم من تمر وقمح وخلافه .

وكانت تجارة القمح " العيش " أشهر تجارة بالقصب ثم تجارة الملح وتسويقه .

تجارة الملح :

كانت وما زالت تجارة الملح بالقصب لها اهمية خاصة ** ، فالقصب تصدر الملح للمنطقة كلها ، وتقوم فئة كبيرة بإنتاجه ، وتصدره ، كما تقوم فئة أخرى بالتجارة فيه ، فيقومون بنقل الملح على ظهر " الجمال " إلى باقى المنطقة ويسمون " بالجمالة " ثم يعودون إلى القصب ومعهم البضائع التى تحتاج اليها أهل القرية .

---

* سوق " العبيدى " لا يزال قائما حتى الآن ويكثر البيع والشراء به يوم الجمعة ، حيث يجتمع فيه الناس من جميع أنحاء المنطقة حاضرة وبادية وكان مكانه فى وسط البلدة ، وتوجد بقايا تقسيماته حتى الآن .

** يتجمع الملح فى منخفض جنوب القصب ، وهى مصب مياه السيول ، حيث يتجمع الملح فى هذه المنطقة وتسمى صبخة القصب ، والمنطقة التى يخرج منها الملح تسمى " جفارة " .

• **المهن والحرف :**

لقد عمل أهل القصب فى حرف كثيرة برغم أن هناك بعض الحرف التى كان أهل القرية يأنفون من العمل بها ، ولذلك كانت تعمل بهذه الحرف فئات إجتماعية معينة ، ومن هذه الحرف " القصاب " ، والحداد . والحلاق . والحجامة ، والختان ، فالاطار الثقافى العام لمنطقة نجد مرتبط بثقافة البدو ، فالمنطقة بادية ، ورغم استقرار بعض من هؤلاء البدو فى هذه القرى ، ومن تاريخ قديم ، إلا أنه ما زالت الثقافة البدوية تحدد اتجاهات المنطقة كلها وتوجه سلوكهم ، وعلى ذلك فان نظرتهم للمهن وتقييمهم لها ما زال مرتبطا بالإطار الثقافى البدوى ، وهذا ما لاحظته الباحثة على المجتمعات المدروسة كلها برغم تفاوت التاريخ الذى استقر فيه كل مجتمع من مجتمعات الدراسة بين القدم والحداثة * .

ومن أمثلة المهن التى يعمل بها أهل البلد :

– العمالة الزراعية : ويسمى " عاملا " فقد عمل بعض من أهالى القصب فى أعمال حفر الآبار ، كما عمل البعض على السوانى لإخراج الماء من الآبار ، ويطلق عليه (راع البئر) وله نصيب من القمح " العيش " أو إنتاج الأرض عموما ، كما كان هناك (الصبى) وهو الذى يسوق السوانى نظير " قروش " فإذا كان صاحب الأرض ليس لديه أولاد ، فإنه يأتى بهذا (الصبى) لمساعدته فى الزراعة ، وليسوق السوانى ، وهناك مهنة تسمى " الرايس " ** وهو الذى يسق الزرع ، ويباشر السقاية نظير قروش يومية ، وهناك مهنة " الحصّاد " لمساعدة صاحب الزرع فى موسم الحصاد نظير أجر يومى ، إلا أن أهل القصب يؤكدون أن هذه المهن ليست بالعدد الكبير بالقرية ، فغالبا ما يكون العمل بالمزرعة عائليا يشترك فيه جميع أفراد الاسرة وأحيانا يساعد صاحب الزرع من الجيران دون أجر سوى إطعام هؤلاء المتعاونين ، وترد المساعدة عندما يكون الجيرة فى نفس الظروف ، ولكن برغم ذلك فهناك مهن أخرى بجانب المهن التى سبق ذكرها ومنها :

---

* أما المهن المرتبطة بالزراعة والبناء فالكل يعمل بها بالقصب أما حرفة النجارة فبرغم أن البدو يأنفون من العمل بها إلا أنها من المهن التى يعمل بها من يتقنها من أهل القصب مثلهم مثل أى قرية من قرى نجد .

** مهنة " الصبى " أو سائق السوانى ، ومهنة " الرايس " أو مفجر الماء من المهن الشاقة حيث يعملون طوال الليل وحتى صلاة الفجر ، وبعد أن يؤدوا الصلاة يعودون للعمل مرة اخرى قد يصل عملهم إلى صلاة العشاء ، ويزداد عملهم صعوبة فى فصل الشتاء حيث البرودة الشديدة ، وخاصة فى الليل ، والوقوف فى الماء بملابس بسيطة .

– البنـــاءون : يعمل بعض أهالى القصب فى مهنة البناء ، فهناك من يحملون " اللبن " ويخلطون الطين والتبن ، ويسمى المتخصص فى هذا العمل " لستاد " أى الأستاذ ، وعليه تصميم العمل ، والقياس ، والإتقان كى لا يتهدم المبنى أو الجدران ، أو كما يقال " كى لا يطيح الجدار " أما باقى الاعمال من عجن للطين ومناولة ففى الغالب يقوم اصحاب المنزل وجيرانهم بهذا العمل كمساعدين (للأستاذ) ، وإذا دخل عمال لمساعدته ، فإن أجرهم يكون أقل من أجره .

– العمل فى إنتاج الملح : يقوم بعض الأهالى بأعمال الحفر وتجميع الملح وتكويمه على هيئة أكوام ثم تعبئته فى أكياس وتحميله على الدواب ، ثم تتولى فئة الاتجار فيه وتصديره إلى البلاد المجاورة على الجمال ، ويسمى من يحمل بضاعة على الجمل لتسويقها ولشراء البضائع عند عودته (الجمال) .

– النجارون : * ، ومن أهل القصب من عمل فى النجارة كصناعة الأبواب ، والأقفال الخشبية والشبابيك ، وبعض الأدوات المنزلية ، والصناديق للنساء لحفظ ملابسهن ، وتقوم على خشب " الإثل " غالبا ، حيث انه متوفر بكثرة ، وجذوع النخيل ، وأحيانا كانوا يسافرون لمزاولة نفس المهنة فى بلاد قريبة أو فى الرياض .

وهناك حرف أخرى فى القصب مثل عمل " المنحاز " ويستخدم لدق الحبوب مثل " الدقس " و " القراوة " وهو عبارة عن حوض كبير للماء ويصنعونه من الحجارة " الحصى " ، وهو أساسى فى كل بيت .

كما يعمل بعض الأهالى فى صـــناعة الأدوات من ســـعف النخـــيل ، مثل " الزبيل " و" الطباقة " وهى كالغطاء ومـــــستديرة ، و " المحفرة " وهى أقـــل فى الحجم من القفة ، و"الوقر " وهو ما ينقل فيه التراب والسماد على الحمير ، و " القفة " ويضعون فيها الطعام كالتمر والجراد ، و " الحصر " و " سفر الاكل " ، والسفرة عبارة عن دائرة مستديرة من الخوص قطرها حوالى نصف متر تقريبا ، و " المهفة " وهى المروحة اليدوية ... الخ .

---

* مهنة النجارة من المهن المطلوبة فى البيئة الزراعية ، حيث يحتاج الفلاح إلى تركيب المعدات الخاصة بالبئر بشكل جيد وسليم ، وإلا وقعت هذه المعدات كلها داخل البئر ، ويرى الرجال كل العذاب لإخراج هذه المعدات من داخل البئر .

وكانت هناك هجرات من جانب بعض أهالى القصب ، وخاصة الذين ليس لديهم تجارة أو زراعة ، أو لديهم زراعة ولا تكفى حاجتهم ، أو فى الفصول التى لا تتطلب تواجدهم فى تلك الفترات ، أو فى سنوات القحط والجفاف ، وكانت تلك الهجرات للبحث عن عمل ، وخصوصا فى فصل الصيف ، وكانت غالبا ما تكون لمدة ثلاثة أو أربعة أشهر ثم يعودون إلى ديارهم .

وكانت تلك الهجرات الموسمية تتجه الى مدينة " الرياض " * ، والقصيم ، وذلك للعمل ببعض الأعمال اليدوية " كالحمالة " ، أو " البناء " ... الخ ، أو إلى " الكويت " للعمل بالغوص ، كما كانت هناك هجرات للعمل بالزراعة بمنطقة القصيم وسدير مدة ثلاثة أو أربعة أشهر .

• **أعمال خاصة بالنساء :-**

الحياكـــة : برغم أن أهالى القصب يقومون بخياطة ملابسهم بأيديهم عادة إلا أن فى بعض الظروف الخاصة مثل التطريز الذى يتطلب مهارة خاصة ولمناسبات معينة ، يلجأ أهل القصب " للخياطة "وهى غالبا ما تكون إمرأة داخل القرية ، كما أن هناك "الدلالة " التى تقوم بشراء القماش ولوازم السيدات ، وتشتريها منها النساء فقط وكان عدد الدلالات محدودا لا يتجاوز ثلاثا أو أربع فقط . كما تقوم بعض النساء بعمل " الكليجا " ** وبيعها .

هذه المهن السابق ذكرها كان يعمل بها أهل القصب ولا عيب فى الاشتغال بها من أهل القبائل بالقرية . أما المهن التى يحجم عنها وتترك للفئات الأخرى مثل الخضيريين والعبيد والصلب " فهى :-

– مهنة الحدادة : ويقـــوم العلـــل بها بعمل بعض الالات البدائية مثل " العتل " جمع " عتلة " ، وكذلك عمل " المساحى " وهى آلة من الآلات الزراعية تشبه الفأس ، وصناعة القدور النحاسية وطلائها عند تآكل طبقة القصـــدير المطلـــية بها ، ثم عمل " المحشات " وهى جمع " محشة " وتستخدم لتقطيع الحشيش ، كما كان يقوم بإعداد الأدوات الخاصة بالدفاع وحماية القرية .

---

* كانت المسافة من القصب إلي " الرياض " بعيدة وشاقة حيث يمضون فى الطريق حوالى ٣٦ ساعة أثناء سفرهم ، مع تعدد وسائل النقل حسب الاستطاعة ، والبعض منهم يمشى على الاقدام والآخر على ركوبة من جمل أو حمار ، والبعض منهم " وكما يقول الاخبارى " حتى الحذاء " النعال " لا يتوفر لديهم .

** الكليجا : عبارة عن أقراص مستديرة من عجينة القمح مع محتويات أخرى وتخبز فى " التنور " وسيأتى شرح ذلك .

- الحجامة والحلاقة : كان أهل القرية فى معظم الأحيان يقومون بالحلاقة بعضهم لبعض ، إلا أن مهنة الحلاق هناك كانت لبعض الحالات النادرة وفى المناسبات ، كما قام أهل القرية بأعمال اخرى مثل " الختان " أى تختين الأولاد .

أما الحجامة والطب الشعبى والكى فكانت أيضا من المهن الموجودة بالقصب وكانت تؤدى نظير نقود أو أشياء عينية ، ويقوم بهذه الأعمال فئة " الصلب " .

- القصابة : وكانت من المهن الموجودة بالقصب ويسمى مكان الذبح " المنحر " وعندما يتم الإتفاق على ذبح ذبيحة ، يعلم أهل القرية بذلك من قبلها حيث " يعقل " البعير قبل الذبح بيومين فى " المنحر " ، وبعد صلاة الفجر يأتى الراغب فى الشراء ويشترى ما يريده ، وكانت هناك عادة عند أهل القصب وهى إخفاء اللحم بعد شرائه ، فكان بعض المشترين يلبس " المشلح " خصيصا عند الشراء كى يخفى اللحم به ، وهذا يرجع إلى قلة الكمية التى يتم شراؤها ، وليس إلى بخل الناس ، ويباع اللحم بأسعار رخيصة نظرا للظروف الاقتصادية للقرية ، وكان أرخص ما فى الذبيحة " الكرش والرأس والأمعاء والأرجل " بالطبع ، وكان بجوار " المنحر " نخيل يؤخذ منه " الخوص " ليعلق فيه اللحم بعد الشراء كى يسهل حمله .

- دباغة الجلود : مهنة موجودة بالقصب لصنع القرب وخرازة النعال ، إلا أن معظم الاهالى كانوا يقومون بدباغة جلودهم بأيديهم ، أو بواسطة النساء .

• الاستمرار والتغير فى البناء الاقتصادى بمجتمع القصب :

بعد العرض السابق لأهم الأنشطة الاقتصادية بمجتمع القصب ، فقد تبين أن أهل القصب قد عملوا فى أنشطة إقتصادية متعددة ، بل لم يتركوا وسيلة للعيش إلا وطرقوها لسد العجز فى الاحتياجات المستمرة والبيئة الشحيحة على أهلها ، ويمكننا أن نقسم نشاطهم الاقتصادى الى قسمين : النشاط الزراعى والرعوى ، والنشاط التجارى والحرفى ، وقد أوضحنا سابقا عمل أهل القصب فى الزراعة ، والرعى ، وحرفة استخراج الملح ، والصيد بكل أنواعه ، كما كانت هناك هجرات مؤقتة لاهل القصب لخارجها للعمل فى الخدمات والنقل والتحميل ، وامتد العمل خارج المملكة مثل العمل بالغوص فى الكويت ... إلخ ، فتقاسم أهل القصب على السواء متاعب الحياة .

– وبظهور النفط والتغير فى موارد الثروة والأنشطة الاقتصادية للسكان ، تغير تبعا لذلك إعتماد أهل القصب على هذا العدد القليل من المصادر الاقتصادية ، وبدأت مجالات جديدة للعمل سواء مجالات مهنية أو إدارية أو العمل بالتجارة ، أو بالمؤسسات الحديثة التى تقوم بأعمال التجارة والبيع ، أو العمل بالوزارات المختلفة ... أو بالخدمـــات أو المرافق ، وبدأت تتلاشى الاعمال التقليدية السابق ذكرها تدريجيا ، وما تبقـــى من هذه الأعمال قام بها عمالة أجنبية مثل العمل باستخراج الملح أو الزراعة ... وأخذ أهل القصـــب الأعمال الاشرافية فيها فقط .

– كانت غالبية أهل القصب تعمل بالزراعة ، وخاصة زراعة القمح والخضروات وكانت تستهلك معظم إنتاجها داخل القرية ذاتها ، وكانت الزراعة بدائية تعتمد على الجهد العضلى للأنسان والحيوان ، ونفس الشئ بالنسبة لاستخراج الملح الذى كان يعتمد على الجهد البدنى لاهل القصب ، سواء فى عملية الاستخراج أو التحميل ، وقد تغيرت الاساليب الفنية سواء فى العمل الزراعى أو إستخراج الملح ، وتم الاستغناء عن جزء كبير من الجهد البشرى والحيوانى وحلّ محله الجهد الآلى ، هذا إلى جانب استخدام العمالة الاجنبية سواء فى العمل الزراعى أو فى استخراج الملح .

– لقد كان لعائدات البترول الأثر فى تغيير الانماط الاقتصادية بمجتمعات الدراسة ، وكان من أبرز هذه التغيرات هو تحول إقتصادهم من اقتصاد معاشى إلى اقتصاد نقدى ، وبدأوا يتخلون عن كثير من الأعمال التقليدية ، نظرا لدخولهم فى دوائر عمل ومجالات إنتاج جديدة ، وبدأت انشطة إقتصادية جديدة ، فبجانب تربية الماشية بدأوا يزرعون الفاكهة والخضروات للأسواق القريبة والبعيدة ، وبعد أن كان إنتاج الطعام للإستهلاك المباشر أصبح أهل القصب الآن يعتمدون على المواد الغذائية المستوردة ، بجانب ما ينتج محليا من مواد غذائية بأيدى أجنبية ، وهى أيدى متوفرة ورخيصة – وبخاصة العمالة الأسيوية .

– لم يعد أصحاب المهن يعملون بالمهن القديمة التقليدية بل تحولت معظم العمالة إلى الوظائف الحكومية والعمل بالتجارة ، وبذلك اختفت المهن القديمة مثل العمل بالزراعة وحل محلها العمالة الأجنبية ، أما الحرف التقليدية مثل صناعة منتجات سعف النخيل فقد حل محل هذه الأدوات ، أدوات حديثة مستوردة مصنوعة من خامات مختلفة وبخاصة من البلاستيك .

– أما مهنة انتاج الملح وهى أشهر ما فى القصب ، فقد تركها الكثيرون ولم يبق بها إلا القليل ويعتمد كلية على العمالة الأجنبية .

- لم يعرف مجتمع الدراسة أى نوع من العمالة لصناعة الملابس إلا فى النادر " واحدة فقط فى القصب كانت تعمل ملابس المناسبات ولم تكن متخصصة " ، أما الآن فقد أصبحت الاقمشة والملابس المستوردة هى الشائعة وانتشرت الأيدى الاسيوية فى صورة مشاغل لحياكة هذه الملابس ، ودخل أثاث البيت الفاخر المستورد والأدوات المنزلية الحديثة ، وأصبحت الأدوات القديمة تقتنى كتحف فنية فى المنازل مثل الأدوات المنتجة من سعف النخيل بسبب توفر النخيل مثل " السفر " و " الزبيل " و " المهفة " و " المنفاخ " ... ، والأدوات الجلدية التى ينتجها البدو مثل " المغبة ، العيبة ، الصميل " * .

- مجتمع الحائر :

بعد أن تم عرض الأنشطة الأقتصادية لمجتمع القصب كمجتمع بدوى ، تحضر وعرف الزراعة والاستقرار منذ سنوات طويلة ، ننتقل إلى مجتمع آخر هو مجتمع الحائر ، وهم بدو نصف رحل أى يستقرون فترة الصيف بمجتمع الحائر ، ويرحلون للرعى طوال فصول السنة الباقية تاركين أراضيهم الزراعية بالحائر ليعمل بها فئات معينة من مجتمع الحائر ، وهم من ارتضوا العمل بالزراعة ، ويكون المحصول فى النهاية عند حصاده مشاركة بين قبائل البدو وهذه الفئة العاملة بالارض ، ويجدر بنا الإشارة إلى أنه عند الحديث عن بعض الأنشطة السكانية الخاصة ببدو الحائر نجد أنها مشتركة مع نفس الأنشطة ببدو الغطغط مما دفع الباحثة إلى أن تشير الى النشاط المشترك تحت اسم المجتمعين .

• نمط الملكية لدى بدو الحائر :

عرف مجتمع الحائر ، الملكيـــة العامة ، أى الملكية الجماعية ، والملكية الخاصة ، أو الفردية ، فبادية الحائر عرفت النوعين من الملكية ، حيث الأرض التى ترعى فيها الوحدات القرابية ، وهذه الأرض معروفة ولها حدودها ، - وفى بعض سنوات الجفاف يمكن أن يستسمح قبائل أخرى للرعى فى أراضيها ، فيكون لهم حق الأنتفاع فقط والمؤقت فى هذه الأراضى ، والمحافظة على الأرض تعنى المحافظة على حياة الناس ، فهى مصدر الغذاء الوحيد ، وكانت الغزوات بين القبائل دائما على ملكية الأرض ، فإما طمعا فى مزيد من أجزاء أرض أكثر خصوبة ، أو دفاعا عن أرضهم ، ويشترك فى الملكية العامة للقبيلة أقسام ووحدات القبيلة ، وتسمى بديرة " سبيع " وهذه الديرة تقع فيها المراعى ومصادر المياه ، وليس لهم حق بيع أجزاء

* هذه الادوات سيأتى توضيحها فيما بعد .

منها ، ولكن يمكن إعطاء حق المنفعة بأجزاء منها للآخرين ، دون الرجوع إلى شيخ القبيلة ، وكبار القوم أى مجلس الشيوخ ، وهذا نادرا ما يحدث برغم أنه جائز ، وترجع إلى شخصية المضيف ، كما عرف مجتمع الحائر الملكية الخاصة وهى ملكية الحيوان " الحلال " ، أو الأرض الزراعية ، فالحائر " كما سبقت الاشارة " بادية وحضر وهم شبه رحل ، وإن كان الطابع العام والأغلبية هى البادية ، حيث أن الحضر كانت مقتصرة على عائلتين فقط .

وعلى الرغم من هجرة وترحال بدو الحائر معظم فصول السنة ، ما عدا فصل الصيف " – حيث الحرارة الشديدة فيهربون بحيواناتهم من الحرارة قرب المياه بجوار الآبار بالحائر " – ألا أنهم لهم بيوتهم بالحائر ، وإن كانت مبنية بطريقة بدائية جدا وغير مكتملة فى بعض الإحيان، وكما اطلقت عليها إحدى الإخباريات لفـظ " خراب " ، وفـى الغالب كانـت تسمى (الحوى) ، بدلا من بيت ، فالبيت عندهم يعنى " البيت الشعر " ، ثم أطلق لفظ المنزل حديثا ، وكانت ملكية البيوت ملكية خاصة لكن مجتمع الحائر لم يعرف " العقود " الملكية المكتوبة ولكن كان العرف أقوى بينهم .

• الرحيل للباديـة

ترقب نزول الامطار بالحائر إستعدادا للرحيل :–

إن حياة البادية ، تعتمد على نزول المطر ، فالماء حياتهم ، ويتوقف عليه حياة ماشيتهم ، ولذلك كانت عيون هؤلاء الناس تتجه باستمرار الى السماء ، وتفرح عندما تجد بوادر ظهور سحابة أمطار تظهر فى السماء ، ويتتبعون هذه السحابة ويرسلون " العسوس " أو " الرواد " ليأتوا لهم بمكان نزول مياهها ، وكان أكثر شئ يخيف البدوى هو الجفاف وتأخر نزول الأمطار الذى يقضى على الحيوان ويهلكه ، فيهلك معه الإنسان ، فإذا كان الجفاف غير طويل الأمد لجأ البدوى إلى سد رمقه من الأسواق البعيدة أو القريبة ، ولجأ إلى الله وتضرع اليه بصلاة الاستسقاء أو كما يسميها أهل الحائر " الاستغاثة " ، ويحاولون ان يدفعوا الأولاد الصغار إلى أن يدعوا ربهم لأنهم أطهار ولم يرتكبوا ذنوبا .

الإستعداد للرحيل :

إن لبدو الحائر عادات وتقاليد بالنسبة لترحالهم وإقامتهم فهم كانوا يقضون فصل الصيف بمجتمع الحائر بالقرب من المياه ، أما باقي السنة فكانوا يرحلون للرعى والصيد ، لأن الحيوانات تكون فى أشد الحاجة للمراعى بعد نهاية فصل الصيف . وهناك تحضيرات وتجهيزات وإعداد لهذا الرحيل .

ويجهز جمل الرجل للرحيل كالآتى :

– يوضع على ظـــهر الجمل " الشداد " وهو من الخشب ويساوى السرج بالنسبة للحصان ، كما يوضع {" السياح " و " الخرج " و" القربة للمياه " ، ثم " الرسن " وهو اللجام بالنسبة للجمل للتحكم فى اتجاهاته .

أما جمل المرأة أو بعيرها فيجهز كالآتى :

– " الهودج " لحمايتها من عوامل الطبيعة من حرارة أو برودة ، وتعتنى المرأة بنسيج غطائه ، وما يعلق به من الستائر الجميلة المزخرفة ، وذلك من عمل يدها من الصوف ، بحيث يصبح متكاملا وجميل الشـــكل . وكذلك يوضـــــع " العـــدول " و " المعانيز " و " البرجد " و " الزولية " * ونسيج بيت الشعر **.

ويبدأ الرحيل فى الصباح الباكر بمجرد ظهور الضوء بعد أن تحمل الجمال باجزاء البيت الشعر ، وأدواته وأثاث وماء وطعام الطريق ، ويسير الفريق على هيئة " قاطرة " ويستمر السير فى هذه المجموعات تحمى بعضها البعض ، مغادرين القرية فى طريق الصحراء والرجال يسوقون " المرحول " ، فإذا أشتد عليهم الحر تنوخ البعير ، للراحة وللمبيت فى هذا المكان الذى سبق الاتفاق عليه قبل الخروج من القرية ، وأيضا لجمع أفراد القبيلة بعضها على بعض حيث أن خطوات الحيوانات لا تكون متساوية فى الخطى ، فالبعير مثلا أسرع من الأغنام ، ولذلك فى فترة الراحة هذه يلحق الظعن بعضهم ببعض وإذا كان المكان المراد أو المقصود قريبا فان الجماعة تصل فى رحلة واحدة أو " شدة " واحدة – مسافة كل مرحلة من هذه المراحل يسمونها (مرحلة أو شدة) وإذا كان بعيدا نزلوا فى هذا المكان المحدد ، وأحيانا يبيتون هذه الليلة فى الخلاء دون" بيوت " حيث تبقى " الأدباش " *** محزمة كما هى ، محتمين فيها من البرد ، وأحيانا تنصب النساء البيوت أو بعضها للمبيت فيها للوقاية من البرد . وفى هذه الليلة يأكل اهل القبيلة وجبة سهلة التجهيز خفيفة تسمى " المبسوسة " وهى عبارة عن دقيق قمح بر أو شعير وسمن مطبوخ فى ماء ، أو تسمى " بسيمة " .

---

* سوف يتم شرح هذه الادوات فى الفصل الخاص بالثقافة المادية .

** تحاول المرأة أن تدخل فى نسيج بيت الشعر بعضا من شعر الماعز ، نظرا لقوته ومتانته بجانب مميزات أخرى مثل عدم نقل الجو الخارجي سواء كان حارا أو باردا إلى داخل البيت ، وهى تحرص على الصوف الأبيض وتزين به كفواصل بين النسيج الأسود ، وتصنع قواطع البيت بألوان زاهية ، مما يعطى شكلا جميلا للبيت .

*** الادباش : وهى الحيوانات الصغيرة .

وفى هذه الفترة تكون الماشية فى حاجة شديدة للغذاء والماء ، ولذلك تترك الماشية فى المراعى ويتبادل عليها الرعاة . ويكون هناك نوعا من التعاون خاصة بالنسبة للماء . ويستمر " الظعن " فى الرحيل فى صباح اليوم التالى وهكذا حتى ينزل فى المكان المقصود ، وهذه هى المرحلة الاخيرة ، وبمجرد وصولهم يأخذون وضعا إيكولوجيا يتفق مع الظروف المتغيرة . وكل ذلك يتم وفق قوانين وقواعد عرفية ملزمة .

وتسرع النساء بمجرد الوصول ببناء " البيت " - بيت الشعر - فى الأمكنة التى يختارها الرجال ، فتبدأ النساء بدق الأوتاد - وتسمى " وتدأو منساب " فى الأرض وهى من الخشب قديما أو جزوع الأشجار ثم أصبحت من الحديد ، ثم يربط كل وتد " بطنب " فى " الجوازل " المثبتة فى أطراف البيت ، ويتناسب عدد " الأوتاد " و " الجوازل " مع كبر البيت أو صغره - مثولث أو مروبع ... إلى مسودس وهو بيت الشيخ - وعند فتحة البيت يدق ثلاثة أوتاد واحد فى الوسط وإثنان فى الجانبين ، وخلف البيت يدق ثلاثة أوتاد كما فى واجهة البيت ، وترفع جوانب البيت على اعمدة تثبت فى " الطريقة " ولابد أن تكون " الطريقة " قوية كى تعمل على اتزان البيت ويربط بها الأحبال ، وهى نسيج من الشعر يخاط فى جانبى الخيمة ، وتسمى " الحجاب " ثم " الذرى " الذى يحوط البيت ويقى من فى الداخل من الرياح ، ويتكون من حوالى اثنى عشر " فليجا " والفليج ، هو من نسيج صوف الغنم ، أما " القواطع " او " الفواصل " فتكون من وبر الجمل ، ويرفع وسط البيت أى " الطريقة " من الوسط بعمود يسمى (الوساط) ويكون بين " الوساط " و " الطريقة " قطعة مفتوحة من العود فى وسطها حفرة يوضع فيها رأس " الوساط " . ويرفع الجزء الخلفى من البيت " بالركيزة " ، وهو عمود قوى يعتمد عليه ثقل البيت ، ثم توضع أعمدة حسب مساحة البيت ، فإذا كان البيت صغيراً وضع إثنان إلى أن يصل فى بعض الأحيان إلى ثمانية أعمدة * .

---

* يمكن حصر أجزاء البيت فى :

١ - الفليج : وهو عبارة عن نسيج أسود ، وتخاط " الأفلاج " بعضها ببعض فتكون قماش البيت .

٢ - الطريقة : نسيج ذو خطوط طولية ، ويوضع فى جانبى البيت ووسطه من الداخل ، فاصلة بين الفلجان والاعمدة .

٣ - الركيزة : عمود طويل يرفع به البيت من الوسط .

٤ - الوساط : عمود يوضع بين اعمدة الوسط والركيزة ، وبين الوساط والطريقة قطعة خشبية محفورة من الوسط تسمى " الكريه " .

٥ - الزوازل : وهى عمود على شكل نصف دائرة يخاط فى اطراف البيت لتشد به الاطناب ، والطنب هو الحبل الذى يشد الزوازل إلى الأوتاد ، والوتد هو الذى يشد البيت إلى الأرض من جميع الجهات .

وبعد أن تنصب النساء البيوت * ، تنطلق الى الماء لتجلب احتياج بيتها ، ومعهن بعض الرجال إذا كان مورد المياه بعيدا أو النساء والفتيات وحدهن ، وتقوم النساء بعد ذلك بجلب الحطب أو أى شئ للوقود ، وذلك للطبخ ، ثم تنزل " الأدباش " من فوق الجمال لتوضع فى مكانها داخل البيت ، وتعلق قور الماء ، وترص أوعية الطعام على جانب من البيت .

أما الرجال فينشغلون بالرعى وينطلقون بالإبل والماشية إلى المراعى ، وعند عودتهم فى المساء ، " يختلف وقت الرجوع من المرعى حسب خصوبة الأرض ، فإذا كانت خصبة رجعت الماشية مبكرا والعكس صحيح ، يبدأ الرجال دق الأوتاد لربط الماشية بجوار البيت .

مما سبق يتضح أن مجتمع الحائر كان مرتبطا إرتباطا وثيقا بمعطيات البيئة الطبيعية المحلية ، فالملامح العامة للبناء الاجتماعى يعكس صورا من التكيف أو التوافق السلبى مع النسق البيئى الذى تشكلت فى إطاره . حيث نجد أن التوافق الإيكولوجى فى ظل الموارد البيئية غير المستقرة والشحيحة قد ساعد على تعدد المناشط الاقتصادية كالرعى وزراعة النخيل التى لا تحتاج إلى رى متواصل ، وكذلك الزراعة التى تعتمد على الرى ، والحرف اليدوية وبعض المناشط التجارية كما سيتضح فيما بعد .

ومن اختلاف أساليب ممارسة تلك الأنشطة ، وصعوبة الجمع بينها نتيجة ارتباط كل منها بمتغيرات زمانية ومكانية متباينة ، فقد كان مجتمع الحائر ينقسم الى قطاعين إجتماعيين واقتصاديين أساسيين هما .. البدو والرحل . والمستقرون فى القرية وهؤلاء ينقسمون الى مزارعين وحرفيين وتجار .

وبالنسبة لبدو الحائر فإن مهنة الرعى تأتى فى مقدمة المهن وأهمها ومصدر حياتهم واقتصادياتهم ، ويعتبر رعى الإبل ** فى المقدمة ، وترجع أهميتها الى أنها تلائم ظروف البيئة الطبيعية . ويتولى الرجال رعى الإبل والأغنام وسقيها فى فصل الصيف ، وارتياد

---

* وتنصب البيوت فى الأماكن التى يحددها الرجال وفى العادة تتباعد البيوت بمسافات متساوية ، كى تسمح بحركة الماشية اثناء سيرها .

ويتحدد المكان المقصود وفقا لعدة اعتبارات مثل الأحوال الأمنية ومدى الحاجة للحصون الطبيعية . وكذلك طبيعة الأماكن التى هطلت عليها آخر امطار الموسم (الصيف) ، وأنواع النبات ، وعمق الآبار وغزارتها ونسبة الملوحة من الأمور الهامة فى تحديد المكان .

** تعتبر الإبل من أنسب الحيوانات التى يمكن إقتناؤها وتربيتها فى ظل الظروف الطبيعية التى كان يعيش فيها البدو عامة ، وبدو الحائر خاصة .

الأماكن الصحراوية للإشراف على الرعاة وتوجيههم ، وهناك مهنة التجارة البسيطه فى موسم الربيع ، حيث يقوم البدو ببيع منتجاتهم وشراء ما يحتاجون اليه أثناء ترحالهم .

ثم هناك الصيد عن طريق الكلاب " السلوقى " وهى مخصصة للصيد ، أو عن طريق الصقور .

كما يعتبر الغزو والحرب والدفاع من المهن الأساسية لدى بدو الحائر ، مثلهم مثل البدو عامة ، إذ يقوم الرجال بالزود عن الإبل و " الدبش " أى الأغنام ، الخاصة بالعشيرة ضد أى معتد أو غاز ، وذلك بالحراسة الدائمة للنزل و " الحلال " المواشى ، وكذلك الدفاع عن بيوت وممتلكات العشيرة . وعلى كبار القبيلة وشيخها يقع التخطيط للغزو والاعداد له .

• **حماية ملكية القبيلة :**

حماية أراضى القبيلة تقع على جميع أفرادها ، ولذلك نجد أن الشجاعة والجرأة صفة أساسية ومطلوبة فى جميع رجال القبيلة ، وتأتى مكانة الرجل ومنزلته من شجاعته وإقدامه ، ونجد أن الفتى عندما يصل الى سن معينة ويبدأ فى تدريبات على الأسلحة والقتال وعندما يصل إلى سن الخامسة عشر تقريبا يقوم بالقتال - يناطح الرجال - أى يتوقع أن يصبح كالرجال وتؤخذ صفة الشجاعة والقتال فى الاعتبار فى مواقف عدة فعند الزواج يكون المهر ايسر من الرجل الشجاع ، " فكما قال أحد الاخباريين - المهر فى هذه الحالة ليس له أى إعتبار ولا تحديد ويجوز أن يدفع له هو " قالها بسخرية " وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على مكانة الرجل المحارب فى القبيلة " .

• **الصيد :**

إن الظروف الطبيعية التى تعرضت لها مجتمعات الدراسة ظروف صعبة والبيئة الطبيعية كانت فى أغلب الأحيان ضنينة على أهلها ، فمجتمعات الدراسة ككل لم تترك سبيلا للغذاء إلا وطرقوه ، حتى لا يكون مصيرهم الفناء جوعا أو عطشا ، فبجوار الرعى وما تنتجه الأرض الزراعية بالحائر كانت هناك موارد إقتصادية أخرى يلجأ إليها بادية الحائر مثل الصيد والتجارة وبعض المنتجات الصناعية البدائية التى تقوم بها المرأة - كما سيأتى ذكره عند الكلام عن الأعمال التى تقوم بها المرأة البدوية بالحائر .

ويتمثل الصيد فى أنواع كثيرة ، منها صيد الحيوانات البرية مثل : الظبى ، والوعل ، والأرانب ، والوبر * . وصيد الزواحف مثل " الضب " ** ، وكان يساعد البدوى فى صيده الكلاب " السلوقى " الخاصة بالصيد . وقد شاهدت الباحثة عند إجراء الدراسة هذا النوع من الكلاب وما زال موجودا حتى الآن فى بيوتهم الحديثة . وصيد الطيور مثل الحبارى ، والقميرى ، والكروان ، والقطا *** وذلك بمساعدة صـقور الصيد ، وصيد الحشرات مثل الجراد ، وتسويتها ، وتجفيف الفائض منها .

ومن عادات البدو عندما يعودون بالصيد ، أن يكون هناك نصيب للجيران والأقارب من الصيد ، ولا يجوز للمصطادين الاحتفاظ بالصيد لأنفسهم بمفردهم وخاصة إذا كان الصيد صيدا كبيرا كالظبى أو الوعل .

• الاسلحة المستخدمة فى القتال والصيد :

إن أهل البادية - مجتمع حائر البادية - مغرمون بامتلاك الأسـلحة كضـرورة أساسية لسببين : أولهما للدفاع عن أرضهم ، و " حلالهم " من إبل و " دبش " من أى معتد أو مغير ، كما يحتاج إليه البدوى للصيد **** ويذكر الإخباريون من هذه الأدوات :

- الشوزل : وهى تشبه البندقة إلا أن ماسورتها واسعة وذخيرتها كبيرة وتخرج على هيئة رش ولمسافة قريبة .

- ربع الشوزل : وتشبه بندقـية الرش وهـى مثل الشـوزل ولكـن بصورة مصغرة.

- الساكتون : له حبة واحدة صغيرة مثل الحمصة وله يد تفتح وتوضع فيه حبة من مادة الرصاص فى حجم الحمصة وهى للصيد .

- المقمع : نوع من أنواع البنادق له - رش - ويسـمى " درج " وهو من مادة الرصاص ***** .

---

* حيوان الوبر يجمع بين شكل الأرنب على صغير وشكل السنجاب ولكن بدون (ذنب) أو ذيل .

** الضب : سيأتى الحديث عنه بعد ذلك .

*** القطا : طائر موسمى .

**** يشترك مجتمعى الحائر والغطغط فى استخدام هذه الأدوات .

***** كل قبيلة كان لها عدد من " الصلب " تقوم بأعمال السمكرة والحدادة ، وهى تقوم بصب هذا " الدرج " من مادة الرصاص .

– القوس أو النبل : وهو عبارة عن نوع خاص من الأخشاب ومقوسة وبها وتر ، وسهم وهى من أدوات الصيد والحرب القديمة .

– الشلفة : تشبه الرمح وكان لهم مهارة فى استخدامها قديما فى الحروب ، فكان البدوى المحارب يضربه على العدو وهو فوق الخيل .

– الخنجر : مثل السكين وله شكل خاص .

– الجنبية : وهى مثل الخنجر إلا أنها معوجة .

ادوات خاصة بالحرب :– *

– الفتيل : ويستخدم للحرب ، وهو نوع من البنادق ويوضع فيه " البارود " و " الحلبى " والحلبى عبارة عن حبات صغيرة من الرصاص توضع فى قماشة ، ثم يشعل الناد فيها عن طريق الفتيل من الخرق ، وكان هذا النوع من الاسلحة يفشل استخدامه إذا نزلت الامطار اثناء الغارة .

– الرمــح : معدن له طرف ذو حدين من الأمام ويرمى على العدو .

– البلچيكى : وهى بندقية ماسورتها طويلة ورصاصتها حادة وتصيب الأهداف على مسافات طويلة ، وهى تشبه البنادق التى توزعها الحكومة على المنتسبين للحرس الوطنى فى الوقت الراهن .

– السيف : وهو معروف وله أنواع ممتازة تستورد خصيصاللحروب والغزو من قديم الزمان .

---

* وجدير بالذكر أن الباحثة قد شاهدت فى معظم البيوت التى قامت بزيارتها لجمع معلوماتها نوعيات متعددة من الأسلحة التى يتباهى بها أهل البادية – حائر وغطغط – كما شاهدت بعضا من جلود الحيوانت التى تم صيدها ، ومازالوا يقومون بالصيد الى الآن كنوع من الترفيه والتسلية ، إلا أنه كان قديما من مصادر معيشتهم ولذلك كانوا يبادرون بتعليم أبنائهم الرماية والتصويب وإصابة الهدف ، من سن مبكرة بغرض الصيد ، والقتال .

أدوات صيد خاصة بالصبية :

- الفخ أو المحبالة : ويستخدمها الأولاد لصـــيد الطيـــور ، وهى عادة عبارة عن مطاط (أستك) من الجلد " جلد حيوان " ، وعصب نخلة ويحنى كالقوس ، وعندما يأتى الجراد أو الطيور وما شاب ذلك لتأكل الحب فإنها تقع فى هذا الفخ .

- المرجام : أو " المقلاع " ويستعمله الأطفال لقنص الطيور .

• الزراعة بالحائر الحاضرة :

الزراعة بمجتمـــع الحائر من الانشطة الأقتصادية الهامة لحائر الحاضرة أولا ، ثم البادية ، فهى المهنة الاساسية لحائر الحاضرة ، ومن أهم المناشط الاقتصادية لهم ، ومصدر غذائى أساسى لحائر البادية والحاضرة .

وتنقسم أرض الحائر من حيث طريـــة ريها إلى نوعين ، فهناك الأراضى التى تزرع على مياه الامطـــار - البعول * - ، وهنـــاك الأراضى التـــى تروى بالميـــاه الجوفيـــة بطريقة " السوانى " .

ويزرع بالحائر ، القمح - البر - ، والشعير ، والدخن ، والذرة شتاءا ، والجرو والجح والبصل صيفا ، هذا بجانب التمر وهو المحصول الرئيسى بالحائر .

معرفة المياه الجوفية :

تعتبر أرض الحائر واديا - وادى الغاب - ، وعندما يريد المزارع أن يحفر بئرا يأتى برجل يسمى " الخبير " ليرشد عن مكان المياه ، ثم يبدأ فى الحفر ، وهناك عمال يختصوص بحفر الآبار يساعدهم أحيانا فى ذلك صاحب الأرض - ويتم حفر البئر بنفس الطريقة التى سبق ذكرها فى الجزء الخاص بالزراعة بمجتمع القصب - وفى بعض الأحيان كان عامل الصدفة سببا فى معرفة مكان المياه الجوفية حيث يخرج ينبوع ماء فى مكان ما، فيتم الحفر لبئر فى نفس المكان ، وفى حالة الآبار التى يتم حفرها للأراضى الزراعية يركب عليها " السوانى " ، لإستخراج المياه وتوصيلها للأراضى الزراعية .

---

* اراضى البعول - وهى أرض يقوم بتسويتها المزارعون وتترك فى انتظار الأمطار ، وبعد نزول الأمطار تبذر فيها البذور ، وتترك مرة أخرى لمياه الأمطار ، واذا كانت " الرخة " الكمية التى سقطت من الامطار فى المرة الأولى كبيرة فقد تكفى رى الأرض لمدة طويلة .

ادوات حفر البئر : *

يتم حفر البئر بالحائر بأدوات بدائيـــة ويدوية فمنها : " العتل " و " الهيب " أو " الهيم " ، و " المرزبة " وهى من الحديد ويقوم بعملها فئة " الصلب " .

وتبدأ الزراعة عندما يأتى رحيل " البراد " أى رحيل الشتاء القارس ، ودخول الدفء ، ويسمى هذا الوقت " بنجم الست " أو " بدرة الست " ، وفى هذه الفترة يخرج المزارعون بالحائر إلى الأراضى المخصصة للزراعة ، وخاصة إذا كانت الأمطار قد نزلت فى وقت مبكر مع دخول هذا الموسم " الوسمى " كما يسمى فصل الشتاء ، يبدأ الفلاحون فى تسوية الارض وحرثها "بالمحراث " إذا كانت مساحة كبيرة ، وإذا كانت مساحة صغيرة تسوى " بالمسحاه " ثم تقسم إلى " اشراب " جمع " شرب " وهى تشبه الأحواض على شكل مربعات وبينها " ساقية " أى خطوط طويلة مستطيلة كما تسمى أيضا " مشاعيب " ، وبالنسبة للارض التى تزرع على " السيول " وهى مياه الامطار وهى أراضى " البعول " – وقد أكد بعض الأخباريين على وجود السيول حتى وقت قريب بمنطقة الحائر – فهى الأرض المستوية التى يتكون فيها الطمى من السيول ، ويبقى فيها السيل لمدة طويلة وتسمى " القاع " وقد تقاسم هذه الارض معظم سكان الحائر ، وكانت المرأة تشترك مع الرجل فى عملية الحرث وخاصة إذا لم يكن هناك " صبية " أو ابناء تساعد الرجل أو عمال .

ثم يبدأ بعد ذلك فى بذر البنور " البر " أو القمح ، أو الشعير ..وكان الأهالى يتعاونون فى هذه العملية الزراعية دون أجر بل لمجرد التعاون والمساعدة ، وفى بعض الأحيان يقوم صاحب الأرض بإطعام مساعديه – كما يقول أحد الاخباريين " يصلح لهم الأكل ، ودايرة كلها عند بعضهم " ، أى أنهم يتعاونون بالتبادل مع بعضهم ، وفى بعض الأحيان تخرج بيوت الجيران الأكلات الشعبية للتعاون والمساعدة فى هذه الظروف .

---

* أما البئر التى كانت تحفر للشرب ، بالبادية فكانت تسمى " القليب " ومياهه تستخدم للشرب والماشية اما بحائر الحاضرة فهناك "الركيه " وهى عبارة عن بئر يبنى عليه جداران من الطوب النئ والطين والتبن بارتفاع متر وعرض ٧٥ سم تقريبا ثم يوصل بين الجدارين عمود من خشب " الإثل " ، ويتقاطع مع هذا العمود عمود آخر من الخشب يربط " برشا " أى حمل من ليف النخيل على شكل محور – ويثبت " الغروب " أى الكيس الجلد الذى سيمتلئ بالماء بدلا من الدلو فى احد طرفى العمود الخشبى بواسطة حبل والطرف الآخر من العمود الخشب يثبت فيه ثقل ليسهل عملية صعود " الغروب " وهو ممتلئ بالماء . وهناك بالحائر ستة آبار – ركيه – للشرب بالقرية .

هناك اختلاف فى بعض المسميات مثل – " الجابيه " تسمى فى الحائر " الألزا " وهو حوض الماء الذى يصب فيه " الغروب " .

أما النوع الثانى من الأرض وهو ما يزرع على السقى من الآبار الجوفية وكانت المساحةبالحائر من هذا النوع محدودة،ويبدأ فى سقاية الأرض بعد تقسيمها إلى " اشراب " ، و " مشاعيب " وذلك باستخدام المسحاه أو " المنساف "وذلك عن طريق تفجير المياه فى هذه " المشاعيب " وعدما ينتهى من سقاية " مشعب " يغلقه بقطعة حجر أو قطعة طين جافة ، ويفتح الماء " لمشعب " آخر وهكذا حتى تنتهى الأرض من السقاية عن طريق " السوانى " – كما سبق الذكر .

وفى حالة وجـود أجـراء لمسـاعدة صـاحب الأرض يقتصـر عمـل المـرأة عـلى تحضير الطعـام لهـم وإطعـام الإبـل أو الثيـران التـى تجر السوانى ، أو المحراث .

ويتم بالحائر زراعة بعض الخضروات مثل القرع ، الكوسة ، الباذنجان ، وتزرع الطماطم على هيئة شتلات وتدفن من البرد ، ويـزرع " الزت " أو البرسـيم ، وذلك فى موسم الصيف كما يزرع فى نفس الموسـم الذرة ، أما الفاكهـة فهى نادرة فيزرع " الجح " أو البطيخ .

الحصـــاد :

ويسمى أحيانا " الصريم " . ويأتى فى هذا الموسم المزارعون " بالمحش " أو " المنجل " وهى آلة حادة رقيقة على هيئة هلال ولها أسنان ، وتشترك العائلة والحى جميعا فى الحصاد – رجالا ونساء واطفال – فى هذه العملية ، وفى بعض الأحيان يكون هناك بعض الأجراء يؤجرون باليوم فى هذه الملية من " القعيديين " * ، وفى العادة يتم حصاد القمح فى بداية فصل الصيف ، ويسبقه أنواع الحبوب كالدخن أو الدقس أو الشعير ، وتتم عملية الحصاد بأن تحش السنابل " بالمحش " وتترك خلف المزارع على هيئة " أكداس " أو " كدوس " ثم تجمع وتنقل إلى المكان المعـد " للدرس " أو كما يـسمى " الدياسـة " أو " الدوس " ويسمى هذا المكان " القوع " .

الـــدرس :

وتأتى عملية " الدرس " فى " القوع" وهو مكان أو أرض فضاء يابسة نظيفة وترص فيها السنابل على شكل دائرة بحيث يكون القمح للداخل ثم تربط الدواب فى محور فى الوسط بحبل

* القعيدى : هو المزارع الذى لا يملك أرضا زراعية .

(رشا) وتقوم بدوس السنابل مرات عديدة بأرجلها حتى تخرج الحبوب من سنابلها ثم تقلب " المعدال " .

التذريـــــة :

بعد أن تتخلص الحبوب من سنابلها (التبن) تأتى عملية التذرية أو التصفية ، بنفس الطريقة المتبعة فى مجتمع القصب .

إخراج الزكاة :

أو ما يسمى " الكيل " ، وهناك مكاييل تعرف " بالصاع " أو " الوزن " وهى عملية تأتى بعد تصفية الحبوب من التبن وهى تحديد كيل الحبوب لتحديد الزكاة وهى حق الله لإخراجه فى الحال ، فيرسل الأمير رجالا محددين لهذه المهمة كى يحددوا نصيب الزكاة ، فتؤخذ وتجمع عند الأمير ، لكى توزيع على المستحقين ، ثم يخرج حق نوى القربى ... الخ وهناك اعتقاد أن الإخلال بالذكاة والصدقة وصلة الرحم تقلل البركة فى المحصول .

حماية الزرع بالحائر :

جرت العادة أن توضع حماية للمزروعات وحراسه من أى اعتداءات ، ولكن بمجتمع الحائر هناك تقليد وهو إذا وضع حائط أو سور حول المزارع أو حول النخيل فإن المزارع يعاقب من قبل الشيخ على وضعه لهذا السور ، خوفا من أن أحد الفقراء أو الضعفاء يأخذ شيئا من هذه المزارع نتيجة لظروفه وإحتياجه، فتحسب عليه سرقة .

النخيل بالحائر :

يتم غرس النخيل فى موسم الصيف ، وتسمى الحائر " وادى الغاب " من كثرة أشجارها وكثرة مياهها الجوفية ، إذ هى ملتقى لثلاثة أودية هى وادى حنيفة ووادى الحائر " المزاحمية " ووارى بعيجع .

ويقول أهل الحائر أن النخلة شجرة كريمة ، لا تجحد الجميل ، فبقدر ما يعطيها صاحبها ترده إليه مضاعفا ، وبالحائر تعد زراعة النخيل أساسا هاما لاقتصادهم حيث تم

زراعة الوادى وهى الحائر القديمة ، وكانت زراعة النخيل بالحائر تتبع خطوات أهمها ، تجهيز البئر " القليب " فى الارض المراد غرس النخيل بها ثم يجمع الفلاح فسائل النخل من أقاربه ومعارفه ، ثم يحفرحفرا بعمق معين تبعا لصلابة الارض وليونتها ليضع بها " افراخ النخيل " الفسائل وتترك مسافة بين كل نخلة تقدر بحوالى ستة أمتار ، وكلما ابتعدت النخيل بعضها عن بعض أخذت فرصتها فى الغذاء والنمو من الأرض وأعطـــت انتاجـــا أكثر * ، وتغرس فى " الصفرى " أى فى بداية الربيع . وتتراوح فترة اثمار النخلة بين ٤- ٥ سنوات بالحائر حيث ان أرضها خصبة ، وعندما يرتفع النخل يصعد رجل يسمى " الخراف " فيقوم بالعناية بالنخلة من تلقيح ، وتنظيف حوافى الجـــريد من بقايا التـــر كى لا يســـوس المحصول الجديد و " التشييف " أى إزالة الشوك من الجريد ، ويصعد " الخراف " بما يسمى " الكر " وهو معدمن الجلد والحبال – وقد سبق ذكره ، وفى موسم جنى التمر يصعد "الخراف " ومعه " مخرف " وهو يشبه " الزبيل " ، ولكن " المخرف " اصغرمن " الزبيل " ، ثم يجمع " العنوق " أى شماريخ التمر فى " المخرف " ويدليه بحبل لرجل آخر يكون فى الإنتظار فيفرغ " المخرف " ويشده " الخراف " بالحبل إلى فوق وهكذا ، وبعد جنى التمر يتم تنظيفه – كما سبق الإشارة – وتخزين ما يحتاجون إليه للعام والتصرف فى الباقى ، ويخزن التمر ببادية الحائر فى " العيبه " أما الحاضرة فيخزنون التمر " بالجصه " .

- **التجارة بالحائر :**

كانت الحائر من المجتمعات البدوية التى قطنت الصحراء وكان لها بيوت فى القرى ، فجمعوا بين وظيفتين اقتصاديتين هما : الرعى والقيام ببعض مهام الزراعة ، فزرعوا أشجار النخيل بالوادى وكانت التمور من أهم حاصلاتهم ، وهى فى الوقت نفسه من أهم وجبات طعامهم الرئيسية ، وعندما كانت تزيد كمية التمور عن حاجتهم كانوا يقومون ببيعها ، وإذا شح انتاج التمور فى ســنوات معينة ، كانوا يسافرون للأحساء لشراء حاجتهم على مدار السنة ، وكانت تزرع بعض أشجار الفاكهة – كالبطيخ والشمام ، وبعض الاعلاف الخاصة بالمواشى بين أشجار النخيل ، وسمى بدو الحائر ببدو نصف رحل لأنهم لم يتفرغوا تماما للرعى بل أضافوا إليه عملية جنى ثمار المحصول فى أوقاته . وفى رأينا أن هذه الذبذبة كانت مقدمة ناجحة لاقتناع البدو بالتوطين والاستقرار فى مراكز زراعية عوضا عن الترحال الدائم ، وبهذا النوع من الاستقرار يحصل المجتمــع الإنسانى على اقتصاد أكثر قوة وأكثر إستقرارا وتجاوبا .

---

* يقال " مثل " على لسان النخلة " إبعد أختى عنى وخذ طلعها منى " .

وفى وسط بلدة الحائر يوجد " المسحب " أو السوق ، أو " المجلب " وبه مجموعة صغيرة من الدكاكين ، وحراج للماشية وهو عبارة عن مكان متسع فى وسط القرية ، حيث يجتمع أهل القرية ببضائعهم فتجد " راع " الذبائح ، وراع " الحطب ، أى بائع الحطب و " راع " المواشى ، وكذلك بائع الدهن ، وبائع " الإقط " وكلهم من بدو الحائر ، ليقوموا باستبدال بضائعهم بما يحتاجون اليه من قمح ودقيق ، وذرة ، ودخن وقهوة ... الخ ، وينشط السوق فى فصل الربيع من كل عام ، حيث يعود البدو من ترحالهم ومعهم البضائع المراد بيعها ، وكان المزارعون بالحائر يبيعون الفائض من منتجاتهم الزراعية إلى " التجار " أو " الجمالين " الذين بدورهم يقومون ببيعه فى سوق القرية ، أو للمناطق المجاورة .

• **الحرف بالحائر الحاضرة :**

هناك بعض الحرف – كما سبقت الاشارة – يأنف منها البدوى من أن يزاولها وتعتبر من المهانة مزاولتها ، فيأبى القبلى أن يزاولها ، ومن أمثلتها :-

– العمالة الزراعية : هناك بعض العمالة الزراعية بالحاظر وهم ذوو الملكيات الزراعية الصغيرة فيعملون فى اراض زراعية بالأجر " رعاة بالأجر " . كما أن هناك فئة " القعيديين " وهم الذين لا يملكون أى ملكيات زراعية فيعملون بالأجر .

– البناءون : هناك مهنة البناء بالحائر الحاضرة – ويقوم بها بعض الأهالى ، وإن كان عددهم قليلا نظرا لبساطة البناء وبدائيته ، فغالبا ما يقوم بالبناء صاحب البيت .

– النجارون : هناك أيضا مهنة النجار لصنع بعض المنتجات الخشبية الخاصة بالبناء كالباب و " المسك " .

• **عمل المرأة فى حائر الحاضرة :**

لا يختلف دور المرأة فى حائر الحاضرة عن دورها فى البيئة الفلاحية بمجتمع نجد عموما ، فكانت المرأة بجوار الرجل فى جيمع مراحل الزراعة منذ تسوية الأرض وحرثها وتقسيمها ، وريها ، ثم فى موسم الحصاد إلى عملية " الدوس " أو " الدياس " أى الدرس و " التذرية " وفى النهاية تأتى مرحلة " الغربلة " وهى فصل الحبوب عن " التبن " ، أو " العلف " الذى لم تستطع الرياح حمله بعيدا أثناء عملية " التذرية " ، وكذلك تنقية الحب من الشوائب مثل كريات الطين أو الحجارة ، وتتم هذه العملية عن طريق " غربال " كبير ، ثم تخزين الحبوب

المطلوبة على مدار السنة وبيع الفائض بعد إخراج نصيب الزكاة ، والفقراء وذوى القربى ، كل هذه العمليات السابقة تشارك فيها المرأة الرجل يدا بيد .

- الغطغط :-

• مقدمة عامـة :-

عاش مجتمع الغطغط قبل الاستقرار حياة قبلية وعشائرية تتسم بالترحال والتنقل بحثا وراء مصادر الحياة ، وعرف مجتمع الغطغط نظام الملكية والتملك وفائدتها ، فتنازعت عشائر الغطغط مع غيرها من العشائر على الاراضى الخصبة الجيدة ، وتشاحنت مع غيرها على المساقى والحدود ، وبالرغم من ظهور نظام الملكية وحيازة الأراضى ، فإن هذا التملك والحيازة كان من حق القبيلة أو العشيرة كلها ، وليس من حق الفرد أن يتملك شيئا ولا يدعى حيازة قطعة خاصة به .

ومجتمع " الغطغط " مجتمع بدوى تعيش جماعاته فى حالة ترحال مستمر طوال العام ، ولقد فكر الملك عبد العزيز فى توطين هؤلاء البدو ، وكانت فكرة انشاء الهجر حيث قامت أول " هجرة " فى نجد عام ١٣٣١ هـ ، ثم انتشرت بشكل سريع ، حيث تم تشجيع البدو على هجر الترحال باساليب متعددة منها تشجيع مشايخ وأمراء القبائل والعشائر على تعليم المبادئ الدينية ، التى تحفز على التوطين ليكونوا أول المبادرين إلى الإستقرار فى هذه الهجر ، حيث أنهم يمثلون القدوة لعشائرهم البدوية ، ومنح هؤلاء المشايخ امتيازات ادارية حيث تم إعتمادهم أمراء لهذه الهجر ، ليرتبط بهم أبناء العشائر المستقرين منهم وغير المستقرين ، وقد حدث ذلك بهجرة الغطغط . فعندما دعا الملك عبد العزيز إلى الاستقرار ، استجاب " بن حميد " وعشيرته من " المقطه " واستقروا فى الغطغط ، وقد وزعت الأراضى عليهم بمعرفة أميرهم ، وعرفوا الملكية الفردية لأول مرة فى حياتهم ، وبهذا انشطرت العشائر وفقدت وحدتها بتحول السلطة المشرفة عليها إلى سلطة رسمية مستقرة .

وما أن قامت حرب " السبلة " ، حتى هجروا الغطغط مرة أخرى ، وعندما سمح لهم بالعودة ، بدأ " بن خثيلة " فى العودة وتقسيم الأرض من جديد .

• اختيار الهجر :

ولقد تم اختيار الهجر على أساس أن تقيم كل هجرة على بئر أو نبع ماء ليضمن توفير المياه لأغراض الشرب والرعى . وكذلك للحصول على المياه الجوفية عن طريق حفر الآبار ، أو

من الينابيع . وبجانب مصادر المياه كأساس طبيعى يتحكم فى اختيار مواضع الهجر ، فالطرق البرية تشكل الأساس الثانى الذى استطاع أن يحدد مواضع الهجر ، فلا يمكن ان تقام الهجر فى أماكن منعزلة حتى لو توافرت المياه فيها ، فسكان الهجر الذين تعودوا على الترحال عبر الصحراء لا يستطيعون ان يتحملوا العزلة . وعلى الرغم من أن الهجر أقيمت داخل ديار القبيلة ، إلا أن الملك عبد العزيز لم يلتزم فى توزيع السكان البدو على " الهجر " أن توطن كل قبيلة ، أو كل فخذ من قبيلة " بهجرة واحدة " بل ما حدث بالفعل فى معظم الهجر أن تشاركت بعض أفخاذ من قبائل مختلفة فى الإقامة فى هجرة واحدة ،وكان ذلك متعمدا بالفعل وله أسبابه الوجيهة ، حيث كان يراد أن تتصاهر القبائل ، وتضعف العصبية القبلية ، ويحل محلها الإحساس بالمواطنة ، وإن تشتت القوة القبلية .

ومع ذلك لم يقطع الهجر صلتهم نهائيا بالصحراء ، بحكم إرتباطهم ببقية أفراد قبائلهم الذين ظلوا فى حياة البداوة . بالاضافة إلى أن حياة الهجر الجديدة كانت تحتم عليهم البقاء على اتصال مستمر بالمراكز الحضرية القريبة منهم .

وتأتى قبيلة عتيبة فى المتبة الثانية بعد قبيلة حرب من حيث عدد الهجر التى عمرت والتابعة لكل قبيلة ، ثم يأتى بعد ذلك باقى القبائل .

ولقد تجمعت عدة عوامل ساعدت على نجاح مشروع الملك عبد العزيز وإخراجه من حيز الفكرة إلى حيز التنفيذ والعمل ومن أهم هذه العوامل :

- الحماس الدينى الموجود عند البدو البسطاء كان عاملا قويا من عوامل نجاح المشروع . فالبدو لا يهتمون بالسياسة ، وإنما لديهم إحساس عميق بالأمور الدينية .

- نجاح الملك عبد العزيز آل سعود فى إرساء فكرة بيع القبائل لجمالها التى هى رمز البداوة ، وأن تعتمد على الزراعة بدلا من الرعى ، وتكون مجتمعا زراعيا مستقرا ، بدلا من مجتمع رعوى متنقل . ويساعده فى إرساء فكرته هذه جماعته الدين يشرفون على تثقيف البدو وتعليمهم .

- كثرة عطاءات الملك عبد العزيز ومساعداته لأبناء البادية من الأموال والأرز والحبوب والشاى والبن وبعض التسهيلات اللازمة للزراعة . والواقع أن هجرهم لم تكن هجرا زراعية بالمعنى الحقيقى ، وإنما هى على شـــكل وحـــدات سكنية بناها البدو حول بئر ماء وبجانبه مسجد . وكان كل اعتماد البدو على عطايا الدولة .

– إن البدو ملوا حياة الترحال ، ولذا وجدت لديهم أسباب قيام نوع من الاستقرار الذى فضلوه على الترحال ، وقد تأثروا فى حبهم لحياة الإستقرار بعوامل سنوات الجفاف المميت فى ديارهم ، وهذا معناه القضاء على موارد رزقهم التقليدية . زد على هذا أنهم فضلوا الإستقرار لأنهم كانوا يجدون سهولة العيش فى الهجر أكثر من الصحراء .

– استطاع الملك عبد العزيز أن يقنع رؤساء القبائل بالحضور إلى الرياض والدراسة فى مسجدها الكبير للأمور الدينية على مشايخ اعدهم لهذه الغاية . ليعودوا وينشروا هذه التعاليم الدينية بين أفراد قبائلهم (*) .

– مرونة نظام الملك عبد العزيز الخاص بالتوطين ، فقد سمح لكل قبيلة كبيرة أن يبقى قسم من افرادها فى الصحراء ممن يعملون فى الرعى ، وأما الباقون فيرسلون إلى الهجر للقيام بالأعمال الزراعية . فكانت مرونة النظام وسهولته من العوامل المشجعة للبدو على قبول المشروع .

– عندما كانت تؤسس الهجر لتوطين الإخوان كان يرافق هذه العملية توزيع الأراضى المجاورة للهجرة على البدو الجدد المقيمين فى الهجر الجديدة ، وبهذا يكون البدوى قد حصل على حصة من الأراضى لم يكن ليحصل عليها لولا هذا المشروع ، وكان هذا عاملا مشجعا لقبول البدو لمشروعهم لأنه يدر عليهم الفوائد الكثيرة (١) .

• **النسق الاقتصادى لبدو القطقط :**

– فى ظل المناخ الصحراوى الموسمى والاعتماد على معطيات البيئة ، فقد كانت الحياة تتبدل بصورة نمطية بحيث تتناغم سلبيا مع التقلبات الفصلية ، وحيث أن النشاط الرعوى وتربية الماشية من إبل وأغنام كانت تحقق أعلى درجة ممكنة من التوافق الايكولوجى ، فإننا نجد أن القيم العليا تتجه نحو كافة المقومات المرتبطة بهذا النشاط حيث ترتبط طرديا بدرجة الترحال ، وبعدد الجمال ، وبيوت الشعر ، واتساع المجال المكانى ، كما ترتبط بكل ما يدعم هذه المقومات كالانتماء القبلى ، والملكية القبلية ، والسلطة القبلية ، والنظام العرفى ، وكل العادات والتقاليد والسلوكيات الجماعية .

---

* عبد الله حمد الحقيل : ظاهرة توطين البادية . مجلة الدارة ، دارة الملك عبد العزيز ، العدد الثانى ، السنة الحادية عشرة ، محرم ١٤٠٦ هـ / سبتمبر ١٩٨٥ م ، ص ص ١٢٢ – ١٢٣ .

(١) عبد الله حمد الحقيل : مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

ولقد ظل بنو الغطغط طوال حياتهم لا يعرفون من أنواع الملكية سوى الملكية الجماعية للأرض ، والملكية العائلية للحيوان أو المال أو " الحلال " كما يسمى ، وهى الملكية التى سادت بين البدو فى جميع مراحل حياتهم تقريبا ، والتى نتج عنها نوع من التضامن العشائرى ، فالقبيلة هى الوحدة الأساسية فى المجتمع ، وهناك مساواة بين الأخ وأخيه فى حدود الحقوق والواجبات التى تحددها القبيلة ، والنزاع هنا قائم من أجل الإحتفاظ بالثروة التى يتربع على قمتها الإبل .

• الرعى والترحال :

ينتظر أهل البادية الرحل ، انتهاء فصل الصيف والحر فيظلون فى حالة ترقب مستمر لظهور الغيوم ، وينتظرون اخبار البرق ، متعطشين لنزول المطر ، معتمدين على الرؤية المجردة للبرق ، بجانب الأخبار التى تأتى ممن كانوا فى أماكن بعيدة أو قريبة ، وتظل أخبار المطر هى الحديث الغالب على أهـــل البدو ، وإذا تأخر المطر عن ميعاده بالأعوام السابقة ، بدأت الدعوات ، والرجاء من الله ، داعين مستجلبين الماء بالدعاء وبصلاة الاستسقاء ، فحياتهم تعتمد كل الاعتماد على نزول المطر ، الذى يدور حوله نشاطهم الاقتصادى ، والعيون جميعها متجهة إلى كل سحابة ممطرة ، ويبدأ البحث عن موقعها وإتجاهاتها وكمية الماء التى تحملها ، ويرسلون " العسوس " إلى مكانها ليأتوا بأخبارها ، وهؤلاء " العسوس " لهم طريقتهم فى معرفة عمق الماء فى الأرض ، عن طريق الحفر فى الأرض وقياس مسافة الماء .

وعندما يبدأ هطول الأمطار ينمو العشب وتزدهر البادية ، فترحل العشائر صوب المراعى ، وتتنقل فيها من مكان لمكان وفقا لوفرة العشب ، إلى أن تبدأ الحرارة فى الإرتفاع وتنضب الموارد من مراع ومياه فيتجهون نحو الآبار ، ويسمى هذا الفصل " الوسمى " ، ويكونون على مقربة من مصادر المياه لتحميهم من لفحات الصيف القائظ فى حين يرحل الرجال إلى المدن والقرى المجاورة لبيع منتجاتهم من الإبل والأغنام والسمن والإقط والمنتجات الجلدية ، وشراء ما يحتاجونه للشتاء القادم من دقيق وتمر وبن وأرز فى السنوات القريبة .

الرحيل :

إن بنو الغطغط لهم تنقلاتهم على مدار السنة ويحكم تحركاتهم وتنقلهم وجود الماء واحتياج إبلهم ومواشيهم ، فمن أجل حلاله (الإبل والأغنام والماعز) يتنقل ويرحل ، بل من أجلها يغزو ويدافع ، فتتركز ثروة البدوى فى حجم ما يملك من إبل وماشية ، بل تدور حياته كلها حولها .

وكان بدو الغطغط رحل على مدار السنة ، وكانت أماكن الإستيطان تحدد على أساس الظروف الطبيعية وحسب فصول السنة وحاجة الماشية ... ويتحدد المكان الذى تتجه إليه القبيلة بناء على مشورة جماعية ، ورأى الشيخ وكبار القبيلة ، بناء على الأخبار التى تصلهم عن أماكن الرعى والمطر ، فعندما يسمع أن هناك " ربيع " أو " حياة " يقال نريد نرحل أو " نحيل للحياة " ، وفى العادة فان فترة الصيف ويسمى " القيفل " يقضيها بدو الغطغط قرب البئر " القليب " فيكون الاستيطان حول الآبار ، (يستخرج الماء من البئر عن طريق " دلو " * من الجلد غالبا جلد الغنم ، مربوط بحبل ويدلى الدلو فى البئر ويرفع محملا بالماء يدويا) .

وعندما يتحدد اتجاه الرحيل من مكان إلى آخر ، يبدأ التحضير والتجهيز كالاتى :

كيفية إعداد جمل الرجل وجمل المرأة عند الرحيل لدى بدو الغطغط :

يختلف إعداد الجمل للرجال عنه للمرأة ، فيعد كل منهم بحيث يتلاءم مع طبيعة الراكب واحتياجاته – رجل أو إمرأة – ويحضر كالاتى :

جمل الرجل :

يوضع على جمل الرجل ما يسمى " بالشداد " وهو عبارة عن خشب يشبه " كرسى " البحر ففيه قطع الخشب متقاطعة ، وهو يوضع على ظهر الجمل بصورة تتلاءم مع سنام الجمل ليتكئ عليه الرجل . ثم يوضع " السعل " وهو يعمل من جلد الخراف الصغيرة ، كى يكون ناعما ، ويزين ، ويوضع فيه البن " القهوة " والهيل والمسمار ، ويحمل الرجل معه ادوات الصيد – كما سبقت الاشارة لدى بدو الحائر – وهى هامة لحياة البادية للدفاع وللحصول على مصدر من مصادر العيش وهو الصيد ، والبدوى يعتز بها ، ويفتخر بإقتناء الأنواع الجيدة منها .

جمل المرأة :

أما جمل المرأة فيكون عليه الهودج ليحمى المرأة هى وأولادها ، وكانت المرأة تعتنى عناية خاصة بنسيج غطاء هودجها ، فتزينه بألوان مختلفة وتزخرف ستائره ** ، ويجهز بالأدوات الخاصة بالبيت والمرأة مثل :

* يوضع بالدلو الجلد خشبتان على هيئة × كى لا يثنى الجلد وتقوم البدوية بحرق نهاية الخشبتين لتعمل بهما ثقوبا بالنار لتثبيتهم بالدلو ، فتجعل الدلو مفتوح الفوهة دائما .

** يلاحظ ان الادوات والاثاث الخفيف الحمل الذى يستخدمه البدوى فى ترحاله من الخامات المتوفرة له من منتجات ماشيتهم ، فهى اما من صوف أو وبر الماشيه ، أو من جلودها بعد دباغتها ، ويعتمد أهل البدو فى صناعها على أنفسهم .

– الأشياء المكونة من الجلود بعد دباغتها تدبغ الجلود بنبات الكرمع ، أو نبات الأرطه ، بعد تنشيفه ودقه وصحنه ثم يغلى فى الماء وينقع فيه جلود الماشية المراد دبغها لمدة تتراوح من خمسة الى ستة أيام ، كما يوضع على الجمل " المسامه " وهى تقابل الشداد عند الزجل ، ثم " الغبيط " لتجلس مع أولادها ، ثم تضع " الزهاب " الذى تجمع فيه أدوات البيت مثل " العيبه والعكة والكرش .. الخ " * ثم تضع " الخميل " وهو كيس كبير من صوف الغنم ويزين بألوان زاهية لتضع فيه ملابسها وأدواتها الخاصة " كشنطة السفر " ، كما يمكن أن تضع به بعض المؤن مثل الطحين ... الخ ، والمزودة وهى تشبه " الخميل " ولكنها اصغر منه ولها نفس الإستعمال تقريبا ، والدلو وهو من جلد الماعز أو ما شابه ذلك .

وبعد أن يتم التجهيز للرحيل يتجه الفريق على شكل مجموعات متقاطرة من الإبل المحملة وتسمى " المظاهير " أى يطلق عليها " مظاهير فلان " ، وإذا كانت المسافة طويلة فإنها تتم على مراحل – كما سبق شرحه فى رحيل بدو الحائر – وتسمى كل مسافة " مرحلة " .

وعند الوصول – وكما سبق الإشارة – تقوم النساء ببناء البيوت وإحضار الماء .. الخ .

ثم تؤخذ الماشية لمكان المياه حيث يكون اشتد عطشها أثناء الرحلة ، ويتبادل الرعاة الأغنام ويتعاون أفراد العائلة حيث يتطلب الرعى اليومى ثلاثة أدوار هى :

" المضحى " : وهى من الساعة السابعة صباحا إلى العاشرة تقريبا .

" والمسراح " وهى من العاشرة حتى الثالثة عصرا .

" والمعشى " وهى من العصر وحتى السابعة مساءا تقريبا أى عند نهاية الغروب ليلا ، ولذلك يتبادل اكثر من فرد ، فيقوم بكل دور راع أو راعية ، وفى أغلب الأحيان تشترك الفتيات فتأخذ دورة " المضحى " أو " المسراح " وعندما تعود الفتاة من المرعى يكون قد اشتد جوعها لطول فترة بقائها مع الماشية . فهى تذهب إلى المرعى مزودة بالماء فقط فى القربة – القربة المصنوعة من جلد الغنم – وأحيانا تأخذ معها بعض التمر الذى يؤكل فى الغالب فى بداية اليوم وتظل بدون طعام طوال اليوم ، وهى راكبة حمارا اذا كان المكان بعيدا أو سيرا على قدميها اذا كان قريبا ، وعندما تعود تطلب وجبة تسمى " لطوف " ، فتقول أريد " لطوف "

---

* سيأتى الحديث عن هذه الأدوات فيما بعد .

و " ما عندك لطوف يا أماه " واللطوف يشبه التصبيرة كما يقال فى مصر ، أى وجبة سريعة قبل الوجبة الأساسية وهى " العشاء " ، ويكون اللطوف عبارة عن " اللتيمة " مثلا وهى تشبه الجبن الأبيض وتكون من " الإقط " قبل أن يتيبس أو يجف ، وقد يكون " اللطوف " زبد أ أو تمراً أو مضيراً أو إقطاً *

وبعد أن تقل المراعى القريبة يبدأ نوع جديد من الرعى يسمى " المعزاب " حيث يقل العشب فتتجمع النساء ، لتذهب بغنمها إلى مكان به عشب ، وهنا يكون الرحيل بالغنم فقط دون رحيل البيت فيظل البيت مقاما ، ويحدث ذلك فى الغالب فى نهاية الموسم ، حيث تكون الماشية ليست فى حاجة للماء بصفة يومية ، وهذا الوقت من الرعى يحتاج تجمعا وتعاونا بين جميع الأعضاء - الوحدة القرابية الواحدة - ، وفى طريقة الرعى هذه " المعزاب " تبقى الماشية لعدة أيام مع الرعاة - خاصة النساء - ثم تعود (ترد) لتشرب ثم ترجع للبر (تصدر) .

وهناك أسلوب لشرب الماشية (رى الماشية) خاصة فى وقت الحر " المقطان " ، وذلك بأن تعطى كل وحدة قرابية وقتا محددا للشرب والارتواء ، وتسمى " فرزة " وإذا كان هناك من لا يملك بئرا أى ليس له " قليب " يعطى " فرزة " أى يوما محددا يسقى فيه غنمه ويشرب وتحدد " الفرزة " للورود على " المنهل " وهذه الدورة تحددها أيضا الوحدات القرابية ، بحيث يأخذ كل فرع من فروع الوحدة القرابية الكبيرة " فرزة " أى وقتا محدد حسب ما يشبه الجدول حتى تصل التقسيمات إلى جميع المستويات القرابية حتى يصل إلى اصغر قطيع ، ثم تقسم المواشى ويسمى كل قسم من هذه القطعان " رسلا " أى القطيع الذاهب للماء ، فنجد أن هذه " الرسل " محدد لكل منها وقت محدد للذهاب للماء بنظام دقيق بحيث لا تتعارض هذه " الرسل " بعضها مع بعض .

ولكى لا تختلط الماشية مع بعض هناك الوشم " وسم " معين أى نقش لكل قبيلة على حدة فيقال " وسم عتيبه " وهو على شكل معين ، ثم داخل القبيلة الواحدة يبدأ كل بيت فى وضع " الوسم " على جزء معين من الحيوان فقد يوضع على الوجه للماشية أو الرجل أو قد تشق الاذن أو تعمل علامة بحرق النار على شكل معين .. وهكذا .

وفى وقت " المعزاب " أى الرعى فى أماكن بعيدة فى فصل " المقطان " قد تستسمح قبيلة قبيلة أخرى لظروف قحط بأرضها فيضم فى هذا الموسم أكثر من قبيلة أو يكون هناك

---

* سيأتى شرح هذه الأكلات فيما بعد .

نوع من التحالف بين أكثر من قبيلة ، فينضم مع " عتيبة المقطه " وحدات قرابية من قبائل أخرى ، وبذلك يتغير تركيب الوحدات الاجتماعية وحجمها ، وكذلك البناء الشكلى للإستيطان ، فتتجمع جميع الفخوذ ، ويطلق عليهم فى هذه الحالة " نزل " أو " المظهور" أو " العريان " أو " الفريق " ، ويرجع تقاربهم هذا إلى ضرورة حاجتهم إلى الماء حيث أن الماشية برعاتها فى مكان والبيوت متجمعة فى مكان آخر قرب الماء ، فيختلف شكل الإستيطان هنا عن شكله فى فصل " الربيع " أو " الصفرى " وفى هذا الموسم تنضم صغار الأغنام إلى الكبار ، ويكون شكل الإستيطان إما على شكل دائرة حول " القليب " البئر أو على شكل خطين متوازيين والبيوت متشابكة بجوار بعضها ، لضمان عدم الإعتداء على الماشية وعلى الماء على وجه الخصوص ، فالنزاعات كانت دائما على مصـــدر الماء ، فكما يقال فإن المرعى ممكن إرتيادها " فأرض الله واسعة " لكن الماء لا يقترب منه أحد إلا بنظام دقيق .

وعندما يدخل فصل " الخريف " وتخف الحاجة إلى الماء يتفرقون مرة أخرى وينزحون بعيدا عنه ، " وتعزب " الإبل أى تبعد بعيدا عن الماء وترحل لمسافات بعيدة عن مسافات الغنم ويسمى هذا الرحيل " المظمى " حيث تذهب الإبل للمراعى بعيدا عن الماء ، ويعرف هذا الفصل من السنة بظهور نجم يسمى " سهيل " ، وفى هذه الفترة تبدأ عملية " المديد " أى التزود ، وفيها يتزود البدو بما يحتاجون من طعام ، فيذهب فيها الرجال لجلب المؤن وتشترى من القرى القريبة أو يذهب الرجال على الجمال إلى الأماكن البعيدة مثل " الاحساء " او " الطائف " لجلب التمر ، وتستغرق الرحلة فى العادة حوالى شهرين ، وينتظر باقى القبيلة عودة هؤلاء الرجال فيقال " يتباشرون " (أى يتساءلون عن أخبار عودتهم) ويظلون يتطلعون إلى أخبار هؤلاء الرجال . وبعد أن يتزود البدو – خاصة بالتمور – ويأتى " المديد " تبدأ الفترة الحرجة فى حياة البدو حيث التطلع الى السماء وانتظار المطر ، وتبدأ احاديثهم عن المطر وعن السحب تغلب على جلساتهم الليلية ، ويبدأ فى ارسال الرجال لجلب الاخبار عن الأماكن المتوقع فيها أمطار ، وإذا تأخر المطر يبدأ كل واحد فى مراجعة نفسه وحساب أخطائه ، واستغفار ربه من أى اخطاء ارتكبوها ، ويبدأ الدعاء " الله لا غضب " ، اللهم ارحمنا " ، " اللهم أغثنا " ، " اللهم لا تأخذنا بذنوبنا " ، ويظلون يتساءلون عما ارتكبوه من المعاصى مثل " نقض العهد " أو " الظلم " أو " اليمين الكاذب " وهكذا .

ولم يكن هناك تقويم يعرف به فصول السنة أو تاريخ الشهور ، وإنما كانت هناك الظواهر الفلكية التى عن طريقها تحسب الأيام فكان هناك النجوم مثل الجدى ، وسهيل ،

والجوزاء ، والكليبين المتشابكين ، والسبع أى النجوم السبعة المتشابكة والثريا ، و " الجر " ... الخ .

وعندما يظهر نجم " الإكليل " أو الثريا يبدأ دخول فصل الشتاء ويسمى " المربعانية " والشتاء عندهم يسمى " الدهر " أى الشدة والصعوبة فى حياة البدو ، فيشتد جوع الماشية ، ويشتد البرد على البدو وعلى ماشيتهم ، فيبدأ البدو فى اللجوء إلى الأماكن التى لا زالت بها بعض المراعى مثل الجبال ليحتمون بها من البرد ولتأكل الماشية من الحشائش الجبلية المتبقية ، حيث تكون الجبال ما زالت محتفظة ببعض المراعى ، وبالطبع تحتاج إلى زيادة عدد الرعاة كى لا تتشتت الماشية فى الجبال ، ويبدأ بعد ذلك هطول الأمطار على بعض المناطق ، ومن هنا يبدأ البدو فى نظام الرعى بطريقة " المعزاب " ويتفقدون حال المطر فإذا أمطرت فى أماكن أخرى انتقل الجميع إلى المكان الجديد ، أو إذا تحسنت الظروف عاد الرعاة إلى البيوت ، فإذا لم تتحسن الأحوال فإما يظل نظام " المعزاب " مستمرا أو تلحق الجماعة " بالمعزاب " أو يرحل الجميع إلى مكان جديد هطلت فيه أمطار كثيرة وخاصة إذا كانت الأماكن القريبة قد شح مطرها ، وإذا شحت الأمطار فى جميع أراضى القبيلة فانهم يحاولون الرعى فى مناطق أخرى بعيدة عن أرضهم ولكن بعد اتفاق وإستسماح أصحاب الأرض المرتحل إليها وبعد أن يتفق على أن يرسل من يفوض عن القبيلة لمقابلة شيخ القبيلة المراد النزول فى أرضها ، وفى الغالب يكون المفوض عن القبيلة هو شيخها أو رؤساء الفخوذ أو كبار القبيلة وبعد أن ينتهى هذا المجلس من التفاوض يتم مقابلة شيخ أو كبار القبيلة المراد النزول بأرضها فإذا تمت الموافقة يتم الرحيل وقد يصل الرحيل فى هذه الحالة إلى مئات الكيلومترات ، وفى بعض الأحيان تعرضت المنطقة لجفاف عام ولذلك لجأ الجميع إلى الجبال وعاشوا حياة الكفاف وتعرضوا للتشرد والهلاك والمرض والموت ، وقد قصت قصص كثيرة عن سنوات الجفاف التى ظلت لمدد طويلة حكوا فيها عن وفاة اعداد كبيرة من البشر ، كل يحكى عن وفاة نصف اخواله أو أبناء عمومته .. وعن هلاك الماشية ، وعن الأوبئة التـــى تعرضــوا لها فى بعض الســـنوات . - سنة الرحمة - سنة الوباء ... الخ .

• **تربية الحيوان بالغطغط :**

الرعى هى المهنة الرئيسية لبدو الغطغط ، مثلهم مثل البدو الرحل عموما ، وبدو الغطغط يرعون الإبل والأغنام والماعز ، وأهمها الإبل فهى ترتكز عليها إقتصادياتهم ، ويكون التفاضل والتمايز الاجتماعي قائما على امتلاك الإبل وعددها فهى الدعامة الأولى للبدوى بعد أولاده ،

علاوة على انها أكثر الحيوانات ملاءمة لظروف الصحراء الصعبة ، فلقد اقترن الجمل بالبدوى ، وهو ركن هام وخطير من أركان الحياة البدوية ، فلولا الجمل لامتنع على البدوى العيش فى البادية والتنقل بين أرجائها ، فللإبل دور أساسى فى حياة البدوى ، فهم فى ترحالهم المستمر طوال العام ، يقوم الجمل بدور كبير فى هذا الترحال ، فيحمل عليه البيت الشعر بأعمدته وأوتاده وأفلاجه وما فى البيت من أدوات وأمتعة و (دبش) والمؤن والماء ، كما تستطيع المرأة أن تحتمى هى وأولادها فى الهودج على ظهر جملها فيكون بمثابة بيت متنقل يحميها من الشمس صيفا والبرد شتاءا ، كما يعتمد البدوى فى غذائه على لبن النياق * ، ويصنع منه الإقط والجمل صبور على العطش – يستطيع أن يبقى حوالى خمسون يوما شتاء لا يرد الماء والجوع ويقتنع بالخشن من الطعام والعشب ، والاشواك ، ويربى بدو الغطغط أنواعا من الإبل ، منها العادى ومنها " الهجن " أو الكريم الذى تنحدر أصوله من فروع عريقة معروفة ويحاولون الحفاظ على أصل هجنهم الكريمة فلا يقربونها من غير الأصيلة .

وتمهر العروس بالغطغط بعدد من الإبل " تبعا لمكانة العروس وأهلها أو قدرة العريس " ، فقد يكون جملا واحدا أو أكثر من ذلك قد يصل إلى عشرة أو خمسة عشر من الإبل . كما أن الدية وهى ما يعوض به أهل القتيل كانت تدفع بعدد من الإبل فتحقن بها الدماء فلا تراق .

ونظرا لهذه الأهمية الشديدة للإبل فهى جزء لا يتجزأ من حياة البدوى وقت السلم والحرب ، ولذلك كان الغزو من أجل الحصول على مزيد من الإبل ** .

الخيل ببادية الغطغط :

يعتز البدوى بخيله ، ويتباهى بإقتناء الأصيل منها ، ويحافظ على نقاوة أصله ونسبه ، وأهم أنواع الخيل بالغطغط هى الحمدانية ، وربضه ، والعبيه ، وكروش ويعتبر الحصان من أشد الحيوانات صلة بالبدوى بعد الجمل ، فهو هام وخاصة فى الغزو والهجوم والدفاع ومتابعة

---

* يؤكل لحم الابل فى المناسبات كالاعياد واحتفالات الزواج ، كما ان من وبرها يصنع بعض اجزاء البيت الشعر ، وبعض الملابس والامتعة ، ومن جلودها تصنع القرب والادوات الخاصة بالبدوى بعد دبغها ، ومن بول الناقة تغسل المرأة شعرها فهى تعتقد انه يغذى شعرها ، واحيانا تغتسل المرأة بهذا البول بعد الولادة للتطهير .

** ان الجمل من اصلح الحيوانات للسير فى الرمال ، ولولا الهجن التى تقطع المسافات البعيدة لما امكن للبدوى ارتياد المنتجعات قبل الرحيل ، فكانت بادية الغطغط وكذلك الحائر ترسل زوادا يسمون " العسوس " على الهجن السريعة ليرشدوا القبيلة عن اماكن الماء والكلاء ، فيكون الاكتشاف سريعا .

أى مغير على الديرة ، ولذلك فهو يعتنى بخيله ويعتبرها من مظاهر العز ، فلا يمكن أن يتركها عطشانه أو جائعة ، وتؤكد الليدى بلنت على إرتباط إقتناء الخيل بالسلطة والسيطرة ، وإن امتلاكها – خاصة السلالات الجيدة – لا يكون الا لدى الأمراء والمشايخ (١) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك أنشطة اقتصادية يشترك فيها مجتمعا الحائر والغطغط " كمجتمعات بدوية " وسوف تتناولها الدراسة فى صورة تحليل مشترك .

• **الصيد بالحائر والغطغط :**

سبق أن تحدثنا عن أهمية الصيد ببادية الحائر والأدوات التى كانت تستخدم فى الصيد ، وسوف نناقش الآن دور كل من الصقر والكلب السلوقى كمساعدين فى عملية الصيد ، ثم نتناول أهم الحيوانات والطيور والزواحف التى كان يتم صيدها فى مجتمعات الدراسة .

الصقور :

تشتهر مجتمعات الدراسة باقتناء الصقور كبيرها وصغيرها كما تشتهر نجد عامة ، وتصاد الصقور وهى أفراخ فى أعشاشها ، أو قد يصاد وهو كبير بخدعة معينة ، بأن يختبئ الصائد خلف الصخور ويأتى بصيد حى مربوط ويطلقه ومعه شرك وعندما ينقض الصقر على فريسته يقع فى شبكة الصائد ، ويدرب بعد ذلك حتى يألف صاحبه ، ويتعود الرجوع إليه حين يطلق .

ويستطيع الصقر أن يصيد أكثر أنواع الطيور كالقطا واليمام والصفارى والحبارى ... الخ ، كذلك يصيد الأرانب بأنواعها ... بل قيل فى مجتمعات الدراسة أنه يساعد على صيد الظبا ، إذا درب على ذلك ، وعند صيد الوعول فترى الصياد يحمسه ويثيره فتجرى الكلاب السلوقى لتطارد الوعل أو الغزال ، فيطير هو فوق الغزال أو الوعل وينقض على رأسه ويضربه بمنقاره بحيث يعيقه عن الجرى فتدركه الكلاب وتصيده ، أو يخايل الصيد أمام عينيه كى لا يرى فينقض الكلب على الصيد .

---

(١) الليدى آن بلنت : رحلة الى بلاد نجد : مرجع سابق ، ص . ص ٢٧٠-٢٧٣ .

ويعتبر الصيد من الموارد الهامة فى مجتمعى الدراسة ، وتعد فئة الصلب * من أمهر الصيادين ، فهم تقريبا يعيشون على الصيد وبعض الحرف التى يأنف من مزاولتها أهل القبيلة .

ويقال إن صـــيد الحبـــارى أســـهل للصـــقر من صـــيد الأرانب خصوصـــا فى الأراضـــى التى بها أعشـــاب ، حيث يراوغ الارنب ويختبئ فى أحيـــان كثيـــرة ، ويعتبـــر الصـــقر مـــن أســـرع الطيور . ويقال إن الصـــقر يمـــكن أن يأتـــى بصيد يكفـــى أعـــدادا كبـــيرة ، وهناك عادة فى مجتمـــعى الدراســـة إذا صاد أحد أفراد القبيلة صيدا ، فلا بد أن يوزع على جيرانه من هذا الصيد .

الغـــــــزال :

يوجد الغزال حيث يوجد الماء ويسمى فى مجتمعـــات الدراســـة بالظبى ، ويقضـــى فصلى الشـــتاء والربيـــع بالباديـــة ويهجـــرها فـــى فصـــل الصـــيف حيـــث تجف المياه إلى الأماكن التى بها مياه ، وهى تسير فى قطعـــان يقودها أمهـــرها وأخفـــها حركة وأحذرها وتسمى " العنود " ، - فى الوقت الحاضر تحاول حكومـة المملكة الحفاظ على هـذه الحيوانـات بتحريم صـــيدها فى بعض الأماكـــن ، وجلب بعـــض الســـلالات وتربيتـــها فـــى البادية مع توفير الحياة لها - .

---

* يطلق عليهم فى مجتمعى الدراسة ، صلب أو نور أو خلوة ، ويعملون بصـــناعة " الدلال " والقدور وطلائها ، وبيوتهم بسيطة وملابسهم من الجلود ويربون الحمير ، ويعتبرون خدما لأهل القبيلة ، ومنهم عند بدو الحائر من يقوم مع القبيلة عند الغزو ، فيحارب " يهاوش " معهم .

الوعـــل :

هو من الحيوانات الهامة لمجتمعى الدراسة حيث يتم صيده وأكله فى هذه البيئة الشحيحة بمواردها ، وهو يشبه الغزال إلا أن حجمه أكبر منه وله لحية تشبه لحية التيس " ذكر الماعز " ، ويصطاده البدوى هو والغزال بالكلاب السلوقى والصقور – كما سبق الشرح – وإذا لجأ الوعل إلى الجبل فيطارده الصياد حتى يسهل صيده .

الزواحف ببادية العائر والغطغط * :

الضـــب : وهو يشبه التمساح الصغير ، ويعيش فى جحور يحفرها فى الأرض فى البر حيث يختبئ فى فصل الشتاء ، وطوله حوالى نصف متر وله ذنب طويل ، وجلده قوى وسميك مبرقش من الظهر ويميل بطنه إلى اللون الأبيض المصفر ، وإذا رأوه تبعوه حتى لو إختبأ يمدون أيديهم ويجذبوه من ذنبه ويحترس الصائد من أسنانه لأن عضته قاسية للغاية . وكان مجتمعا أهل الحائر والغطغط عامة حريصين على صيد الضب وأكل لحمه بعد ذبحه وسلخه ** مسلوقا ويستخدم جلده كوعاء صغير للبن الناقة ... الخ .

الجـــراد : إن مجتمعات الدراسة الثلاثة تعرف الجراد وتقوم على صيده وأكله ، ويعتبر الجراد بلاء ورزقا ، فهو إذا حل بأرض أتى على كل أخضر فيها فيشارك ماشية البدو فى مراعيها ، ولكنه فى الوقت نفسه غذاء للبدو والقرى أيضا ، وهم يسلقونه فى الماء المغلى مع الملح ، ويصاد فى الصباح الباكر وهو عاجز عن الحركة " كما سبقت الإشارة عن طريقة صيده بمجتمع القصب " ويؤكل منه طازجا ويجفف المتبقى بالملح ويخزن كما تخزن الحبوب .

• منتجات الالبان لدى بدو العائر والغطغط :

تربط صغار الخراف ليلا أو تعزل عن أمهاتها ، وفى الصباح ترسل الأمهات إلى المرعى ، وبعد ذلك تطلق " الصغار " مع رعاة آخرين وغالبا تكون مع الأطفال ثم تعود قبل أمهاتها ، وعند عودة الأمهات يحلب حليبها بمجرد وصولها من المرعى ، ثم تطلق لأولادها ،

---

* تعرف مجتمعات الدراسة زواحف كثيرة ، فمنها الأفاعى ، كما تعرف العقارب ويعرفون علاجا للدغ هذه الحشرات والزواحف ، سنشير إلى أنواع علاجها فى الجزء الخاص بالطب الشعبى .

** كان اهل الغطغط اذا ولدت امرأة ولم ينزل لها لبن فيأخذون جلد الضب وينظفونه ويدبغونه ويربطون اماكن اليدين والارجل ويتركون مكان الرأس مفتوحا فتحة صغيرة ويعبأ بحليب عنز أو ما شابه ذلك ، ويرضع المولود من الفتحة التى بجلد الضب فيكون بدلا من " البزازة " الرضاعة .

فترضع ما تبقى من البان لدى الأمهات ، وهذا الحليب يوضع فى " المغبة " مع قليل من لبن قديم حتى " يروب ؛ اللبن ، وفى صباح اليوم الثانى تنقل المرأة اللبن من " المغبة " بعد أن راب اللبن وأصبح طعمه حامضا إلى " الصميل " ، " وتركضه " أى تهزه إما على حجرها يمينا ويسارا أو تعلق فى أعواد من الخشب وتركضه إلى الأمام والخلف أى " تخضه " حتى تسمع صوتا معينا تعرف منه أن الزبد قد فصلت عن اللبن ويمكن جمعها ، فتجمع الزبد حيث يكون طافيا فوق اللبن . ويطلق لفـظ حليب علـى اللبـن عند حلبه ، ولا يطلق لفظ لبن إلا على المنترع زبدته .

وتستغل المرأة هذا اللبن المنزوع زبدته فى عمل " الإقط " ، وذلك برفعها هذا اللبن على النار حتى يطهى فيصبح كالجبن ، فيؤكل طريا ويسمى " اللتيمة " أو يجفف حتى يصبح كالحجر الأبيض فيؤكل مع الطعام أو ينقع فى الماء ويشرب مع التمر أو يضاف اليه التمر أو الدبس أى عسل التمر ، وهو مستحب فى تناوله اثناء فطور رمضان ويسمى " المريس " ، أما " السمن " – وتسمى " السمن البرى " على خلاف دهن الحيوان فيسمى " ودك " – فيستخلص من الزبد بعد تجميع كمية الزبد اللازمة بعد أسبوع أو اكثر وفى هذه الحالة تحفظ الزبد فى " الكرشة " لحين طهيها وذلك بوضعها فى قدورمناسبة ويوضع على نار هادئة وإذا بدأ فى الغليان يمكن ان تضاف اليه كمية قليلة من دقيق القمح " الطحين " أو الشعير " الجريش " ليتم ترسيب العالق بالزبد من شوائب ، حتى ترتفع السمن صافية صفراء اللون ضاربة إلى الخضرة ، فتصبها فى " العكة " * ، أما الطحين المتبقى فيؤكل مع التمر أو البر ، ويكون طعمه مائلا إلى الحموضة ، لأنه تشرب بقايا اللبن ، ويصبح وجبة جاهزة للغذاء أو العشاء .

• التجارة بالعاثر والغطغط .

ولقد عرف مجتمعا البحث التجارة ، وعمل بها بعض الرجال ، بغرض سد العجز فى وسائل العيش ، وجلب السلع غير المتوفرة بالبادية والضرورية للحياة مثل التمر ، والقمح ، والقهوة ، وبعض الملابس والحلى الفضة والأنوات المنزلية المعدنية كالدلال والقدور أو الخشبية كالشداد والقدور الخشبية مثل " موقعة " أو " الحكرة " وهما قدران من الخشب ويزيد " للحكرة " حلقتان مستديرتان من الجنب – وكانت تمارس هذه المهنة عن طريق السفر على الجمال – قوافل الجمال – وكانت تحتاج إلى رجال أشداء يتميزون بالشجاعة حيث يتعرضون فى

* وعاء السمن المصنوع من الجلد المدبوغ والمدهون من الداخل بالتمر المطبوخ أو الدبس حتى لا يتسرب منه السمن وينضح من داخله .

رحلاتهم للسلب أو النهب من قطاع الطرق ولابد من صدهم وحتى يتحملوا مشاق السفر الذى كان يستغرق اكثر من ٦٠ يوما فى الرحلة .

وكانت تحمل الجمال من المنتجات الآتية : المنتجات الجلدية مثل الأدوات المنزلية ، ومن منتجات الألبان مثل الإقط والودك أي دهن الحيوان ، والسمن البسرى ... الخ ، والأصواف والوبر ومنتجاتها ، وكذلك الإبل والأغنام والماعز المراد بيعها .

ويأتى هؤلاء الرجال وقد حملوا جمالهم بما يحتاجون إليه من تمر وقمح وخلافه ، وأغلب هذه الرحلات كانت " للإحساء " أو للطائف .

• المهن والحرف بالعاثر والغطغط :

المهن الحرفية كالتجارة والحدادة والقصابة والحلاقة والطباخة ينظر إليها نظرة احتقار وهى مرتبطة بالضعفاء الذين لا يستطيعون القتال والغزو ، وهذه المهن تقترن فى ذهن البدوى بالافراد مجهولى النسب ، فالمهنة من المهانة ، وإن اليد التى تحمل آلة حرفية ليس لها شرف حمل السيف .

ويستقى البدوى نظرته للمهن من ثقافته السائدة ، وهى الثقافة البدوية التى نبعت من الواقع المحيط بالبدوى والبيئة الطبيعية ، فهى بيئة قاسية متذبذبة ، ليس لها أمان فيوما تجود ، ويوما تشح ، وديارة بسيطة متواضعة ، وعرضة للأعاصير والرياح وممتلكاته عرضة لهجوم بنى الإنسان والحيوان فى أى وقت ، كل ذلك يجعل البدوى فى حالة تحفز وحذر دائم ، فالخطر محيط به من كل صوب ، سلاحه رفيقه فى السلم والحرب ، وفى الليل والنهار ، ومن هنا كانت أفضل الأعمال فى نظره هى الأعمال التى ترمز وترتبط بالبطولة والشجاعة ورباطة الجأش والقوة ، وقوة التحمل كالرعى والصيد والغزو والزود .

• توزيع الأدوار بالعاثر والغطغط :

يتم توزيع العمل ببادية المجتمعين على أساس النوع والعمر ، فتقسيم العمل محدد بدقة فهناك أعمال محددة خاصة بالرجال ، ولا يسمح للمرأة العمل بها ، وأهمها الغزو والدفاع عن القبيلة وعن أراضيها – أملاك الديرة – ، ولكل سن فى عمر الرجل أعمال مرتبطة بهذا السن ، فثقافة المجتمع وعاداته وتقاليده تحدد لكل فرد من أفراد القبيلة واجبات ترتبط بكل فترة من فترات عمره ، فعندما يكون طفلا لا تسند إليه واجبات محددة حتى يصل إلى سن العاشرة

تقريبا * ، فيبدأ فى تدريبه فى هذه المرحلة العمرية على الأعمال التى ستوكل إليه فى رجولته ، ويبدأ فى إعداده تدريجيا لتعلم المهارات المطلوبة منه فى المستقبل مثل المبارزة والقتال وركوب الخيل والإبل والرعى ... الخ ، أما الفتاة فهى تتدرب على الأعمال التى ستوكل إليها بعد ذلك فى سن أقل من سن الفتى أى من ٧ – ٨ سنوات تقريبا ، مثل الأعمال المنزلية ، وهناك أعمال خاصة بالنساء ، ولا يقوم بها الرجال وإلا تعرض للاستهجان والسخرية من أفراد العشيرة ، مثل تنظيف الدار ، وغزل الصوف .. الخ ، كما يوكل اليها أمر بناء الخيمة ، فالرجل يعين الموضع وهى تباشر العمل وتنفذه مستقلة أحيانا هى وبناتها ، ويمكن للزوج أن يساعد الزوجة إذا كانوا فى بداية حياتهما الزوجية ، وخاصة إذا احبها وتعلق بها ، فيساعدها حتى فى جمع الحطب وحمله إلى الخيمة ، وأحيانا يســـاعدها الراعى أو الأبناء الذكور ، فتدق الأوتاد ، وتربط اليها الأطناب ، وترفع الخيمة على العمد ، وتخيط الشقاق ، وتجمع الحطب ، وتجلب الماء على ظهرها إلى الخيمة ، وتصنع القرب من الجلود بعد أن تقوم بدبغها بنفسها ، وتنسج القماش للرواق ، وتخيط الملابس والأكياس للخزين ، هذا بجانب عملها من تجهيز الطعام وتربية الأطفال .

وعلاوة على ذلك فإن المرأة فى هذا المجتمع لم تقتصر واجباتها على الأعمال المنزلية ، ولكنها تشارك فى البناء الإقتصادى بالكامل ، فهى بجانب أنها تقوم بالأعمال المنزلية كطهى الطعام وعمل الملابس والتنظيف وتربية الأولاد والغزل والنسيج ، فهى تخرج للرعى ولفترات طويلة ولا يجرؤ أحد على التعرض لها ، أو المساس بها لأنها تمثل شرف القبيلة .

وهناك أعمال مشتركة بين الجنسين إلى جانب هذا التقسيم الدقيق للعمل فيمكن أن تقوم بها المرأة والرجل مثل الرعى جنبا الى جنب .

• الإستمرار والتغير فى دور المرأة فى مجتمعى العائر والغطغط :

كانت المرأة فى مجتمعى البحث إنسانا منتجا ولها دور كبير فى حياة الأسرة فهى مشاركة بل لها دور أساسى ، فى البناء الاقتصادى ، حيث كانت تقوم بعملية الرعى وبمفردها فتخرج بالماشية إلى المراعى وقد يصل تغيبها بماشيتها ليال طويلة فى البر عندما تدعو الحاجة إلى ذلك ، كما أنها هى التى تصنع البيت بيدها منذ تجميعها للصوف والوبر والعناية به وغزله ونسجه وخياطته إلى أن يصير بيتا كبيرا ومقسما إلى حجرات أيضا . كما أنها هى التى تعد الأدوات الخاصة ببيتها فتصنعها بيدها ، فمنها الأدوات التى تستخدم من جلد الحيوانات ،

* انظر الى الجزء الخاص بالتنشئة الاجتماعية لدى البدو .

ومنها الأدوات المصـــنعة من الصـــوف مـــثل " السياح " والفرش و " خرج المطية " وغطاء " الهودج " ... الخ كما كانت تقوم بخياطة ملابس الزوج بطريقة يدوية بالخيط والإبرة ، وتجلب الحطب والعشب ، وتقوم بعمل منتجات الحليب من خض اللبن الرائب " إقط ولبن وسمن " ، وتنظيف الأوعية المخصصة لترويب اللبن وخضه ، هذا بالإضافة الى أعمالها المنزلية كأم من غسيل وطبخ وتربية الأطفال والعناية بهم وتنظيف وخياطة ملابسهم ، ومداواتهم إذا مرضوا .

أما فى الوقت الحاضر فقد تقلص دورها بشدة ليقوم بكل هذه الأعمال الآخرون حتى القيام بتربية الاطفال فقد لوحظ وجود مربيات أسياويات تقريبا فى كل بيت ، وأصبح دور المرأة محدودا للغاية وقد علقت إحدى النساء المسنات فقالت " ظهر عندنا الأمراض بعد ما كسلت المرأة وأصبحت تأكل وتنام وتجلس مما ساعد على زيادة وزنها وما تبعه من أمراض المفاصل وأمراض السمنة عامة بعد أن كان جسمها مثالا للرشاقة والقوة والخفة والنشاط وظهرت لنا أمراض لم نعرفها من قبل " ، ولا يفوتنا أن نوضح أن هناك دور قد أخذ فى الظهور بعد إنتشار التعليم – تعليم الفتيات – وحرص الجيل الجديد منهم على الإلتحاق به ، مما يبشر بظهور أدوار جديدة للمرأة فى المستقبل القريب .

الفصل الثالث

البناء السياسى لمجتمعات الدراســــة

- تقديـــم .
- الحكم القبلى وأثر البيئة .
- السلطة فى مجتمعات الدراسة
- السلطة بمجتمع القصب
- بناء السلطة بالحائر
- بناء السلطة بالغطغط
- المسئولية والجزاء بمجتمعى الحائر والغطغط .
- الأدوار الاجتماعية للشيخ .
- الفئات الاجتماعية .
- نظام التحكيم بمجتمعات الدراسة .
- الحراســة عند مجتمعات الدراسة .
- تتبع الأثــر بمجتمعات البادية .

- تقديــــــم :

كانت الفتن والحروب والنهب والسلب لا تنتهى بين القبائل ، وفى كثير من الأحيان كان الصراع يحدث داخل القبيلة الواحدة بين أقسامها أو فخوذها ، إما لصراع على أرض أو لطلب الثأر ، ولقد تعود البدو أن يتحدوا كل سلطة سوى سلطة شيوخهم - أى لا ترضخ إلا لسلطة شيخ القبيلة - ولا يتقيدون بشئ سوى أعراف القبيلة وقوانينها * .

وكان نظام القبيلة وعرفها السائد بين أفرادها يعتبر حجر عثرة فى سبيل تحسين أحوالهم المعيشية ، مما يزيد من عزلتهم وبالتالى يعطل إمكانية تهيئتهم للإندماج الإجتماعى فى الجماعات المتحضرة (١) .

وللوصول إلى الفهم الصحيح للبناء السياسى بمجتمعات الدراسة لابد من فهم ومعرفة للطبيعة الجغرافية والأيكولوجية للمنطقة كما سيأتى بعد .

- الحكم القبلى واثر البيئة :

إن منطقة نجد منطقة صحراوية ، والتربة فقيرة مكونة أساسا من رمال وهى غير صالحة للزراعة ، بإستثناء بعض بقاع قليلة منها ، والزراعة غير ممكنة إلا بمساعدة الرى من الآبار فقط ، إذ لا يوجد ماء على سطح الأرض ، وحتى الآبار فهى قليلة ، وحيث توجد الآبار بقدر كاف من الماء ظهرت القرى والمدن ، ولكنها متباعدة بعضها عن بعض ، ويفصل بينها مساحات شاسعة من الرمال .

ومادامت الظروف الطبيعية كما ذكرنا ، فكل مدينة أو قرية منفصلة عن جاراتها إلى

---

* يؤكد كل من " هورتن Horten " و " هانت Hunt " على أن العادات والعرف لها تأثيرها الشديد على السلوك الشعبى للجماعات المنعزلة ، وأن الجماعات العرقية تعمل دائما على محاربة التغيير ولا تشجع عليه ، وأن النظام الطبقى أيضا ضد التغيير ، (ومن هنا نجد أن مشايخ القبائل هم أول من عارض التغيير وحاربه ، وقد وضعت الســلطة - الملك عبــد العزيز - ذلك فى الإعتبار عند محاولة التغيير) .

- Paul B. Horton & Chester L. Hunt; Sociology, Mc GrawHill, "thed." 1972. p.p 49 - 67 .

(١) سليمان بن عبد الرحمن الحقيل : فى آفاق التربية الوطنية ، فى المملكة العربية السعودية ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ ك ، مقدمة الكتاب .

درجة كبيرة ، وليس بينها أية نقطة اتصال فى شكل حقول أو حتى مراع ، فالكل منعزل ، ومن هذه الحقيقة تنبع الفردية السياسية ، وأصبحت كل مدينة دولة مستقلة .

مما سبق يتضح أيضا أن نسبة البادية بنجد كانت أعلى من نسبة الحاضره ، وكانت القبائل البدوية تتجول فى هذه الصحارى ، " فليس هناك عمليات جذب بالقرى أو بالمدن " وكانت هذه القبائل البدوية تميل للحرب ، فهم أكثر عددا من سكان المدن كما أنهم فضلوا الحياة الصعبة ، ولذلك نجدهم يسيطرون على كل الطرق المؤدية من مدينة إلى أخرى .

وحيث ان إنتاج القرى أو الحضر لا يكفى إلا قوتهم من التمر وبعض الخضروات ، وفى الغالب كان القمح أو البر لا يكفيهم أو غير مزروع فى بعض القرى ، وهم أيضا لا يستطيعون تربية الماشية ، ولذلك كانت دائما لهم إحتياجاتهم من البر ثم اللحم ، ولذلك فهم يعتمدون فى جزء من الخبز واللحم على التبادل التجارى ، وعند سفر تجار هذه القرى أو المدن لجلب إحتياجاتهم ، كانت سلامة هذه القوافل التجارية المسافرة خارج أسوار القرية أو المدينة مرهونة بيد المسيطر على الصحراء وهم البدو ، وحيث أن هذه الرحلات التجارية ضرورية ، فعلى هذه الضرورة يقوم البناء السياسى بأكمله ، فكل مدينة تضع نفسها تحت حماية شيخ بدوى فى منطقتها وهو بالنظر إلى الإتاوة السنوية " الإخاوة " يضمن لأهل المدينة السلامة خارج أسوارها ، ممكنا لهم بذلك السفر بغير مضايقةعلى طول امتداد سلطته . ويقال إن المدينة أو القرية تتبع القبيلة الفلانية ، فنجد مثلا أن مدينة الرياض كانت تابعة لفخذ العزة من " سبيع " ، وهكذا ، ويصبح الشيخ البدوى هو السيد الحامى .

وقد يتبع ذلك على المدى البعيد ، بأن يبنى الشيخ البدوى لنفسه مقرا بالقرب من إحدى المدن أو القرى ، بعد أن يكون قد أصبح غنياً ، بفعل الأتاوة التى يجمعها ... ويعيش فى هذا المبنى خلال فصل الصيف ، ثم بالهيبة المستمدة من مركزه كبدوى – حيث يعتبر الدم البدوى هو الأنقى ، وقوته المستمدة من قبيلته فى الصحراء – يصبح الحاكم الفعلى لهذه المدينة أو القرية ، ويتحول من حام لها الى حاكم فعلى لها ، ويكرم بلقب أمير ، ويظل شيخا للبدو [١] .

ولهذا الدور السياسى الكبير الذى كانت تمارسه القبائل البدوية فى نجد سواء على حاضرتها أو باديتها ، وهو دور أضفى على القبائل الأخرى قوة سيادة بجانب ضعف القرى والبلدان النجدية ، أمام سيادة البدوى أيا كانت قبيلته ، كان لهذا الدور اثر فى تفضيل البادية

---

(١) آن بلنت : مرجع سابق ، ص . ص ٢٠٨ – ٩-٢ .

عن الحضر ، وقد حفل التاريخ النجدى منذ القرن العاشر الهجرى بوجود عدد من القبائل البدوية مرهوبة الجانب .

- السلطة فى مجتمعات الدراسة :

إن التنظيم الاجتماعى والسياسى بين القبائل مبنى على أساس مبدأ التماثل والمساواة بينهما . بحيث من الصعب على إحدى القبائل أن تفرض نفسها أو أحد رجالها لتولى السلطة على القبائل الأخرى أو على أحد القبائل ، فالنفوذ الذى يتمتع به الشيخ أو الأمير لا يتعدى حدود القبيلة أو المنطقة ، والسلطة فى مجتمعات الدراسة تكاد تكون وراثية فى بيت واحد ، وهناك علاقة احترام بين رجال القبيلة ، والسلطة الممثلة فى الشيخ أو الأمير ، وإذا حدث خلاف أو عداء بين أفراد القبيلة وبين سلطتها ففى الغالب لا يتم إختيار شيخ أو أمير من بين رجال القبيلة من خارج العائلة التى ينتسب اليها الشيخ المراد عزله أو تغييره .

والسلطة فى مجتمعات الدراسة هى الهيئة الممثلة للجماعة ، أى أن الشيخ أو الأمير يعطى حق التفويض عن جماعته ، وينوب عنها ويتحدث بإسمها فى مختلف القضايا والاجتماعات ، وهو فى ذلك يعبر عن رأى الأغلبية فهو لا يستطيع أن يقرر شيئا يتعلق بالقبيلة برغم إرادة أهلها وموافقة مجلسها ، حيث يشارك هذا المجلس الشيخ فى الرأى والأستشارات المتعلقة بالقضايا والمنازعات .

- السلطة بمجتمع القصب

لقد عاش مجتمع القصب مثله مثل باقى المنطقة ككل ، حياة غير مستقرة ، وكان القتل والسلب أموراً واردة دائما ، والصراع والخوف هو الشعور السائد ، وكانت هناك قبائل كبيرة بنجد تشتهر بالشجاعة وقوة العدد والعدة ، والشراسة فى الحرب ، ولذلك كانت تدخل القرى والمدن ، تحت حماية قبيلة من هذه القبائل ، وهذا ما حدث بالنسبة للقصب .

وكانت النتيجة لهذا الصراع المستمر ، والخوف الدائم - (يسمى كبار السن هذه الأيام بأيام الخوف) - أن أخذوا حذرهم ، وعملوا الاحتياطات التى تحميهم من الغارات - غارات البدو - فكان أمير القرية من الوحدات الاجتماعية الكبيرة ، وكانت له سلطات واسعة باعتباره السلطة السياسية العليا ، وهو صاحب الرأى الأخير فى كل مشكلة تطرأ يعاونه أفراد ذو حكمة ورأى من كبار البلد ، كما بنوا الأسوار المتينة حول البلدة ، وأقاموا الأبراج والمراقب لتحميهم وتحذرهم من إى مباغتة .

مما سبق يتضح أن أمير القرية كان يمثل السلطة السياسية العليا فى المجتمع ، وكانت سلطته مطلقة ، وكان يعاقب الخارج على العرف والقانون الخاص بالمجتمع ، وكان له حق البت فى كل الأمور ، ويعود اليه الرأى الاخير .

وكان الأهالى يقدمون للأمير مساهمات مالية ، وهدايا فى المناسبات والأعياد وحصصا محددة عند جنى المحصول ، فكانت تستخدم فى الأنفاق العام مثل أكرام الضيوف أو ما يسمى " المنوخين " الذين يفدون الى المنطقة ، ويتوفر له منها الشئ الكثير ، وكانت حوالى ٣٠٠ صاع " عيش " أى قمح ، و ٣٠٠٠ " وزنة تمر " ، و ١٠٠ ريال " فرانسى " فضة ، وهذه مكافأة سنويه له يصرف منها على شئون الامارة ، واستمرت لجميع الأمراء .

الإمارة بالقصب :

تولى إمارة القصب عام ١٣٢٢ هـ الشيخ راشد بن محمد بن راشد ، وإستمرت إمارته حتى ما قبل سنة " السخونة " بسنة اى سنة ١٣٣٦ هـ ، وتولى من بعده ولده عثمان بن راشد ، وإستمرت إمارته حتى سنة ١٣٤٦ هـ ، ولمدة عشر سنوات ، ومن بعده تولى عبد الله بن ابراهيم السويد وقضى بها ٢٢ عاما ، ثم تولى محمد بن سعد بن محمد القاسم سنة ١٣٦٨ هـ ، وظل بالإمارة منذ هذا التاريخ الى وقت قريب .

والأمير سعد القاسم يعمل بالفلاحة وقد ورث المهنة عن آبائه ، ولا يجيد سوى هذا العمل ، وبالنسبة لتعليمه فقد قرأ القرآن ، وختمه ، ولكنه لا يجيد الكتابة ، فقد تعلم " بالقرايه " مع " المطوع " قديما ، أما القراءة فهى قليلة ويقرأ الكتابات التى تشبه كتابة المصحف .

القضاء بالقصب :

تولى القضاء فى القصب عدد من القضاة أعتبارا من سنة ١٣٨٠ هـ ، ومنهم عبد الله ابن حسين وهو أول قاض فى القصب * .

بناء السلطة بالعائر : قراءة

إن الدوشان من فصيلة العرينات من الخضران من بنى عمر من سبيع ، قدم جدهم

* إذا اعتدى أحد أفراد المجتمع على آخر كان يحتكم المعتدى عليه الى الأمير ، فلم يكن هناك قضاء حتى سنة ١٣٨٠ هـ ، وكانت أقرب محكمة وقضاء بمدينة شقراء على بعد ٣٠ كيلو تقريبا من القصب وكان هناك ما يسمى " بقصاص الجروح " يقدر الجرح ليدفع المعتدى ما يحدد ، وهكذا باقى الجزاءات والعقوبات .

(غالب بن موسى بن فرعان بن فارس العرينى) من أطراف " الخرمة ، ورنية " ، واستقر فى الوشم ١١٠٥ هـ ، وأنجب عدة أولاد ، وتناسلوا ، وتفرقوا فى قرى الوشم والعارض - الحائر بالعارض - والقصيم ... وغيرها . فكان آل جفران امراء الاعزة من الصعبة فى الحاير (١) .

ولقد كانت السلطة تقوم على أسس معينة ، يدخل فيها عامل الوراثة ، فتعمل الوراثة على استمرار تلك السلطة فى ابناءعائلة معينة من العائلات التى تنقسم اليها الوحدة القبلية ، وإن كان عامل الوراثة يتأثر الى حد ما بعوامل أخرى مثل الثروة والسن والشهرة والشجاعة والكرم ورجاحة العقل وحسن التصرف ... الخ . وهى عوامل تتدخل فى التفضيل بين شخص وأخر فى نفس تلك العائلة التي تتولى مركز الزعامة والسلطة فى الوحدة القبلية الكلية ، وإذا اردنا أن نتتبع أمراء الاعزه من سبيع بالحائر ، نجد أنها استمرت حوالى مائة عام فى عائلة آل شعيفان ، ثم تسلسلت بعد ذلك فى آل جفران ، وكان على المجـدع آل جفران أميرا منهم ، ثم قتل فى معركة بينهم وبين قبيلة أخرى ، فتولى أخوه محمد بن جفران ، ثم ابنه الظويرى بن محمد بن جفران ، ثم جفران بن سعد بن جفران ثم أخوه فلاح بن سعد بن جفران وهو أمير الأعزة حاليا ، وعند قيام الدولة السعودية نصب من قبل الحكومة عدة أمراء ويسمى هذا الأمير " المنصوب " نسبة الى انه منصب من قبل الحكومة فتعاقب البيشى ، ثم نصب بعده سلطان ابن بزران ، ثم سعد بن جمعان ثم ناصر الخطيفى ، ونصب بعده عبد الله بن سعيد الى أن نصب الامير الحالى وهو خالد بن سعيد .

بناء السلطة بالغطغط :

بنو الغطغط هم عشيرة " المقطة " وهى فخذ كبير فيه عشائر منها :

أ - المتابعة ومنها :

- السعافين	- مسيعيد
- الحمدة	- القمزة
- العواصين	- الحواميد ومنها المهارجة من بنى محمد بنو عامر وبنو تميمه
- الخمجان	وبنو تميمه وبنو جعر وبنو عباد (أ) .

- ذوو " خصير " وبنو محمد يتفرع منهم الجعدان وبنو حميد والصوبيان وبنو هادى .

والامارة لدى بنو الغطغط وراثية كغيرهـــم ، فلقد ظـــل بن خثيلة أميـــراً الى ان توفى عام ١٣٩٨ هـ وتولى الحكم من بعده ابنه ماجد .

---

(١) ، (أ) حمد بن ابراهيم بن عبد الله الحقيل : كنز الأنساب ومجمع الآداب ، مطابع النهضة ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م ، ص . ص ١٠١ - ١٠٢ .

المسئولية والجزاء بمجتمعى الحائر والغطغط :

إن النظام المراتبى فى المجتمعات البدوية يرتكز فى الأصل على مفهوم التفاضل الاجتماعى والسياسى ، والذى بموجبه تتحدد المراكز والأدوار بين الفئات المتمايزة ، فتحتل كل منها مكانة إجتماعية معينة ومحددة بحيث يفرض على كل فئة منها سلوك معين وواجبات محددة ، بالأضافة إلى تحديد العلاقات العامة بين أعضاء الفئات .

وإن صفة الجمعية كانت مسيطرة على مجتمع الحائر والغطغط كمجتمعين بدويين فى كافة شئونهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ... الخ ، فالمسئولية جماعية ، فإذا حدث خطأ من فرد من أفراد القبيلة ، يقع الجزاء على العشـــيرة كلها ، وحملات الغزو والقتال جماعية ، والمغانم والأسلاب جماعية كذلك ، فهم مرتبطون بدرجة قرابة واحدة ، ومنحدرون جميعا من قبيلة واحدة ، كما أن حياتهم وظروف البيئة وجغرافيتها تفرض عليهم التعاون والأتجاه نحو أهداف مشتركة ومصالح عامة .

وإذا أرتكب فرد جريمة معينة فعلى عائلته أو وحدته القرابية أو قبيلته بالأرجح تحمل النتائج والتعويضات التى تقع عليه ، فتشارك القبيلة ككل فى بعض الاحيان ، أو تتحمل الوحدة القرابية ككل المسئولية أو قد تتحمل العائلة وحدها هذه المسئولية خاصة إذا كانت فى صورة تعويضات " الدية " * ، كما تتكفل القبيلة المجنى على احد أفرادها بأخذ الثأر والمطالبة بالحقوق للفرد المجنى عليه داخلها .

وبجانب هذا البناء القبلى ذو المسئولية الجماعية توجد الفئات الأخرى من خارج القبيلة ** وبالرغم مما تقدمه القبيلة لهذه الفئات من حق التعايش والإقامة والرعاية والحماية ، إلا أن هذه الفئات خارج نطاق المسئولية والجزاء فى المجتمع القبلى ، بحيث إذا أرتكب أحد أفراد القبيلة جريمة فإن المسئولية تقع على كل أفراد القبيلة ما عدا تلك الفئات حيث لا تقع عليهم أية مسئولية .

الأدوار الأجتماعية للشيخ :

كان شيخ القبيلة يمثل الحاكم المطلق ، وهو المتصرف والمسئول عن شئون القبيلة كلها ،

---

* أن القبيلة تقوم بمشاركة القاتل فى دفع الدية إذا كان الشخص المقتول من خارج الوحدة القرابية أى من خارج القبيلة ، أما إذا كان القاتل والقتيل من نفس الوحدة القرابية أو العائلية ، خاصة مثلا إذا كان أبن العم ، فإن القاتل يدفع قيمة الدية من – حلاله – أى من ممتلكاته الخاصة .

** الفئات الأخرى هـــى التى لا تنتمى بصـــلة قرابـــة أو نســـب للقبيلة مثل فئات الخضيريين ، الصلب ، العبيد .

فالنظام المراتبى فى المجتمعات المدروسة – الحائر والفطغط – يرتكز فى الأصل على مفهوم التفاضل الاجتماعى والسياسى ، والذى بموجبه يتحدد الأختلافات فى المراكز والأدوار ، وحتى فى ممارسة النشاط الاقتصادي بين الأفراد الذين ينتمون الى فئات إجتماعية متمايزة تحتل كل منها مكانة إجتماعية معينة ومحددة ، بحيث يفرض على كل فئة منها سلوك معين وواجبات محددة ، كما تحدد طبيعة العمل الذى يجب على أفراد كل فئة القيام به ، بالاضافة الى تحديد العلاقات الهامة بين اعضاء الفئات المختلفة .

ونتيجة للحياة السياسية والاجتماعية المضطربة التى كانت تعيشها القبائل ، وفى غيبة الحكومة المركزية القوية وغياب الأمن والاستقرار والطمأنينة ، نماوكبر دور الشيخ فقد أصبح الحاكم المطلق لا ينازعه أحد فى هذا الحكم ، فهو الذى يخطط للمعارك والغزو وقيادة الحرب ثم تقسيم الغنائم * ، ويقوم بالتفاوض مع القبائل الاخرى ... كما سنوضح فيما بعد واستمر الأمر كذلك حتى تمت السيطرة لآل سعود .

وكان للشيخ دوراً اجتماعياً هاماً فى استمرار القبيلة ككيان واحد دون إنقسامات أو عداوات داخلية أو خارجية ، فلشخصية الشيخ هنا الدور الأكبر فى حسم أى خلاف يحدث داخل القبيلة أو خارجها قبل أن تتطور الأمور الى أبعد من ذلك ، ومن التاريخ الأجتماعى لقبيلة سبيع " فخذ العزة " وقبيلة عتيبة " المقطة " أحداث إجتماعية كانت بدايتها مجرد نزاع وأنتهت بحروب داخلية ، أو خارجية ، اما إذا كان الشيخ ذو حكمة وله تجارب كثيرة ، فإنه يقوم بعملية الصلح وفض النزاع وحسم الأمور للصالح العام ، فخطأ الشيخ ، خطأ للعشيرة كلها ، وحسن تصرفه مطلوب فى مواقف كثيرة مرتبطة بمصير القبيلة كلها ، وبروح الجماعة ، وبناء على المصالح العامة للعشيرة أو القبيلة يحل النزاع ، ويتحاشى الضرر والنتائج السيئة التى تأتى من ترك الأطراف المتنازعة تحل مشاكلها بالاعتماد على قوتها ووسائلها الذاتية، ولذلك يحدث التوسط بين المتحاربين.

وكان الشيخ يتدخل لفض النزاع وتحديد الدية ، ولكن فى الغالب كان أهل القتيل يرفضون الدية ويطلبون الثأر ، ولم تقبل الدية إلا فى حالة ما إذا كان المقتول قد قام بعمل مخل بالشرف ، مثل الاعتداء على شرف أو السرقة ... الخ ، من الجرائم المرذولة فى البادية ،

---

* عند تقسيم الغنائم كان الشيخ يأخذ النصيب الأكبر (الثلث تقريبا) يوضع فى الإعتبار من هذا النصيب نصيب الضيافة ، حيث يقوم الشيخ باستضافة الوافدين على القبيلة فعليه واجب الضيافة ، وإذا كان كريما نعتت القبيلة كلها بالكرم والعكس صحيح .

وعدم الإهتمام من جانب الشيخ أو من ينوب عنه فى حل هذه المنازعات أدى الى أحداث عنيفة كثيرة حدثت فى مجتمعى الدراسة ، وعلى سبيل المثال فإن هجرة أهل الحائر الى هذا المكان بعد ان كانوا فى الحجاز يعود إلى نزاع حدث داخل وحدات القبيلة ويقال إنها كانت نتيجة لعداوة بين رجلين من وحدتين مختلفتين ، وكانت العداوة ناتجة من أعتداء شخصى ، والروايات كثيرة فى هذا الموضوع ، المهم أنها أدت فى النهاية إلى حروب داخل القبيلة وانتهت بأن نزح فخذ العزة وأنحدروا وهجروا أرضهم بعد أن أخرجوا منها ، وسكنوا هذا المكان " الحائر " بعد أن هجروا أهله ، وايضاً الاحداث كثيرة عند بدو الفطفط قبل استقرارهم ، وبعد الاستقرار ولا يتسع المجال لذكرها هنا .

ولذلك كان الشيخ يتدخل فى حالات كثيرة وله دور كبير فى استقرار وسلامة القبيلة داخليا وخارجيا ، فإذا حدثت جريمة قتل على سبيل المثال ، فلابد من التدخل لفض النزاع والتحكيم بين أهل القاتل والقتيل ، والا فالنتيجة مزيد من القتلى ، والأخذ بالثار ، مما يضعف من قوة القبيلة ويؤثر على تماسكها وتضامنها وخاصة لو كان النزاع داخليا .

وغالبا يبدأ إجراء الصلح بتحديد فترة زمنية معينة حتى يتم الحكم فى النزاع ، ويحاول المحكمون أقناع المجنى عليهم بقبول " الدية " والتنازل عن الثار .

ومن الأمور الخاصة به أنه يعقد الاجتماعات الخاصة بالقبيلة ببيته ، وكذلك الأمور الخاصة بعلاقة القبيلة مع القبائل الأخرى ، كما أنه فى حالة وفود أحد الزوار من قبائل أخرى أو مندوبين عن القبائل الأخرى فإن بيت الشيخ هو المكان الوحيد لإستضافة هؤلاء الوافدين ، وعقد الأتفاقيات العامة ، واتفاقيات الصلح .

ومن الضرورى أن يتوفر فى الشيخ عدة أمور وصفات وخصائص أهمها القوة بشقيها المادى والمعنوى فيكون أكثر الجماعة شجاعة وعزوة وعددا وخاصة من الرجال المحاربين ومن أقوى عصبية فى القبيلة ، حتى يستطيع تنفيذ أحكامه على جميع وحدات القبيلة ، ولأن القبيلة كانت دائما فى حالة غزو أو فى حالة دفاع ، فهذه العصبية للشيخ لديها أكبر عدد من المحاربين الذين سيقومون بالحرب أو الدفاع بحماس شديد إذا كان الشيخ من عصبتهم ، ويكون ذا ملكية كبيرة من الإبل والخيل والدبش .

ونظراً لأن الشيخ هو الملجأ لأى غريب كما أن عليه استقبال نواب القبائل الأخرى كما يلجأ إليه المحتاج فى بعض الأحيان ، كان لابد من توافر صفة الكرم فى الشيخ وإلا اتهمت

القبيلة كلها بالبخل فى حالة بخل الشيخ ، كما يراعى فيه حسن القول والتحدث ، وأن يكون أكثر حكمة ، وحسن تصرف وأكثر لباقة ، وأن يكون أكثر ثقافة وتفقها بالدين .

وهذه الوظيفة للشيخ تجعله فى النهاية مصدراً للقرارات الملزمة لأعضاء الوحدة التى يرأسها ، فكان يتمتع بسلطات واسعة ، وأحكامه واجبة التنفيذ دون استئناف أمام هيئة تقليدية أخرى ، وبسلطة القسر التى يفرض عن طريقها أى قرارات يصدرها ، مستنداً فى ذلك أيضا الى قوة الرأى العام فى الجماعة القبلية ، وهو فى العادة يعد من بعده من يخلفه من أولاده أو من أقرب أقربائه ، فإذا كان أبناؤه صغاراً فمن اخوته أو أولاد عمومته ، وعند اختلاف ورثة الشيخ على المشيخة فإن أفراد القبيلة تنحاز مع الأقوى والأشجع والأكثر كرماً .

الفئات الاجتماعية :

كانت الغارات والتطاحن بين القبائل شيئا مألوفا ، فالقبيلة دائما إما فى حالة تأهب لغزو أو فى حالة تحفز لصد هجوم ، وأخبار الغارات وحوادث القتل والثأر والخطف تغلب على معظم أحاديثهم ، ويتفاخرون بما جمعوا من غنائم ، فكانت حياتهم تعتمد على " القوة والصراع وفنون القتل " التى حاولوا أن يتقنوهـــا منذ الصغر ويدرب عليها الذكور من سن مبكرة ، ولذلك كان رجل القبيلة ينظر نظرة احتقار إلى الفئات الحرفية والمهنية ، وهذا الاحتقار تعبير واضح لطبيعة العقلية البدوية التى عرف بها المجتمع القبلى ، والتى اتخذت أحكاما قيمية شبه ثابتة ضد الكثير من الأعمال الحرفية والمهنية ، مثل الحدادة والحلاقة والقصابة والحجامة وغيرها ... الخ ، وهى كلها مهن لا تعطى كيانا قويا وسلطة لمحترفها ، فالبدوى يسعى إلى ما يجعله يسود فى هذه الصحراء، ولا يمكن أن يســود ويأخذ مكانة عالية إلا بناء على منطق القوة ، وتدريبه على فنون الحـــرب ، فهنـــاك بناء قيمـــى من قديم الزمان يمجد الحرب ويقدس الشجاعة ، وقد نتـــج هـــذا البناء القيمـــى عـــن الظـــروف الطبيعية التى عاشها البدو فى هذه المناطق .

إن التحقير لتلك الفئات الاجتماعية (المهنية) من جانب رجال القبائل يرتبط بمزاولة مهن معينة ينظر إليها المجتمع القبلى بنوع من الاحتقار ، ومن ثم ينظر الى الشخص أو الفئة الاجتماعية التى تقوم بممارستها على أنها تجاهلت الأصول المتوارثة والمتعارف عليها والتى تفرض على الشخص أن يمارس أعمالا وأدوارا معينة ومحددة ، وبالتالى فإن أى خروج على النشاط الاقتصادى المرسوم له من قبل الفئة التى ينتمى إليها يفقده عضوية تلك الفئة ، ولذا فهو يعامل كشخص مجهول الهوية والأصل ويصبح منبوذاً فى المجتمع القبلى ، وهذا يفسر لنا

ذلك الربط الاجتماعى بين الأعمال الحرفية والمهنية وبين المنحدرات الاجتماعية للفئات والاشخاص الذين يقومون بمزاولتها ، وأن هذه الفئات ومراتبها الاجتماعية تعتبر مغلقة لا يسمح بانتقال أى فرد منها أو إليها .

وعلى الرغم من هذا الأختلاف فى المراكز والمكانات الأجتماعية ، وتحديد المهن بالنسبة لكل مرتبة إجتماعية ، فإن نظام العقوبة والجزاء يطبق بصورة تكاد تكون عادلة بين الجميع ، فعلى رجال القبائل الذين يحتلون السلطة والصدارة فى التنظيم الإجتماعى القبلى القيام بتوفير الحماية والرعاية للفئات الاجتماعية غير القبلية والدفاع عن حقوقها .

إن المستوى الاجتماعى الذى يرثه الفرد من الأب يفرض عليه القيام بمزاولة نشاط حرفى أو مهنى معين ومن ثم فإنه مهما تغير الوضع الأقتصادى أو التعليمى فإنه يظل منتميا لنفس مستوى الفئة التى ينتمى إليها ، ويظل محتفظا بنفس المكانة الاجتماعية التى تنحدر منها عائلته ، ورغم أن أبناء هذه الفئات الاجتماعية الدنيا لا يستطيعون تخطى فئتهم عند الزواج أو الارتباط ، فإن تلك الحواجز الاجتماعية – بين الفئات المهنية والصناع والعبيد وأبنا القبائل – لا تمثل عائقا حقيقيا امام الاتصال والتفاعل الإجتماعى ، فلا يوجد نبذ من جانب فئة الى فئة أخرى ، وبالتالي فإن مبدأ المساواة فى الحقوق الذى يقره الدين الاسلامى هو الذي يحكم افراد المجتمع كما سبق الذكر .

إن نظرة عدم التساوى لهذه الفئات لا يرجع لتلك الفئات لذاتها وإنما هو تعبير عن العقلية البدوية ، التى أتخـــذت أحكاما قيمية ثابتة ضد أشكال كثيرة من الأعمال وفئات إجتماعية معينة ، وأصبح ذلك تراثاً ثقافياً متوارثاً عبر الاجيال .

وقد اثبتت الدراسات التى أجريت على مجتمعات قبلية تتشابه ابنيتها السياسية والاجتماعية مع أبنية مجتمع الدراسة ، ما تؤكده هذه الحقيقة [١] .

ويمكن تقسيم الفئات الاجتماعية بمجتمعات الحائر والغطغط إلى :

- الفئة الأولى : فئة المشايخ والأمراء .
- الفئة الثانية : رؤساء العشائر والفخوذ وكبار المحاربين بالقبيلة .

---

(١) فضل ابو غانم : الاستمرار والتغير بالبناء القبلى بالمجتمع اليمنى ، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجسيتير فى علم الاجتماع من جامعة عين شمس – كلية الآداب قسم الاجتماع ، سنة ١٩٨٤ م .

- الفئة الثالثة : أفراد القبيلة .
- الفئة الرابعة : الفئات الأخرى من غير القبيلة " العبيد ، الخضيريين ، الصلب " .

وفيما يختص بالفئـــة الرابعة ، فان مجتمعات الدراسة ترتبهم بطريقة تختلف عن بعضها ، فنجد أن مجتمع الحائر يرتبهم بحيث تأتى فئة العبيد فى البداية قبل الخضيرى والصلب وتبريرهم لذلك أن العبيد ينتسبون الى مواليهم ، فهو ينتسب لقبيلته ، وبالتالى يأتى فى مقدمة الفئات الثلاث .

أما مجتمع القصب والغطغط ، فيرتبونهم بحيث تأتى فئة الخضيريين فى البداية ويليهم العبيد ثم الصليب . أى يأتى الخضيرى من وجهة نظر هذين المجتمعين فى مقدمة أفراد هذه الفئة على أساس أن الخضيرى قد يرجع نسبه الى أصل عربى ، إلا أنهم لاسباب ما جهلوا هذا الأصل والجهل بالشئ لا يعنى عدم وجوده .

وإن الفئات الاجتماعية لدى بدو الحائر والغطغط مثلها مثل دور نجد عامة تقوم على أساس أن فى أعلى السلم الاجتماعى يكون الشيخ (شيخ القبيلة) ورؤساء العشائر ولهم السلطة والكلمة وبناء القوة ، ثم باقى أفراد القبيلة ويأتون فى المرتبة الثانية ، ثم باقى الفئات .

شيخ القبيلة :

وتقوم على أساس الوراثة ، ويطلق عليهم مشايخ أو أمراء حسب تنظيم إجتماعى متعارف عليه ، وإن كان عند سؤال الاخباريين عن ذلك قد أوضحوا أنه ليس هناك فرق فالشيخ هو الأمير ، ويلى الشيخ رؤساء الفخوذ والعشائر ، وتكون هى والشيخ مجلس القبيلة ولهم رأيهم ومشورتهم لدى الشيخ .

رجال القبيلة :

وهم أفراد القبيلة ، وتقوم المرتبة الاجتماعيه التى ينتمون إليها على أساس الانتماء القرابى والسياسى .

العبيد - الخضيريين - الصلب :

التى تزاول حرفاً ومهناً يعتبرها المجتمع القبلى من الأعمال الوضيعة التى لا يسمح لرجل القبيلة القيام بها ، مثل الصناع والقصابين ، والحلاقين ... الخ .

الفئات الاجتماعية بمجتمع القصب :-

- أمير القرية .
- القاضى ورجال الدين .
- افراد المجتمع من العائلات : وهم المزارعون وأصحاب المزارع .
- الحرفيون والمهنيون (الصناع) ، ومنهم الحداد والحلاق والقصاب .

كان فى أعلى السلم الإجتماعى أمير القرية ، وكانت الإمارة شبه وراثية دائما ، فكانت فى القصب تتوارث لعدة أجيال ، وفى عائلات بعينها .

أما رجال الدين والقضاة والفقهاء : فتقوم هذه الفئة على أساس النسب والمركز الدينى ودرجة التفقه فى علوم الدين والشريعة الاسلامية والقدرة على حل المنازعات التى يتطلب الأمر حلها بواسطة القواعد الشرعية .

أما الفئة الثالثة فهى من أفراد المجتمع ومن العائلات وهم المزارعون وأصحاب المزارع وهم من عائلات وقبائل متعددة .

أما الفئة الرابعة وهى فئة " الصناع " - (الخضيرى - الصلبى - العبيد) : - ومنهم الحدادون وهم الذين يقومون بأعمال الحدادة وصنع الأدوات ، والآلات الزراعية التقليدية ، ويقومون بصناعة " الدلال " ، وجليها ، وصنع القدور النحاس للطهى .. الخ . وأيضا الحلاقون وهم الأشخاص الذين يقومون بأعمال الحلاقة وخاصة فى المناسبات مثل الاعياد الدينية ومناسبات الزواج ... الخ ، وكذلك الختان " الطهارة " كما يقومون بأعمال الخدمة العامة فى مناسبات الزواج والأعياد ، كما يقوم بعضهم بالمداواة والعلاج " الطب الشعبى " والتجبير والحجامة ... الخ ، وأغلبهم من الصلب والعبيد ، ويوجد القصاب وهو الذى يشترى الماشية - ويقوم بذبحها وبيعها فى السوق ، وغالبا ما تكون هذه الفئة غير متخصصة فى هذه الأعمال فقط ، ولكن لها أعمال أخرى مثل العمل بالزراعة لدى أصحاب الأراضى ، أو الاعمال الخدمية ، أو الخدمات العامة ...الخ .

علاقة الفئات الاجتماعية بعضها ببعض فى مجتمعات الدراسة :

إن علاقة الفئة الأولى (المشايخ والأمراء) بباقى الفئات هى علاقة قائمة على أساس الحماية والحفاظ على الحقوق ، والاحترام من جانب باقى الفئات ، كل ذلك فى إطار من قواعد العرف القبلى ونظام المسئولية المتعارف عليها والجزاء ، وتأتى فى نفس الفئة - وإن كانت

تختلف فى الدرجة – رؤساء العشائر والفخوذ وكبار رجال القبيلة من المحاربين ، ولهم المشورة والمساعدة فى حل المشاكل والمنازعات والوساطة بين الشيخ ورجال القبيلة وبقية الفئات الأخرى .

وعلاقة فئة المشايخ والرؤساء ببقية أفراد القبيلة هى علاقة أحترام متبادل ومساواة فى الحقوق والواجبات ، والطاعة والالتزام من جانب أفراد القبيلة بما تحكم به السلطة .

أما علاقة الفئات السابقة ببقية الفئات الأخرى – العبيد والخضيريين – والصلب – فهى علاقةتقديم خدمات مقابل الحماية والانتساب والجوار ، علاقة يسودها الاعتماد المتبادل والتساند والتعاون ، وخاصة فى حالة المخاطر الخارجية ، والكوارث الطبيعية ، حيث التماسك والتعاون والتآزر بين الفئات الاجتماعية المختلفة برغم ما بينها من اختلاف وتفاوت .

بالرغم مما تقدمه القبيلة للفئات الاجتماعية " غير القبلية " من حيث الحماية السياسية والرعاية الاقتصادية ، والسماح لهم بالإقامة ضمن الوحدات المكانية والاجتماعية فى القبيلة ، إلا أن هذه الفئة تظل على هامش الحياة الاجتماعية والسياسية للقبيلة ، وعليهم أن يلتزموا بنفس الأعمال والخدمات والحرف والمهن التى حددتها لهم القبيلة وهى نفس المهن والحرف التى كان يقوم بها آباؤهم ، وإلا فإنهم سوف يفقدون حق الحماية وكذلك تأمين المعيشة الاقتصادية وحق الأقامة التى تمنحها القبيلة لهم .

نظام التحكيم بمجتمعات الدراسة :

سبق وأشرنا الى أن التقاضى بمجتمع القصب كان يتم فى قرية " شقراء " الى أن عين بالقصب قاض وكان أهل القصب يلجئون للقضاء عندما تفشل محاولات الصلح الفردية بين المتخاصمين ، كما كان الأمير يتدخل لفض خصومات كثيرة بالقرية وكانت له الكلمة المسموعة ، وكان هناك مندوب عن الأمير يقوم بتقدير الخسارة التى وقعت على طرفى النزاع ، أما المجتمعات القبلية فكان الشيخ يتدخل فى حالات النزاع ، وكما يقال " يتدخل للصلح أو للخير فقط ، أما فى حالة حدوث قتل فقد كان الصلح لا يتم إلا بعد القصاص – فى الغالب – ، فلا بد من أخذ الثأر ثم بعد ذلك يتم الصلح ، هذا بالنسبة للخلاف داخل القبيلة ، أما أذا كان النزاع بين وحدات قبلية مختلفة ، فإن القبيلة تحمى المعتدى ، وعلى المعتدى عليه أن يأخذ حقه بيده إذا أستطاع ، وهنا تتدخل قوة القبيلة وعزوتها فى حماية أفرادها .

ولقد عرف مجتمع الحائر ما يسمى " بالطواغيت " وهو بديل عن القاضى يحتكم اليه الناس وهو بالطبع لا يستند فى حكمه للشرع ، ففى هذه الفترة الزمنية كان تفقه هؤلاء البدو فى أمور الدين والشرع قليلا ، والجهل هو السائد ، لكن كان يحكم بالعرف القبلى ، والجماعة أرتضت بهذا " الطاغوت " حكما ، وكان يتقاضـــى شيئا عينيا أو نقديا نظير تقديم هذه الخدمة ، وأحكامه سارية .

- الحراسة عند مجتمعات الدراسة :

كانت مجتمعات الدراسة دائما في حالة تحفز وخوف ، ولابد لهم من حراسة تكون بمثابة النذير عند أى هجوم أو غارة أو أى محاولة سلب ، ودور الحراسة هام ، حيث يعلن الحراس عن أى غزو قبل أن يصل ويباغت " المنزل " فجأة ، أو كى لا يكون هناك فرصة للأستيلاء على ممتلكات اهل " النزل " فى الخفاء . ولذلك كانت هناك الحراسة الدائمة " للنزل والمواشى " من عدة رجال يطلق عليهم " الجنب " يقومون باستطلاع المنطقة من فوق جبل عال ويشترط فيهم قوة الأبصار - بالطبع - والمهارة وقوة ودقة الملاحظة ، ويقومون بإعتلاء الجبل أو الأبراج أو المراتب فى أوقات متفاوته بشرط أن يصعدوا قبل حلول الليل كى يضمنوا عدم وصول أى معتد قبل أنقضاء ساعات الليل ، حيث أن الحراس يقومون برصد المنطقة على مسافات بعيدة .

- تتبع الأثر بمجتمعات البادية :

إن تتبـــع الأثـــر من الأمـــور الهامة بالصـــحراء ، ويتـــدرب عليها أبناء البادية لأسباب عدة :

- لابد له من معرفة أثر ماشيته حتى يتتبعها ، وقد برعت فئة " الصلب " فى ذلك .
- إذا حدث واعتدى أحد وسلب من البادية ماشيتها أو خيلها ... فلابد على الرجال من متابعة المعتدى ، ومحاربته لاسترداد ما سلب ، وفى بعض الأحيان يسترد المسلوب ومعه أشياء أخرى من ممتلكات المغير كتأديب له على فعلته - إذا استطاع صاحب المسلوب - ولذلك كان أقتفاء الأثر هام فى استرداد ما يسلب، وهو بذلك هام فى مثل هذه المجتمعات .

البـــــاب الثالث

التراث الشعـــبى

الفصـــــل الأول

الثقـــافة المادية

البيـــت - الملابـــس

- تقديم
- الدار بالقصب
- البيت بالحائر
- البيت الشعر لدى بدو الحائر والغطغط
- الملابس
- الملابس بمجتمع القصب
- ملابس النساء بمجتمعي بدو الحائر والغطغط
- ملابس الرجال بالغطغط
- ملابس الرجال بالحائر

تقديم :

سوف نتحدث فى هذا الفصل عن عناصر الثقافة المادية فى مجتمعات الدراسة وسوف نتعرض للبيت كعنصر هام من عناصر الثقافة المادية ، فالضرورة تقتضى أن نعرف المكان قبل التعرف على ما بداخله . كما أن البيت وطريقة بنائه والخامات المستخدمة كل ذلك يعكس لنا الكثير من عادات وتقاليد المجتمع ، فلكل بيئة طريقة فى البناء ، وتختلف حسب العادات،التقاليد والعقيدة ومدى تطبيقها ، وتتباين حسب الفئات الاجتماعية ، وتتمايز حسب التطور وطراز المعيشة وإسلوب العمل .

بالنسبة لبادية نجد : كان هناك القرى أو الحضر وهناك البادية ، والبادية ليس فيها مساكن ثابتة بل هناك بيوت شعر ، ترحل مع البدوى أينما رحل ..... ، ويعد البدوى مسكنه بنفسه ، وبيت البدوى مصنوع من شعر الماعز أو صوف الغنم ووبر الإبل ، وتقوم المرأة بغزلها ونسجها على شكل قطع تخيط ما بينها حتى تشكل بيتا كاملاً ..

وتتعدد أشكال البيوت فى البادية وتتسع وتضيق كل حسب مقدرته وحاجته ، فالفقير بالبادية يسكن ما يسمى " بالمقرون " أى ما يرفع على عمودين متقابلين ، أو ربما أقل من ذلك أى نو عمود واحدة ثم يتسع أكثر من ذلك فهناك البيت الذى يرفع على ثلاثة أعمدة ويسمى (مثولث) ، ثم (المرويع) ، و (المخموس) وهكذا إلى (المسويع) ويسكنه شيخ الفخذ أو القبيلة، ويقسم هذا البيت إلى أقسام يفصل بينها حواجز من الشعر تسمى " القطب " فيكون قسم منها للضيوف ، وقسم للطعام ، وثالث للنوم ، وقسم لصغار الأغنام لتحميها من برد الشتاء ....

ويعد القسم الأكبر من البيت للرجال والمضيف ثم القسم الخاص بالنساء أو الحريم ويسمى (المحرم) ويمكن للمرأة أن تستقبل فى هذا القسم ضيفاتها من النساء وتخزن فيه حاجاتها وحاجات البيت من حبوب وأغذية .

ويلتف حول البيت نسيج من الشعر ويسمى (رواق) ، وفى البيوت الكبيرة فيكون " الرواق " من الخلف فقط ، ويثبت " الرواق " والبيت بأوتاد تربط بها الخيل عند الحاجة .

ويوضع بجوار البيت مجموعة أحجار توضع عليها قرب الماء ، وأوانى اللبن ، والسمن أو تعلق فى أعمدة البيت بالداخل ، وكذلك تعلق أدوات الانارة " سراج " أو " الاتريك " وهذا يؤكد لنا مدى خضوع تشكيل البيت للظروف الصحراوية والاجتماعية التى يعيشها البدوى ، فقد كيف البدوى بيته مع جو الصحراء الحار صيفا ، والبارد شتاء .

أما بالنسبة للمدن والقرى بنجد فنلاحظ نوعين من البناء ، طراز قديم يقوم على مادة الطين ، وهى المادة التى تقدمها الطبيعة بسخاء ، وتكون الغرف فيها صغيرة وضيقة حتى لايصعب عمل السقف باتساعها إذ أن الخشب قليل ويكاد يكفى سقف المنازل فقط ، أما النوافذ فالشائع فيها عدم استخدام الخشب ، فتكون عبارة عن فتحة صغيرة فى أعلى الجدار ونادراً ما يستخدم فيها الخشب ، ويراعى فيها دواعى الأمن ، حيث أن المنطقة كانت دائما تتعرض للغارات والغزوات ، وتتفتح الغرف على صحن الدار ، لاحتجاب النساء ولدواعى الأمن أيضا ، ولايرتفع البناء فى الغالب عن دورين ، وفى الدور الأعلى تعمل أبراج تطل على الخارج للقتال ، إذا ما حدث غزو أو مداهمة ، بالإضافة إلى بناء على شكل سور لايزيد عن ارتفاع متر وبه رسوم هندسية على شكل مكعبات أو مثلثات ، ويمكن أن يقاتل من خلفها الرجل ، ويستتر بها، وتحيط سقف الدار كله فتحجب الذين عليها من الجوار ، إذ تتخذ مقراً فى الليل هربا من الحر الشديد داخل الحجرات [1] .

وكان هذا النمط من البناء هو السائد فى قرى نجد ، أما القليل منها فقد وضع لها أساس من الحجارة بارتفاع متر تقريبا ، وكانت هناك عوائق أمام بنائها جميعا بالحجارة لعدم توافرها بسهولة مما جعل معظم القرى تأخذ مما توفر تحت قدميها فنشأت قرى طينية .

الدار بالقصب :

تعتبر الدار فى القصب انعكاسا لثقافة المجتمع ، كما تعكس لنا العلاقة بين البيئة الطبيعية ، والحياة الاجتماعية والثقافة المادية ، ونظرا لما للقيمة التراثية التى تعكسها الدار ، فسوف نورد وصفا وتحليلا للدار قديما وحديثا ، لنتعرف على مدى التغير فى المنطقة .

والدار فى مجتمع القصب هى المأوى والسكن ويختلف باختلاف ملاكه من حيث الثراء والفقر من حيث شكل البناء أو عدد الغرف ، وكانت فى معظمها ذات مساحات ضيقة ، ويرجع ذلك لأسباب كثيرة أهمها ضيق حجم الملكيات وصغرها ، ومحاصرة الأرض الزراعية لها ، هذا بالإضافة إلى كبر حجم العائلة نظرا لوجود نمط العائلة الممتدة ، نظرا للظروف الاقتصادية المنخفضة وعدم قدرة الأبناء على الانفصال عن الآباء ، وإقامة مساكن مستقلة ، هذا بالإضافة إلى اعتبارات أخرى منها ملكية الأرض الزراعية ومصادر الرزق المشتركة بالإضافة إلى اعتبارات اجتماعية وثقافية ، وهذا ما دفع إلى انطلاق المدينة حديثا نحو البناء بعيدا فى شكل

(١) محمود شاكر : مرجع سابق ، ص . ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .

المخططات الجديدة فكانت متنفسا لمجتمع القصب ، جعلها تنتشر بلا حدود وتمتد أفقيا بأبنية حديثة ، والدار بقرية القصب قبل ظهور البترول بنيت على مساحات صغيرة ، نتيجة لأهمية الأرض الصالحة للزراعة ، وظلت تنقسم هذه الأرض الصغيرة المخصصة للدار نتيجة الميراث ، كما انقسمت الدار من الداخل لتتسع الدار الواحدة لأكثر من عائلة ، فالأرض تستغل أساسا للزراعة ، ولذلك تحولت قرية القصب إلى عدد من (الدور) لايوحد بينها سوى الشكل الخارجى أما الأحجام فتختلف ، ونجد آثار التقسيم داخل الدار الواحدة ، فنجد أبوابا مغلقة ، وأبوابا أخرى فتحت فى فترة زمنية تخالف فترة البناء .

وتبنى الدار من " اللبن " أى الطين المخلوط مع المواد الأخرى المتوفرة فى البيئة مع الماء ويشكل على هيئة قوالب وتترك لتجف ثم تستخدم فى البناء ولا يعتمد فى بناء الدور على مخططات هندسية ، أو على مقاييس مترية دقيقة ، وتزين جدرانها من الخارج بمثلثات بارزة أو خطوط محفورة بطريقة أفقية فى نهاية كل طابق ، وتمسح الجدران من الداخل والخارج بطين ناعم كى تبدو ملساء .

وقد ترتفع (الدور) إلى طابقين ، وتقسم كالاتى :

- الطابق الأرضى : وهو عبارة عن أرض متسعة تسمى (بطن الدار) ، وفى وسطه عمود يسمى (ساريه) يصل إلى السقف ويبنى بجواره قدر كبير من الحجر يتسع لكمية كبيرة من الماء ويسمى " قرو " ، وبطن الدار هو الممر الموصل إلى الغرف فى الدور الأرضى .

- الصفة : وهى عبارة عن حجرة أو أكثر ، ينام فيها أفراد الأسرة وتستغل أيضا للجلوس ، وللأكل ويوجد داخل الصفة غرفة صغيرة تسمى (البيت) يضعون فيها المتاع من تمر وعيش وسمن ويوجد فى هذا البيت (جصة) مبنية طولها ثلاثة أمتار تقريبا من الحجر أو الطين، يخزن فيها التمر لطوال العام ، ولها فتحة من أسفل لنزول " الدبس " عسل التمر تسمى " المدبس " .

-(القهوة أو الروشن): يوجد بالدور الأرضى حجرة تسمى (قهوة) أما إذا كان الدار ذو طابقين فإن هذه الحجرة تكون فى الطابق العلوى وتسمى فى هذه الحالة (الروشن) وهى مجلس للرجال وعادة يكون (للروشن) أو (القهوة) باب مستقل على خارج الدار كى لايمر الضيف من داخل الدار ،

كما يستخدم (الروشن) فى بعض الدور فى تخزين (القمح) لمدة سنة حتى يأتى موعد المحصول فى السنة المقبلة ، وفى حالة إستخدامها لاستقبال الرجال - فى بعض البيوت - فيوجد بها " الكمار " وهو يشبه الدولاب لوضع الدلال ، يبنى من الطين ، وأمامه (الوجار) وهو مبنى من الطين أيضا على شكل مستطيل على الأرض ، لإشعال النار فيه لعمل القهوة ، وبجواره " المهفة " لإشعال النار . كذلك يوجد (ضفيه) صغيرة لوضع الماء المخصص لعمل القهوة ، وتوجد بجوار (الوجار) . ، كما يوجد فى (القهوة) " المحماس " لحمص القهوة يصنه من الحديد وله يد طويلة . ، " والملقاط " وهو أداة من الحديد لالتقاط الفحم والجمر ، و " مخطر " وهى أداة لها ثلاثة أرجل لوضع الدالة أو الإبريق عليها فى وسط الوجار ، " حصاة النقير " وهى حجر كبير محفورة من الوسط (منقورة) توضع القهوة وسط هذه الحفرة ثم تدق بواسطة حجر أخر حتى يتم طحن القهوة ، وتفرش " القهوة " " بالخصاف " و " الحصير " ، ويوجد بها مساند تحشى " بالتبن والطرف " "ومراكى " تحشى " بالتبن " أيضا كما يوجد فى السقف فتحة تسمى (النبر) لخروج الدخان .

الجصـــــة : وتوجد تقريبا بكل بيت بالقرية وهى مخزن "كنز " التمر لمدة طويلة ، وهى عبارة عن بناء ارتفاعه حوالى مترين ، ولها فتحه صغيرة فى أعلى الجدار ، ومن أسفل تعمل فتحه صغيرة (مثعب) لينزل منها " دبس التمر " ولذا يوضع إناء ليستقبل هذا الدبس " وتبدأ ربه البيت السحب من هذا الإناء عند الحاجة كطعام أو تحليه بعض الأكلات .

الوتـــــد : وهو عبارة عن أخشاب ملحقة بسقف الدور الأرضى بارزة إلى الأمام فوق حوش الدار وفى داخل هذا " المجبب " وهو ممر يؤدى إلى (الصفف) جمع (صفة) وهى الغرف .

القـــــرب : وهى من الجلد المدبوغ تستخدم لوضع الماء الخاص بالشرب وتستخدم لجلب الماء للبيت .

الموقـــــد : وهو مكان لإعداد الطعام وعادة يكون منعزلا تقريبا عن الغرف الأخرى ويوجد بجواره (البيت) وهو المخزن لحفظ الأطعمة ، ويوجد فى سقف الموقد فتحة لأعلى تسمى " النبر " لمرور الدخان للخارج - كما سبق الذكر - ويوجد فى أحد جوانب الموقد ثلاثة أحجار متوسطة تسمى (مناصب) تستخدم للطبخ عليها ، فيوضع الوعاء على هذه "المناصب" ويوضع الحطب تحتها ، ويوجد به " التنور " لعمل " الكليجا* وغيرها وهو عبارة عن حفرة عميقة توضع بها النار ، وتوجد " المقرصة " وهى أيضا لعمل القرصان من البر وهى من الحديد .

---

* (الكليجا) من الأكلات الشعبية .

الصفارى : جمع (صفرية) مصنوعة من النحاس تستخدمها العائلة للطبخ العادى .

الحجرى : وهى قدورة كبيرة تستخدم لطبخ الولائم الكبيرة .

صحــن : وهو صحن التقديم ويستخدم للطعام العادى .

صينيــة : وهى صحون كبيرة تستخدم لتقديم الذبائح .

وهناك أوانى تصنع للطعام من الخشب ومنها ما يسمى (ميقعة) و " الصحاف " ويقدم فيها الأكل و (المغرفة) لغرف الطعام ، وتغطى كل من " الصحاف " و " الميقعة " بأغطية من الخوص وأوراق النخيل تسمى " طباقة " . وللطبخ قدور من النحاس ، ومنها قدر كبير لتدفئة الماء لاستعمالة فى الاستحمام ، كما كان هناك " السحلة " وهى من النحاس لغرف مياة الاستحمام.

المجرشــه : أو " الرحى " وهى عبارة عن قرصين من الحجر مستديرين تطحن بواسطتها الحبوب .

مطعمــة : وهى صحون مصنوعة من الخوص تستخدم للتمر .

الســفرة : وهى مصنوعة من الخوص تفرش عند تقديم الطعام ويؤكل عليها .

المغراف : تصنغ من المعدن للشرب .

المنحاز : وهو من الحجر على شكل مخروطى لطحن الحبوب ، وقاعدته أصغر من أعلاه ، ولذلك لابد من دفن جزء كبير منه فى الأرض لتثبيته ، وله عمود قوى من الخشب يسمى " مدقة المنحاز" .

المعصاد : عصا من الخشب ، تستخدم فى العصد (تحريك الطعام) .

السراج : وهو عبارة عن علبة تعبأ " بالقاز " الجاز " ويوضع لها فتيله من قماش الخام ، ويشعل بها النار للاضاءة .

ويوسط الدار مكان فسيح غير مسقوف يسمى : (الحوش) ، وتربى به بعض الدواب لاستخدام البيت ، مثل رأس أو إثنين من الغنم ليشربون منها الحليب.

وتسقف الدور بخشب الإثل وجريد النخيل وجذوعها على هيئة (اللحمة والسده) ثم تسدد الفراغات بينها بالسعف تسمى (عسبّان) ثم يسدد بالطين ، ويوجد فى أعلى المنزل ما يسمى (بالمرازيم) ، وهى ما تسمى فى مصر (المزراب) ، وذلك لنزول أو نزوح مياه الأمطار ، أو (السيل) عن طريقها إلى خارج المنزل ، وتسمى بالقصب أحيانا (مثاعب) ، وهناك السارية وهى عبارة عن عمود من الطين يبنى ويوضع فى أعلاه خشبتان لتسند سقف الدار .

الأبواب : يستخدم فى الأبواب جذوع النخل ، وترص بجوار بعضها البعض على هيئة مستطيلات، تمسك هذه المستطيلات بقطع خشبية بالعرض من الداخل ومن الخارج على هيئة تقاطعات ، حتى تصبح فى غاية القوة ، وفى كل باب يوضع (سكره) أو (مجرى) وهى أقفال لكل واحد منها استخداماته الخاصة (فالمجرى) تستخدم أثناء الليل ، والإغلاق التام فهى أقوى من(السكرة) ، حيث أنها لاتفتح إلا بمفتاح ، ولهذا المفتاح طريقة خاصة عند صناعته بحيث يتدرج من البساطة إلى التعقيد كى يصعب فتحه وهو عبارة عن قطعة خشب مستطيلة وبها أعواد من الخشب على هيئة أسنان ، يزيد عدد هذه الأسنان أحيانا زيادة فى الأمان أو يوضع به مايسمى (بالسارقة) وهى مجرى فى المفتاح ، وهى ما يطلق عليها فى ريف مصر (الضبة والمفتاح) . وبالباب مكان لدخول اليد من أجل فتح الباب ، وتسمى (المفتح) أو (الكوه) أما (السكرة) فتستخدم أثناء النهار ، وفى حالة وجود أهل الدار بالداخل لأنها أضعف من (المجرى) ، فهى تستخدم للأغلاق المؤقت فقط .

النوافذ : لم يكن بقرية القصب نوافذ خشبية بل كانت هناك فتحات صغيرة مربعة الشكل فى أعلى الجدار تسمى (فرجه) ، أما (اللهج) فهى فتحه على شكل مثلث ، وبالباب فتحه تسمى(الطرمة) لرؤية الطارق ، كالعين السحرية فى مصر .

ويستخدم أحيانا (الجص) الابيض فى بناء المنازل حيث تزين به (السوارى) أى الاعمدة كما يزين به (القهوة) أو المجلس ، ويصنع منه (الوجار) .

دورة المياه : لم يكن هناك قديما دورات مياه بالقصب ، حيث يخرج من يريد قضاء حاجته خارج الدار، وهذا هو الغالب على القرية ، لكن هناك بعض البيوت وهى نادرة كان بها مكان الحاجة ويسمى (البرج) .

الوقود والمياة بالقصب :

أما الوقود فهو من الحطب ومن روث الجمال والبقر تجمعه النساء من الأراضى البعيدة عن الدور من " البر " ، والحطب من شجر يسمى (الحمض) و (السلم) و (الارطى) .

أما جلب المياه فهى من البئر وكانت هناك ثلاثة آبار بالقرية يستخدمها الأهالى للشرب وهى تبعد عن البلد حوالى ٢ كيلومتر وتحمل النساء الماء فى قدور من النحاس على رؤسهن .

- **البيت بالحائر :**

إن البيت بالنسبة لبدو الحائر يختلف عن باقى المجتمعات المدروسة حيث أنهم كانوا يقيمون فى بلدة الحائر فى فصل الصيف فى بيوت من الطين يطلقون عليها " الحوى " * وبعد ذلك أطلق عليه المنزل ، وكان يبنى من الطين اللبن ومسقوفا بالجريد والقش من النخيل وسعفه ، والمبانى متراصة ومتلاصقة بجوار بعضها ، وبينها حارات ضيقة لاتسمح بمرور أكثر من الناس والدواب على مساحات ضيقة خوفا على الأرض الزراعية من الضياع .

أما البدو فكانوا يرحلون فى فصل الشتاء " بحلالهم " و"ادباشهم " إلى الصحراء حيث يقيمون فى بيوت الشعر .

وسوف نعرض الآن لشكل البيوت الموجودة بحائر الحاضرة من الداخل ، ثم طريقة بناء بيت الشعر ومحتوياته ، وجدير بالذكر أن هناك شبه اتفاق بين طريقة بناء بيت الشعر فى بادية الحائر وعند بدو الغطغط ، وكذلك الأدوات المستخدمة فى المجتمعين متشابهه .

والبيت بحائر الحاضرة : يتكون من :

- المجبب : المدخل .
- الباحة : الفناء الخاص بالبيت .
- الديوانية : للجلوس .
- الروشن : هى حجرة فى الدور فوق الأرضى ، وهى قليلة الوجود .
- الحجا : سور البيت من أعلى .
- المخزن : للحبوب .
- الجصة : للتمر .
- الدريشة : مثل الشباك وهى فتحة ضيقة فى أعلى الحائط .
- الفاغرة : تشبه الرف وتكون لوضع السراج أو ما شابه ذلك .
- السبرج : " الصهروج " أى الحمام ولم يكن متوفرا إلا نادرا قديما ، وكان ذا فتحتين فتحة يدخل منها الشخص وفتحة من الخلف على الطريق ويمر شخص ليجمع الفضلات من هذه الفتحة وتستخدم كسباخ .

---

* يسمى الحوى نظرا لانه يحوى السكان بداخله .

الادوات المستخدمة بالحوى :

الصميـــــل : إناء يحلب فيه اللبن .
الخبابــــة : لخض اللبن ويسمى " خب اللبن " .
موجـــات : وهو الجرن لدق البن وهو عبارة عن صندوق خشب وله يد من الحجر .
الوجـــار : كان يبنى من الطين وهو للقهوة .
سحكــــل : يوضع به القهوة ومحتوياتها .
المبــــرد : لتبريد البن بعد تحميصه ، وهو على شكل طبق مفلطح من السعف .
صندوق خشب : للدلال ليرحل به البدو .
الــــشيست : ماسورة بحجم فنجان القهوة يوضع بها فناجين القهوة لحفظها .
الشبــــلدان : عبارة عن صندوق لتخزين الملابس ويصنع من " العساوة " أى سعف النخل والخوص وجلد وقماش .
مضّــــرب : يشبه المراتب الخاصة بالسراير ولكن ذو سمك بسيط وهذا خاص بفئة معينة، وهى الفئه العليا .

البيت الشعر لدى بدو العائر والغطغط :

إن بيت البدوى – وكما سبقت الإشارة – خفيف الحمل يسهل نقله من مكان لآخر حيث الترحال والتنقل المستمر سعيا وراء الماء والكلأ ، وعندما يصل الظعن إلى المكان المنشود تنوخ البعير ، وتهم النساء بإنزال الأدباش ، والإسراع ببناء البيت .

وشكل البيت مكعب مستطيل ، سقفه وجوانبه من نسيج تصنعه المرأة البدوية من غزل الجمال والبعير ، ويتراوح طول البيت أو قصره حسب عدد الغرف وحسب مكانة صاحب البيت ، ولكن فى العادة يتراوح البيت من أربعة إلى خمسة أمتار – فى حالة ما إذا كان البيت مكونا من غرفة واحدة وعمود واحد ، ويسمى هذا العمود (الوسط) .

ويتكون البيت من : فليج – ذرة – لحفة – شملة – ووشيع وهى أنسجة من غزل الجمال والبعير وشعر الماعز ، تنسجها المرأة البدوية ، وأطناب ومنساب من الخشب أو الحديد قد تصنعها المرأة أو قد يصنعها الصناع أى " الخضيريون " أو يصنعها " الصلب " ، وحبال قد تصنعها المرأة بنفسها من الصوف أو الليف أو قد تشترى من القرى القريبة من ديارهم .

الفليج : وهو نسيج قوى أقوى من الأنسجة الأخرى الخاصة بجوانب البيت ، وهى مقاطع مستطيلة الشكل يبلغ طولها حوالى متر وعرضها أقل بقليل ثم تخاط هذه المستطيلات حتى يتكون الحجم الذى يغطى سقف البيت ، وفى البيت العادى يحتاج إلى خمسة أو ستة أفلاج ، كى تكسو السقف أو تزيد ، ويستخدم فيه النسيج القوى كى يتحمل الظروف الطبيعية من شمس أو مطر .

الزرى : وهى من نسيج أرهف أو أقل من الفليج وهى ثلاثة أنواع : " ملحة " ولونها أسود مثل الفليج مع إختلاف النوع ، و " شفا" ولونها أسود أيضا وبها زخارف قطنية و " عفره " وهى بيضاء من القطن * وتوضع كزخارف ، وهى من أنسجة مختلفة كمزيج ، واذا جاء الشتاء فهناك " لحفه " ويسمى أحيانا " وشيع " وهى مقطع وبر سميك وهو من صوف الغنم الأبيض ، وتقوم المرأة بصباغته ، ويستخدم " الوشيع " لتدفئة البيت فتوضع فى جوانب البيت أو توضع كفرش ، ثم هناك " الشملة " وتوضع كقواطع للبيت من الداخل لتفصله على شكل حجرات .

وارتفاع البيت حوالى مترين ويزيد فى حالة البيوت الكبيرة الخاصة بالشيخ أو كبار القبيلة من رؤساء الفخوذ والأغنياء .

ويقام البيت أو يرفع فى الوسط بعمود (الوسيط) ، و يختلف عدد الأعمدة حسب حجم البيت ويدق بالأرض الأوتاد (المنساب) ، وهو من الخشب قديما ومن الحديد حديثا ، ويربط نسيج البيت بالمخيط إلى (الطنب) ويشد إلى (المنساب) ،وفى (الجوازل) ، وتتعدد الأوتاد والجوازل بحسب عرض الخيمة وكبرها .

ويجهز الصوف والوبر والشعر الخاص بأنسجة البيت وذلك بقص شعر الغنم والماعز فى الربيع ، أما الجمل فيأخذ وبره فى السقوط عن جسمه فى فصل الصيف فتجمعه النساء ثم يمشط الشعر " وينرشن" أى يهوى ويجفف استعدادا لغزله ونادرا أن تجد بدوية " وكما يقال " ليس بيدها المغزل وذلك أثناء رعيها لماشيتها أو فى أوقات راحتها ....الخ **، ونسيج البيت يختلف فى جودته ونوعه تبعا لنوع الشعر الذى يغزل منه ، فمنه ما يصنع من الشعر الخالص النقى الخالى من الخليط ، ومنه المخلوط ، وشعر الماعز الأسود أقوى من الأبيض ، كما أن شعر الماعز التى تعيش فى مناطق باردة من المملكة أحسن من الأنواع الأخرى وكلها بوجه عام أقوى

---

* ان الاغنياء من البدو يبدلون بعض أجزاء البيت الجانبية بنسيج قطنى فى فصل الصيف ، كى تلطف من حرارة الجو

** مازال الاغنياء يبنون البيوت الشعر الفاخرة ، فى فناء القصور او الفيلات ، ويفضلون الجلوس بها شتاءا أو صيفا وهى تتكلف اكثر من ٢٠٠٠٠ ريال تقريبا كما يقال .

وأدفأ فى الشتاء من صوف الغنم أو وبر الجمل ، كما أنه يحفظ درجة حرارة البيت فلا يوصل البرودة إلى الداخل أو الحرارة فى الصيف ، ويمنع مياه الأمطار من دخول البيت .

وتقام البيوت الشعر حسب نظام معين لاتدخل فيه الصدفة ، فقد يكون البيت مفتوحا نحو الشرق خاصة فى الشتاء ليحصلوا على دفء الشمس ، وفى باقى الفصول الأخرى يراعى اتجاه الرياح أو قد تفتح البيوت تجاه القبلة ، فنجد أن البيوت كلها وقد فتحت فى اتجاه واحد (ويحدد ذلك بناء على تعليمات الشيوخ وكبار رجال القبيلة ، وتقوم النساء بالتنفيذ) .

وإذا كان البيت مكونا من حجرتين تخصص حجرة منهما لاستقبال الضيوف ، ويحفر فيها أو بجوارها من الخارج حفرة للنار (المنقد) لعمل القهوة .

وتجدد البيوت إذا كان عام (ربيع) أى عام خير كما يقول الإخباريون ، أما فى السنوات الشحيحة الأمطار فهم يكتفون بالقليل فى كل شئ ، حتى يأتى عليهم العام المقبل أو ما بعده .

وتسمى هذه البيوت (نزلا) وهذه النزل تنقسم الى فرق (فريق) ، وبيت البدوى له حرمه خاصة ، فإذا لجأ إليه لاجئ أو استجار به أحد فإن من واجب صاحب البيت أن يحمى ويدافع عن هذا اللاجئ .

الأدوات الخاصة بالبيت عند بدو العاثر والغطغط :

إن البدوى يستخدم ما هو متاح له من خامات فى بيئته الطبيعية ، وتنحصر هذه الخامات فيما يستخرج من ماشيته ، ومن جمال " إبل " وبعير وأغنام وماعز ، فمن وبرها وشعرها وصوفها يصنع البيت والفراش والغطاء والملابس و " الخرج " وهو بمثابة الحقيبة الكبيرة لحمل الأدوات والملابس ... الخ ، ومن جلودها تصنع الأدوات الخاصة بالحليب والزبد .... الخ ، فالبدوى يحمل معه الاتى :

أدوات تصنع من الجلود بعد دبغها وهى :

- الراويـــة : وهى تصنع من جلد الجمل بعد دبغه * وتستعمل للماء فعند الرحيل يملأ فى حدود خمس " راوية " ، أو حسب العدد لسقاية القافلة ، وتوضع على جانبى الجمل أثناء السير .
- القربـــة : وهى من جلد ماعز أو خروف وتدبغ ، وتستعمل للماء أيضا .

* تدبغ الجلود بقشر الرمان (كرف) أو بنبات (الارطه) وهو نبات ورقى ، أو كرف الطلح الاحمر

– المغبـــة : وهى لترويب اللبن * ، وهى أيضا من الجلد المدبوغ .

– الصميـل : بعد ترويب اللبن يوضع " بالصميل " ، وهى من جلد ظبى أو (حنجل) أى ولد العنز ، أو تيس ، ثم تدبغ وتربط فتحات الأرجل وتترك فتحة الرقبة للاستعمال .

– العيبـة : وهى تستخدم للتمر ، وفى بعض الأحيان توضع بها بعض الحاجات الخاصة بالمرأة ، وهى من جلد البعير أو " الحاشى " أى الجمل الصغير المدبوغ ، كما يستخدم فى تخزين التمر بالنسبة للبدو .

– الكرش : يؤخذ كرش الخروف ويغسل ثم يدبغ ، ويخاط بخيط " يكرت " ويعمل به فتحة من أعلى ، ويوضع بعض التمر على نار ، ويسوى حتى يصير " كالدبس " ، ويوضع فى الكرش فيدبغه دباغة خاصة تعطية لونا أسود وتعمل على منع تسرب الزبد منه ، فهو يحفظ الزبد ، ويسمى أحيانا " الكرشة " لدى بدو الغطغط .

– العكـة : وتسمى العكة لدى بدو الغطغط والحائر ، وأحيانا تسمى " النحو " لدى بدو الحائر ، وهى بمثابة خزان للسمن ، وهى من جلد الغنم بعد دبغه ، ويدبغ بدو الغطغط بنبات الكرمع بعد غليه ونقع الجلد فيه ، أما بدو الحائر فيدبغون بقشر الرمان " كرف الرمان " أو بنات الأرطه ، أو " كرف الطلح ، ؛ كما سبق الإشارة ، أو تدبغ بطريقة الكرش كى لايتسرب منها السمن .

الأدوات التى تصنع من الجلد المفرود :

– النطع : وهو من جلد ناعم مدبوغ بدون شعر ، ويستخدم للزينة ، يزين به الجمّل ثم يوضع كزينة فى البيت .

– الجاعد : وهو من جلد مدبوغ وناعم وعليه شعر ، ويوضع فوق " الشداد" على ظهر الجمال للزينة بالنسبة لجمل الرجل ، أو يستعمل كفراش فردى ، ويفضل فيه الألوان الزاهية الأبيض أو الأحمر " الأشقر " أو " الأبرق " ، والنطع والجاعد معروفة لدى بدو الحائر .

---

* توضع كمية لبن صغيرة من اللبن السابق حلبه بايام كخميرة فى المغبة ثم يحلب عليه اللبن الحديث الحلب لترويبه استعداد لعملية فصل الزبد عن باقى اللبن .

الأدوات التى تصنع من الشعر والصوف والوبر بعد غزلها ونسجها .

يعزل كل لون على حدة ، ويعتبر اللون الأبيض من الألوان المختارة خاصة وأنه يمكن أن يصبغ ويحول إلى اللون المطلوب ، والبدوية تغزل فى كل مكان كنوع من التسلية المنتجة ، ومن هذا الغزل تنسج البدوية الأدوات الآتية :

- الخرج : وتهتم المرأة به ، فتزينه بألوان زاهية وتطرزه بأشكال جميلة ، وتحاول أن تبدع فى الخيوط المتدلية منه (السفائق) ، و (العثاكل) ، وهو من وبر الجمل ، ويستخدم كوعائين كبيرين يتدليان فوق جانبى الجمل متوازنين ، لحمل أدوات الصيد بالنسبة للرجل ، والمؤن للجميع .... الخ .
- الساحة : وجمعها (السياح) وهى تستخدم كفراش ، أو بساط ، يغزل من صوف الغنم وتحاول المرأة أن تبدع فى نقوشه وزينته خاصة وأن هذا (السياح) يزين بها بيت البدوى وأروقته والمجالس التى يستقبل فيها الزوار .
- العدول : ويستخدمه بدو الحائر " ككيس كبير من الوبر " فهو أكبر من الخرج ، وتضع المرأة ملابسها وأدواتها وحاجات البيت به .
- المعانيز : وهى أكبر من الخرج وأصغر من العدول ويوضع به الأشياء الخاصة بالمرأة من حلى فضيه أو ما شابه ، ويوضع به الأشياء الصغيرة .
- البرجد ، والزولية ، والرومية : وهى تشبه السياح ولكنها تختلف فى طريقة نقوشها ، فالرومية مخرمة ومنقوشة وتصنعها من وبر الجمل الأبيض والأحمر .

الملابس :

ملابس النساء وزينتها :

إن النساء بمجتمعات الدراسة يملن إلى كثرة التطريز لملابسهن ولبس الألوان الزاهية ، خاصة إذا كانت إمكانياتهن تسمح بذلك ، ولقد اهتمت المرأة النجدية بزينتها ومظهرها ، مستخدمة فى تحقيق ذلك مواد مختلفة ومتعددة ، وهذه المواد فى الغالب من مصادر طبيعية متوفرة فى البيئة ، يعود استخدامها إلى عهود قديمة ، ومن المواد التى استخدمتها المرأة النجدية هو (البقم) وهو نبات له أوراق ، وساقه حمراء ، ويستخدم فى الصبغة بعد طبخه . وهناك (الحناء) وهى أوراق شجر الحنة ، وتجفف أوراقها وتسحق وتستعمل للتزين وصبغ الشعر وتقوية جلد الرأس - وهناك (الديرم) ، وهو لحاء شجرة الجوز ، وكانت النساء تصبغ

به شفاههن . وهناك الزعفران ، " والظفر" ويستخدم للتطيب . وإستخدمت المرأة الكحل لتجميل العين وكعلاج ، وهناك المشاط : وهو عبارة عن خليط مكون من (السدر) أو (الخبط) و (ثمر الورد) المجفف (أى الورد نفسه كما يسميه أهل نجد) ، وقد يستخدم كذلك (الجاونى)، وقليل من (السمك) و (الزعفران) لتحسين الرائحة . وقد يضاف إليه مواد أخرى مثل (الريحان) و (الظفر) ، و (المحلب) ، و(الصندل) . تبعا للرغبة أو الطريقة المتبعة عند أهل المنطقة .

طريقة إعداده :

تدق المواد الجافة وتخلط مع بقية المكونات ثم تنشر حتى تجف ثم تطحن باستخدام رحى مخصص لذلك ، ويحفظ الخليط بعد طحنه فى إناء معدنى أو خشبى مخصص محكم الغطاء حتى يحتفظ برائحته ، ويعتبر الورد والمشاط من مواد الزينة لتجميل الشعر وإكسابه رائحة طيبة [1] .

الملابس بمجتمع القصب :

إن مجتمع القصب مجتمع فقير وموارده الاقتصادية شحيحة ، يزيد من شحها ما أصابهم من غزوات البدو عليهم وسلب ما لديهم من موارد بسيطة ، هذا بالإضافة لما كانوا يدفعونه من " الإخاوة " أو الإتاوة للقبيلة التى كانت تقوم بحمايتهم ، أو ما كانت تجمع منهم الإمارة والأمير من نسب معينة على المزروعات والتى يحددها (الخراص) من قبل الأمير .....، كل ذلك جعل أهل القصب يعيشون حياة الكفاف .

كما أن لثقافة المجتمع وديانته انعكاساته ، ولذلك فملابس أهل القصب كانت بسيطة جدا وهى ساترة للجسد أساسا ، وليس فيها نوع من الترف إلا عند الفئات القليلة بالبلدة مثل الشيخ أو الأمير ثم المطوع ، وهى كالآتى :

ملابس الرجال :

للرجل لبس واحد فقط للعمل والحياة اليومية ، ويطلق عليه (الثوب) أو (المقطع) وأثناء العمل يقوم الرجل برفعه ويحزم به وسطه حتى يتحرك بحرية ، نظرا لأن أكمامه قصيرة وهو

---

(١) ليلى صالح البسام : التراث التقليدى لملابس النساء فى نجد ، مركز التراث الشعبى دول الخليج ، ١٩٨٥ م ص . ص ١٣٠ - ١٣١ .

أقصر أيضا من ثوب المناسبات ، وكان يصنع من قماش خام أو بفته ، ويشترى من الأسواق القريبة ، وتقوم النساء بخياطته على اليد .

وللمناسبات عند الرجال ثوب آخر ، من قماش البفتة أيضا أو (الدوبلين) والفرق بينه وبين الثوب العادى أن هذا الثوب أطول ، وأكمامه واسعة جدا وعلى هيئة مثلث ، ويسمى هذا الكم " ردنا " وبالتالى يسمى الثوب (المرودن) . وهو لايلبس إلا فى المناسبات مثل الزواج أو الأعياد، وأثناء تأدية " العرضة " * .

هذا بالإضافة إلى (العباءة) وهى تلبس أيضا فى المناسبات ، وفى أيام البرد القارس وهى من صوف خشن يجلب من الأحساء ، ويقوم بعملها حرفى يسمى (خبان) ويقال (يخابنها)، أى يخيطها ، وهو مقيم فى شقراء ، ويستعملها عامة الناس ، أما الصفوة فيستعملون بدلا منها (المشلح) فلا يلبسه إلا الأغنياء بالقصب لأنه من صوف ناعم وجيد وغالى الثمن ، ويلبس الرجال أيضا طاقية وغترة ، والقليل منهم من كان يقتنى (العقال) وهو دائرى الشكل ، ويوضع فوق (الشال) أو فوق الغترة ، وجدير بالذكر أن الرجل لم يكن يرتدى سوى تلك الملابس البسيطة فقط ، ثم يلبس الرجل فى قدمية (النعال) وهو لفصل الصيف ويشبه الشبشب ، أو " الزرابيل " وتلبس فى الشتاء لأنها تكسو القدم ، ويقوم بصنعها الرجل بنفسه من الجلود والخامات المتوفرة بالبيئة .

ملابس النساء بالقصب :

ترتدى النساء فى الحياة العادية " المقطع " وهو من قماش يسمى (المردوف) أو (الحشيش) أو (الشالكى) ، وهو ثوب متسع وتقوم بعمله المرأة بنفسها وعلى يديها بالإبرة ، وللمناسبات أو الخروج تعمل المرأة (الثوب) ويلبس فوق المقطع ، وأكمامه واسعة تصل إلى ركبة المرأة وفى نهاية الكم يعمل له نوع من الكلفة لتجمله ، وله ذيل طويل طوله حوالى ذراع بعد القدم، ويطرز أحيانا بقماش حرير ، وإذا استعمل قماش حرير فى عمله يسمى (جز) أى حرير طبيعى - وفى هذه الحالة لايرتديه سوى الأغنياء ، وفى الأعياد والمناسبات فقط ، وهناك قماش يسمى "روز " وهو يشبه " الجرسيه " حاليا وكان يسمى " وارد امريكا " وترتديه العروس من الأغنياء فقط ، وكان يشترى من أسواق الرياض ، وكانت المرأة تغطى رأسها بنوعين من الأغطية :

---

* العرضة : نوع من أنواع الرقص الخاصة بالمنطقة وسياتى الحديث عنها ، فى الجزء الخاص بالرقصات الشعبية .

- " شيلة " وتسمى (الكريشة) وهى من قماش كاتم أى (تستر) وهى للاستعمال العادى اليومى ، وتغطى المرأة وجهها بها عند اللزوم .
- " شيلة " وتسمى (بلبول) وهى شفافة أو كما يقولون عليها " رهيفة أو مشخلله " وهى لاتخفى ماتحتها أى (لاتستر) . وكانت للمناسبات والأعياد .
- عباءة : وترتديها المرأة عند الخروج ، وكان فى القصب إمراة تقوم بصناعة العباءات أى "تخابنها " للنساء ، ثم بعد ذلك أصبحت النساء ترتدى " مشلح " ، وهو منذ أربعون سنة تقريبا .

أدوات الزينة بالقصب :

- الفردة : وكانت توضع فى الأنف (خشم) عند المرأة ، ويقتنيها الصفوة فقط لأنها من الذهب .
- المريبيعة والمرقال : وهم أيضا من الذهب ، ولذلك ينطبق عليهم ما ينطبق على الفردة .
- البربوش : وهو من الفضة .
- القلائد : من الخرز وألوان الخرز متعددة منها الأحمر والأصفر والأزرق .
- الخصور : وفصوصها تسمى " الملابن " وحجمها كبير .
- المفاتيل : وهى من الفضة وكانت ترتديه المرأة دوما ولاتخلعه من يديها .
- المرافيد : من الفضة ولاترتدى إلا فى المناسبات فقط .
- الشقائق : وكانت تستعملها البنات الصغار حتى سن العاشرة ، وهى من الفضة وتوضع فى أطراف جدائل الشعر ، وكانت تستخدم فى الأعياد فقط لتعطى البهجة للفتيات .

ملابس النساء بمجتمعى بدو الحائر والغطغط :

لايختلف لبس بدو الغطغط عن لباس بدو الحائر حيث الحياة البدوية المشتركة والثقافة الواحدة .

فالمرأة فى المجتمعين ترتدى مثلها مثل المرأة البدوية ، ثوبا محتشما يغطى جسدها كله ، ويتفق مع تعاليم الشريعة الاسلامية ، فلا يشف ولا يصف جسدها ، ويكون متسعاكى يساعدها

على أداء المهام التى تقوم بها فى المجتمع من إحضار المياه (تروى) وتحطيب ورعى وإعداد الطعام ..... الخ .

وتحاول المرأة فى شبابها أن تنتقى الألوان الزاهية كالأحمر ، أما كبار السن فتميل إلى الألوان القاتمة .

وتحرص المرأة فى هذه المجتمعات على ارتداء البرقع حتى وسط النساء ولا تخلعه إلا فى وسط أسرتها الصغيرة فقط وفى خدرها . والبرقع عبارة عن قطعة قماش مستطيلة الشكل سوداء ٣٥ × ٢٠ سم من نوع قطنى يسمح للمرأة بالتنفس بطريقة طبيعية ، وهذا المستطيل يثنى بحيث تكون ناحية أقصر من ناحية ، ويربط هذا المستطيل المثنى فى شريط بعرض ٤ سم وطوله حوالى ٥٠ سم ، ويربط بشريط رفيع فى منتصف الأنف ، وعند اللبس يلف الشريط حول الجبهة ، ويتدلى منه القماش المستطيل ومثبت من عند الأنف بهذا العلاق الرفيع الخيطى ، ويمسك أيضا من عند نهاية العينين بحيث يختفى الوجه ماعدا العينين فقط ، ثم تغطى المرأة رأسها ، وهذا البرقع يعطى المرأة الحرية فى التحرك داخل وخارج بيتها وهى مغطاة الوجه فتستطيع القيام بكل الأدوار المطلوبة منها .

وقد لوحظ أن النساء لايخلعن هذا البرقع حتى فى مجالس النساء ، مما يعطى حرية إلى حد ما للرجال في الحركة فى البيت والتحدث مع النساء * .

ولما كانت المرأة هى التى تقوم بخياطة ملابس الرجال ، فهى أيضا التى تقوم بخياطة ملابسها ، وتطريزها إذا وجدت الإمكانيات ، كما أنها كانت تطرز ملابس الزوج بقماش حريرى، ومن ملابس النساء فى مجتمعى الدراسة المذكورين :

- ساحلى : وهو ثوب للمرأة يسدل باستقامة على الجسم – سادة – وهو من قماش أبيض عادى ثم يصبغ بقشر (الرمان) ليصبح لونه أحمر – خاص بالغطغط .

---

* من العيب خلع البرقع أمام عدد ولو قليل من النساء ، وتستطيع البدوية أن تأكل أو تشرب وهى مبرقعة ، فتجدها تقوم بهذه العملية بسهولة ويسر ويساعدها على ذلك إستخدامها اليد اليمنى فقط فى عملية الطعام ، فهى تأكل بيدها اليمنى ، وترفع طرف البرقع بيدها اليسرى بخفة شديدة تكاد لاتحلظ فمها اثناء الطعام – ومن الطريف أن عند استخدام الباحثة للبرقع ومحاولتها محاكاتهم لم تستطيع تناول الطعام أو الشراب وهى مبرقعة ، فهذه العملية تحتاج إلى مران طويل .

- المجذع : وهو ثوب من قماش الحرير الأسود أو الأحمر ، يشترى من الأسواق القريبة وأحيانا تقوم المرأة بعمله بنفسها ويتميز هذا الثوب بالاتساع الشديد والأكمام الواسعة مثل العباءة ، وتوضع عليه زينات باللون الأحمر والأخضر - خاص بالغطغط .
- المدرعة : وتسمى حاليا (الدراعة) وهى مطرزة وتستخدم للزفاف ، وتلبس عند الزفاف (البشت) أو (المشلح) أو (الحاطى) ، أو " المجزع " - خاصة بالمجتمعين .
- الصمادة : وتقوم بعملها المرأة من قطعة قماش مستطيلة وتحشى أو تعبأ بغزل غنم ناعم ، حتى تصبح كاسطوانة ثم تلحم طرفيها حتى تصير كطوق أو دائرة. ثم تزين بزخارف ، وتضعها المرأة على رأسها كزينة فى بعض المناسبات ، وهى خاصة بنساء الغطغط .

وهناك (الوقاة) التى تصنعها المرأة ببادية الحائر ، وهى تشبه (الصمادة) إلا أنها ليست مزينة ، وتستخدمها المرأة فوق رأسها عند حمل الماء .

- اللثامة أو اللطمة : وهى كالبرقع فى الوقت الحالى ، ولكن تختلف فى أنها قطعة واحدة من القماش وتثنى وتثبت عند الأذنين بعلاقتين فى الأذن ، وكانت تستخدم قديما ثم تحولت حاليا إلى " البرقع " فزاد عليها شريط مستطيل يربط على الجبهة من القماش بعرض ٤ سم تقريبا ومتصل باللثامة بشريط رفيع فوق الأنف وشريطين رفيعين عند الأذن وهى خاصة لدى البدويات. ، وتستعمل اللثامة حاليا البدويات كبيرات السن بالغطغط .

وأشهر أدوات الزينة لدى بدو الحائر هى : المعاضد وهى تلبس بالأزرع مثل - " الغوايش " ، و " الزمام " ويوضع فى الأنف ، والفردة وتوضع فى الأنف ولها سلسلة ومشبك بالشعر .

ملابس الرجال بالغطغط :

تقوم النساء بحياكة هذه الملابس ، والنساء تختلف من حيث المهارة فى القيام بهذه الصناعات ، وقد وجدت الباحثة أن هناك نساء كبيرات فى السن تتباهى الآن وهى تحكى عن الصناعات التى تقوم بها من ملابس للرجال والنساء والدباغة وصناعة الادوات الجلدية ، وسنعرض بايجاز لأهم هذه الملابس ، مع ملاحظة أن البدوى كان يقتنى جلبابا واحدا فى الحياة العادية ، وجلبابا للمناسبات ، بالاضافة إلى أى شئ للتدفئة فى الشتاء .

المدرع أو " المذرع " : وهو مثل الجلباب ، من قماش " البفته " وكان يشترى من مكة .

المذلق أو " الساحلى " : ويسمى الساحلى لأنه من قماش يسمى " الساحلى " ويطلق عليه " المرودن " فى المجتمعات الاخرى ، ويشترى هذا القماش من الأحساء أو القرى القريبة . ، وهو ثوب يتميز بأكمام ضيقة من عند الأكتاف ثم ينزل بإتساع شديد فى نهايته والأكمام طويلة قد تصل إلى الأرض عند نزول الزراع ، وهو يلبس فى المناسبات مثل الزواج والأعياد ومعه " الجوخ " ، وهو من الثياب التى يقتنيها الشيخ ، أو كبار القوم عامة .

الجبة أو " الجوخ " : وتسمى الآن " الكوت " وهى من قماش صوف سمي؛ ويشترى من " مكه " ، وكانت تستخدم فى الأعياد والمناسبات كنوع من الأبهة .

البشت أو " المشلح " : وهو من قماش أخف من قماش الجبة (قماش عادى) وله حرف مطرز يسمى " زرى " .

هذا بالاضافة " للعمامة " على الرأس وهى مثل " الشماغ " الأحمر حاليا ، أما " الشيخ " فكان يلبس على رأسه ما يسمى " معم " وهو من قماش مثل الشاش بيضاء ويلفها " الشيخ " على رأسه " كالعمامة فى مصر " .

أما الرجل العادى فالعمامة فقط ، وكان الرجال يضفرون شعورهم على هيئة جديلتين .

ملابس الرجال بالحائر :

وكانت الملابس لدى بدو الحائر لاتختلف كثيرا عن ملابس أهل الغطغط ، إلا أن الرجل كان يلبس عند بدو الحائر فى الشتاء مايسمى (الحياكة) وهى مثل العباءة وتصنع من صوف الإبل أو الغنم ، وكانت تقوم بعملها المرأة ، كما كان يلبس فى الشتاء أيضا مايسمى " فروة " وهى عبارة عن فروة حيوان مثل الأرنب ، وكانت غالية الثمن ، لأنها تدبغ بطريقة خاصة ثم تخاط بحيث يكون الفراء جهة جسم الإنسان وتغطى بقماش من الخارج ، وكان هناك مايسمى " البيدى "وهو يشبه العباءة ومن صوف الإبل ولذلك يكون ثقيلا على الجسم .

وهم يعتمدون على أنفسهم فى توفير معظم حاجياتهم ، حيث أنهم كانوا فى حالة ترحال مستمر طوال العام – فكما يقول المثل " البدوى وراء ذيل بعيره " – غالبا بعيدين عن الأسواق ، ولذلك نجد أن الصبى يتعلم عن والده كما تتعلم الفتاة عن أمها ، وسنورد هنا بعض الأعمال التى كان يقوم بها البدوى والبدوية :

الأحذية : وكان الرجل يصنعه لنفسه ، ويسمى " الحذا " وأسفله أو نعله من جلد البعير وهى عبارة عن جلد سميك ليتحمل ويحمى القدم ويقوم بعمل جزء آخر على وجه القدم من جلد أضعف من جلد النعل ، وهناك مكان لدخول أصبع القدم الكبير أى جلد يفصل بين هذا الأصبع وباقى الأصابع ، ويشبه الشبشب المسمى " بالزنوبة " وهناك نوع آخر من الأحذية يسمى " الزربول " أو " النعال " وهو من صوف الغنم وهو قماش مثل قماش الخيمة ويغطى القدم ويتم إعداده على شكل وحجم قدم الرجل ، ويستخدم فى الشتاء لتدفئة القدم ، ويغطى القدم كلها مثل (البوت) .

الفصل الثانى

- عادات دورة الحياة بمجتمعات الدراسة

  - : الحمل .
  - : الميلاد .
  - : الفطام .
  - : الختان .
  - : التعليم وختم القرآن .
  - : التنشئة الاجتماعية .
  - : الزواج .
  - : الوفاه .

عادات الطعام وآدابه .

الاحتفال بالأعياد والمناسبات .

• الحمل :

إن فى مجتمعات الدراسة الثلاثة يعتبر حمل الزوجة من الأمور السعيدة التى ينتظرها الجميع ، وبرغم ذلك فعندما تشعر الزوجة بحملها ، لاتعلن ذلك لأحد بل تخفيه حتى عن أقرب الناس لها ، ففى مجتمع الحائر لا تبوح الزوجة بحملها حتى لزوجها ، ويعتبر ذلك من الحياء المطلوب فى المرأة ، وحتى إذا أرادت أن تكشف عن حملها فهى لاتتكلم إلا بعد مرور ثلاثة أو أربعة أشهر على الأقل ، حتى لا تتهم بعدم التعقل ، أو عدم الحياء ، فكثيرا ما يبقى سر الحمل مجهولا حتى يكشفه تضخم البطن أو الوحم وهو ما يصاحب الحمل كالقئ مثلا .

والحامل لاتعامل معاملة خاصة من قبل أهلها أو زوجها بل تقوم بالأعمال المطلوبة منها بالكامل دون تذمر ولا تكاسل مهما كان العمل شاقا ، فبالنسبة لمجتمع الحائر وهو مجتمع بدوى كانت الأعمال التى تقوم بها المرأة شاقة ، وذكرت إحدى الإخباريات للباحثة أنها كانت " تروى " أى تجلب الماء بالقدر على رأسها من البئر ، و" تحطب " أى تجمع الحطب وتقوم بكل الأعمال المطلوبة منها حتى يوم أن يفاجؤها المخاض .

كما أن الحامل فى جميع مجتمعات الدراسة لاتتبع نظاما معينا من حيث المأكل أو المشرب طوال فترة الحمل ، فهى تأكل مثلها مثل الجميع .

---

* ان فى مجتمعات الدراسة الثلاثة كان الأنجاب الكثير والعزوة مطلبا هاما لهم وإن اختلف الهدف من وراء هذه الكثرة العددية ، ففى مجتمع القصب وهو مجتمع زراعى فقير ، يعتمد على الزراعة وإنتاج الملح ، والعمل اليدوى كل هذه المصادر الاقتصادية الشحيحة تحتاج الى أيدى عاملة سواء فى الزراعة " وخاصة أنها تعتمد على الجهد العضلى " ، فالميكنة تكاد تكون معدومة ، فالذكور يمثلون دخلاً وسندا للآباء عند الكبر ، أما فى مجتمع حائر الحاضرة ، فالأمر لايختلف كثيرا عن القصب ، فهو مجتمع زراعى أيضا ، أما حائر البدو والغطغط ، فتزويد القبيلة بأعداد من الذكور من شأنه ان يعلى من مكانة القبيلة أمام القبائل الأخرى ، كما أنهم عون على هذه الطبيعة الصعبة ، وفى زيادتهم زيادة لعدد المحاربين وما يتبع ذلك من النمو الاقتصادى عن طريق حماية ممتلكات القبيلة وزيادتها بالغزو .

كيفية التصرف مع المرأة العقيم (العاقر) :

فى مجتمع القصب والحائر كانت تعالج حالات العقم . إما عن طريق " الفقرة " ، وهى ما تسمى " بكاسات الهواء فى مصر " ، حيث تقوم المرأة المعالجة بإشعال عود رفيع من الخشب وتدخله مشتعلا فى وعاء يشبه الكأس ثم تقلب هذا الكأس على بطن المرأة العقيم ، فيكون الكأس قد تخلخل ما بداخله من هواء نتيجة احتراق الهواء المحجوز داخل الكأس من أثر النار التى دخلت به . فيجذب جلد بطن المرأة المراد علاجها إلى داخل الكأس ويتجمع الدم فى المكان فتقوم المرأة المعالجة بفصده ، وهناك طريقة أخرى وهى تدليك رحم المرأة من الخارج بزيوت خاصة ، ثم تعطى المرأة التى تريد الإنجاب بعض الأعشاب لتأكلها أو تبتلعها .

أما فى مجتمع الحائر والغطغط كمجتمعات بدوية يتزوج الرجل لينجب الأولاد وخاصة الذكور ، فالكثرة العددية هى نوع من العزوة ومواجهة لهذه البيئة القاسية ، علاوة على أن القوة العددية يتبعها قوة حربية وبالتالى قوة اقتصادية ، ولذلك بعد الزواج ينتظر أهل الزوج والزوجة خبر الحمل بكل لهفة وشغف ، فالبدوى يفتخر بكثرة أبنائه الذكور ، وإذا لم يتم الحمل فى خلال عام أو عامين يبدأ أهل الزوجة فى محاولة علاج إبنتهم بطرق متعددة أهمها كما تقول الاخباريات كبيرات السن ، ان هناك عشبا بريا يشبه الشيح يجلب من البر ، يصحن هذا العشب ويذاب فى جزء قليل من اللبن وتشربه المرأة التى تريد الإجاب بعد استيقاظها من النوم صباحا ولمدة أيام معينة ، أو تبتلعه كسفوف مع بعض الماء ، أو يقرأ أحد الرجال الحافظين لشئ من القرآن بعض الآيات القرآنية على قطعة عجين ثم تأكلها المرأة التى تريد الأنجاب ، وفى حالة حمل المرأة بعد ذلك توزع الصدقات خاصة من جانب أهلها كاحتفال بهذه المناسبة ، لأن حمل الزوجة ضمان لبقائها فى منزل الزوجية ومع زوجها " الولود الودود " وهى من الصفات الهامة للزوجة .

الوحم :

وهى كلمة تطلق على الحالة الصحية التى تكون فيها المرأة فى بداية حملها ، وهى تختلف من مجتمع لآخر . وفى مجتمع القصب كانت الحامل تشعر بميل نحو أكل أشياء غريبة مثل أكل الطين ، وهى عادة موجودة عامة فى المجتمعات الزراعية * ، أو أكل " العصاف " وهو عبارة عن

---

* نفس هذه العادة موجودة فى الريف المصرى ، حيث تأكل المرأة الحامل الطين الموجود فى الحبوب وهى تنظفها

زرع يشبه الشعير ، أما فى المجتمعات البدوية فتشعر المرأة بميل نحو أكل بعض النباتات والأعشاب مثل " ابى الحصين " ، وهو عبارة عن نبات ينبت بجانب النخيل ، ويكون أخضر ثم يحمر ثم يؤكل .

• **الولادة :**

الولادة والتسمية فى مجتمع القصب :

إن المرأة بالقصب تظل تعمل فى مزرعتها إلى أن يفاجئها المخاض ، فتستدعى إحدى قريباتها فيقمن بجمع كمية من الرمال لتضعها المرأة تحتها كى لايتسخ الفراش أثناء عملية الولادة ، وتأخذ المرأة فى يدها حبلا قويا يكون قد علق فى سقف الحجرة لتشده شدا قويا فيساعدها على الولادة ، وبدون صوت وبدون أن يشعر أحد حتى أقرب الناس ، وفى سرية تامة تتم الولادة ، وقد لوحظ على هذا المجتمع التستر فى هذه الأمور ، وقد يرجع ذلك إلى الخوف من كلام الناس واتهام البعض بعدم الحياء وقد يكون راجعا للخوف من الحسد أو قد يكون السبب أن هذا المجتمع كان فقيرا جدا وكانت موارده شحيحة ، ولذلك كان يستتر البعض كى يسلك فى معيشته بقدر ما هو متاح له دون أن ينظر إليه نظرة دونية . كما أن هناك أمورا تعتبر من خصوصيات الأسرة التى يجب ألا تخرج بعيدا عن المحيط الداخلى للبيت .

وفى اليوم السابع أو" السماوة " ، إذا كان متوفرا للأب ذبح " التميمة " أى ذبح العقيقة أو العتيقة ، فيذبح للفتاة شاة والذكر شاتين وإذا لم يكن فى مقدرته فتظل دينا فى رقبته إلى أن يأتيه الله بالرزق فيؤديها .

الولادة بالمجتمعات البدوية :

تقاليد الولادة بجميع مجتمعات الدراسة بسيطة للغاية خاصة البدوية ، ولاتحتاج إلى متخصصين ، فبمجتمع الحائر كانت المرأة إذا أحست بآلام الولادة تطلب إحدى قريباتها خاصة الكبار فى السن ، فتقوم هذه القريبة بتحضير كمية من الرمال لتجلس المرأة أثناء وضعها على هذه الرمال وتساعدها قريباتها على إتمام الولادة بنفسها ، وبعد نزول المولود تقوم إحدى السيدات بربط السرة وقطعها بأى سكين حاد . وكما أفادت الأخبارية المسنة أن المشى والحركة بالنسبة للحامل قديما كانت تسهل لها الولادة ، وتساعدها على عدم حدوث مغص بعد الولادة ، فاذا كان المولود ذكرا أظهرت النساء الفرحة والابتهاج وأطلقن بعض التهنئات الخاصة مثل " ابشروا جالكم ولد " و " ابعدى ابعدى " اى ابشرى ابشرى كما يقال " يجعله يتم " ...... الخ ، وإذا كانت المولودة فتاة باركن بسلامة الواضعة ، وقيامها بالسلامة وخلاصها من الأوجاع .

وتقدم للأم عقب الولادة مباشرة أكلة تسمى " العصيدة " وهى عبارة عن دقيق قمح ويسمى " طحين " مع تمر معجون مع حبة البركة وتسمى " السويدا أو السمرا" ، كما يقدم لها مشروب مكون من " الكمون " المغلى " و " المر " كى يقضى على أى آلام أو مغص حادث لها ، ويساعد على تطهير أحشاء النفساء وإزالة الغازات بالمعدة ، أو يغلى الكمون مع حبة ليمون أيضا لإزالة المغص .

وبعد ذلك تقوم الأم بربط بطنها " بشيلة " وهى قماش " خرق " على هيئة شريط طويل ، مع وضع قوائم صلبة على البطن ويربط فوقها القماش وتسمى " حزو " مثل حذاء قديم أن وجد أو أجزاء مستطيلة من ليف النخل كقواطع لتساعد على رجوع بطن المرأة إلى حالتها الأولى قبل الحمل ، ويظل الرباط لمدة ٢٠ يوما تقريبا .

الولادة بمجتمع الغطغط :

أذا جاء وقت الولادة فليس من الضرورى وجود القابلة فالبدوية يمكن أن تلد بمساعدة قريباتها - كما سبق الحديث - وإذا كانت الظروف لاتسمح بوجود أحد (قد تكون البدوية هى وزوجها وأولادها فقط فى طريق رحيلهم بعيدا عن القافلة وليس معهم من يساعدها وأتت آلام الولادة ، فيمكنها أن تقوم هى وحدها بكل هذه العملية ، وتستطيع ربط السرة للمولود بنفسها ثم تحمل طفلها على ظهرها وتركب وتسير مع السائرين ، أما أذا كانت فى ديرتها ففى الغالب تتم الولادة فى بيت الزوجة خاصة إذا كانت الولادة الأولى فيوضع لها الرمل لتجلس عليه وتمسك بحبل يعلق فى البيت الشعر ليساعدها على الولادة ، وبعد أن ينزل المولود ، يقطع الحبل السرى بعد أن يقاس مقدار ثلاثة أو أربعة أصابع ويربط .

وعند بدو الحائر والغطغط قد يقدم الزوج هدية للزوجة الوالدة بعد أن تتم أربعين يوما وتسمى " طلاعة " ، وتكون الهدية على سبيل المثال " قعود " أى ابن الناقة مثلا أو ماشابه ذلك .

الولادة العسرة :

أذا تعسرت الولادة فى مجتمع القصب فيقوم الأهل بجلب " كتاب الخلاص " وهو عبارة عن ماء يقراء عليها " المطوع " بعض الآيات لتسهيل عملية الولادة بإذن الله .

تنظيف الأم والمولود :

بعد الولادة تغتسل الأم وفى بعض المجتمعات البدوية ومنها بدو الحائر والغطغط تغتسل المرأة بعد الولادة ببول ناقة اعتقادا منهم أنه يطهر المرأة ، ويسمى بالغطغط " وزر " الناقة ، أو

ببول شاه أما المولود فينظفف بعد ولادته ويمهد * ، ثم يحضر روث الماشية أو " دمن " أى بعر الابل " ويدق ثم يوضع تحت مقعدة الطفل حتى تمتص بوله أو برازه ثم يمهد " بخرقة " وحبل من شعر إبل أو غنم ويربط حول الطفل من أكتافه حتى قدميه .

حمى النفاس :

وهى تسمى " التسمم " بمجتمعات الدراسة ، وتعالج المرأة بوضع بعض الأعشاب على جمرات فى مبخرة كبيرة وتقف المرأة الوالدة على البخار المتصاعد حتى تصبح غير قادرة على احتمال الحرارة الصادرة من المبخرة وتتكرر العمليةكل يوم لمدة أسبوع ، ويعتقد أن المرأة الوالدة إذا شمت روائح عطرية أو ماشابه ذلك تسبب ذلك فى " شمها " ولذلك تقوم كل يوم بشرب " المره " بعد إذابتها فى الماء أو القهوة لوقايتها .

التصرف فى المشيمة :

كان يطلق لفظ (الخلاص) - فى مجتمع القصب - على المشيمة وكانوا يتخلصون منها بالبحث عن طريق متوار بعيد عن الناس ولايرتاده أحد كمزرعة مثلا ، ثم يحفرون حفره بعمق ٦٠ سنتميترا تقريبا ويدفنونها ، ويطلق على هذه العملية بالقصب " يقبرونها " .

وبالنسبة لمجتمع الحائر والغطغط ، فتدفن أيضا على عمق لكيلا يأكلها أى حيوان فى الطريق وتتم العملية بطريقة متوارية لأنهم يعتبرون أن كل ما يتعلق بأمور المرأة من الأشياء التى من العيب أن يطلع عليها أحد .

حمل الطفل :

يحمل الطفل عادة على ظهر المرأة البدوية كى تستطيع التحرك بسهولة ، وفى مجتمع الحائر هناك " الميزب " وهى عبارة عن قائمين من الخشب بينهم جلد ، وهو يصنع من الخامات المتوفرة فى البيئة سواء أكان الجلد ، جلد ماعز أو ماشابه ذلك والقوائم من جزوع الأشجار ، أما بالنسبة لمجتمع القصب فيحمل الطفل فيما يسمى " مهدونة " ، أو " مهادنه " ، وهى أيضا تصنع من الخامات البسيطة الموجودة فى البيئة لتسهل حمل الطفل .

---

* لقد شاهدت الباحثة طفلا لم يمضى على ولادته ٧ أيام وقد أخذت الأم فى ربطه " يمهد " بقطعة قماش طويلة حوالى ثلاثة أمتار وعرضها حوالى خمسه سنتيمترات ثم ظلت تكتف فى المولود من اكتافه الى أن وصلت الى أخر اقدامه ، فأصبح كتلة واحدة ، ومما أثار الدهشة أن المولود قد توقف عن البكاء بعد هذا الربط الكثير .

طعام الوالدة :

أكد الإخباريون فى جميع مجتمعات الدراسة أن المرأة بعد الولادة مباشرة تقوم وتباشر عملها وليس لها طعام خاص بها ، إلا بعض الأطعمة التى تقدم لها فى بعض الأحيان والتى تتميز بالسعرات الحرارية العالية ، وذلك لزيادة إدرار لبنها لإطعام المولود ولمساعدة الأم على استرجاع حالتها الصحية الطبيعية ، وهى " كالعصيدة " مثلا .

تسمية المولود :

ويطلق عليها فى مجتمعات الدراسة اسم " السماوة " ، وإطلاق الإسم فى الغالب يكون من حق الأب وحده فهو الذى يختار للمولود اسمه ، وفى مجتمع الحائر هناك أسماء تطلق على الذكر مثل ونيان ، مروت ، جرهم ، بداج ، معدى ، ودهام ، طاحوس ، جدى ، فنيس ، تمران ، وعلى الإناث الأسماء الآتية : نورة ، غالية ، سارة ، العنود ، عابطا ، شمه ، رفعة ، خزنه ، منيره ، دهنه ، وحيشه ، بنا (من البن) ، رمضه ، دمثه ، حصه ، هيا ، نوير ، مرزوقة ، غازيه ، نوف .... وتكحل المولودة فقط ولايكحل المولود الذكر فى الحائر .

السماوة :

فى مجتمعى الحائر والغطغط يحتفل بالمولود خاصة الذكر وعلى الأب ذبح " التميمة " وهى شاة للأنثى وشاتان للذكر ويدعى لها الأقارب والجيران ، ويرسل منها إلى الأقارب والجيران ، ويكون ذلك فى اليوم السابع أو الرابع عشر أو الواحد والعشرين ، وقد ذكرت إحدى الإخباريات أهمية هذه " التميمة " بقولها لابد من " الذبح " فى أى وقت من عمر المولود وإلا يحج هذا المولود عند الكبر إلا أذا كان قد تم ذبح " التميمة " فهى عادة مرتبطة بالشريعة الإسلامية وهى " العقيقة " ، وفى يوم السماوة يحضر الأهل للمباركة ، ويهنئ الجميع بسلامة الأم إذا كانت المولودة أنثى وإذا كان المولود ذكرا يدعون الجميع للمولود بالبقاء والصحة ، فتقال بعض الكلمات التى تعطى هذا المعنى مثل " الله يجعله يتم " أى يجعله الله يتم عمره ويكبر ، وبعد تسمية المولود ، إذا كان ذكرا يؤذن له فى أذنه ويسمى بالاسم المراد .

لبس المولود :

لم يكن هناك ملابس محددة فالطفل عند ولادته يلف بأى خرق أو قماش ، إن وجد ، ويمهد الطفل – هناك اعتقاد أن الطفل ينام ويتوقف عن البكاء إذا " مهد " ، وذلك بربط الطفل

بشريط طويل من عند الأكتاف ويلتف الشريط حول الأزرع ثم الوسط حتى ينزل على الفخدين فيربطهما معا ثم القدمين من أسفل يربطهما سويا ، والغرض من ذلك هو سهولة حمل الطفل دون أن يصبه أذى ، هذا بالإضافة إلى ضمان استقامة ساقى الطفل وذراعيه .

قميص الطفل او ثوبه :

وفى البادية تعد للطفل الملابس البسيطة بواسطة الأم أو الجدة وهو قميص من أى قماش ويخاط على اليد ، بحيث يكون هناك فتحة من الأمام حتى يسهل لبسه وخلعه ، أما الثوب فهو أكبر من القميص ويظل المولود يرتدية طوال الستة أشهر الأولى من عمره ، ويعمل للطفل "بالبادية " شيله على الرأس وهى تفصل مثل الطاقية ، وأحيانا مقطع أسود .

أما فى مجتمع القصب فملابس الطفل بسيطة أيضا وعلى قدر استطاعتهم والضرورى وهى لاتتعدى " البخنق " وهو غطاء للرأس والأذنين ، وله رباط امامى يربط حول عنق الطفل ، حتى لايسقط البخنق من فوق رأس الطفل ، وتقوم بعمله الأم أو الجدة فى أثناء الشهور الأخيرة من الحمل ، وفى بعض الأحيان يزين البخنق ببعض الأقمشة الملونة أو الخرز ... الخ . بالإضافة إلى جلباب بسيط الصنع مما هو متوفر من خامات لديهم .

الرضاعة :

تختلف مجتمعات الدراسة فى طريقة إرضاع الطفل فى أيامه الثلاثة الأولى وقبل نزول اللبن (الحليب) للأم :

ففى مجتمع القصب تعطى بعض الأمهات للمولود تمرة ليمتصها ثم تقوم بتلحيسه بعض من الزبد ، والغرض من ذلك هو إذا كانت التمرة سيتبعها حرارة بجوف الطفل فالزبدة تبرد ، فكما تقول الأم " شئ حامى وشئ يبرد " ولا تحاول أن ترضعه من أى أم أخرى كى لايشترك فى الرضاع مع بنت أخرى فيصبحان محرمين فى الزواج ، فهى تخشى أن يحدث مشاكل عند الكبر والزواج وهى لاتعطية أى تغذيه قبل أن يخرج مابداخل امعاء ه ثم تعطيه ثديها مباشرة ، وليس لديهم عادة إعطاء ماء وسكر ، كما فى بعض المجتمعات الأخرى .

أما مجتمع الحائر فالزواج عندهم من الأقارب " ابناء العمومة فالأقرب ، فالأقرب ، ولذلك فالأم أحيانا تعطى جاراتها الطفل لترضعه وتعرف من أرضعت ولدها ولايزوجون من رضعوا مع بعض ، وأذا لم تجد احدا أعطته أى حليب موجود حتى ينزل حليبها وترضعه من ثدييها مباشرة.

وفى بعض الأحيان عندما لاينزل للأم " حليب " فيصاد " ضب " ، ويسلخ جلده ويدبغ وتربط الفتحات ماعدا فتحة واحدة ليرضع منها الطفل فتكون بمثابة " البزازة " أى الرضاعة ، ويوضع له لبن ماشية بشرط غليه وفصل القشدة ، وهذا يتم فى مجتمع الغطغط .

هدهدة المولود :

تؤدى الأم أثناء هدهدة طفلها فى المهد حتى ينام ببعض الأغانى . وللمولود الذكر أغانى تختلف عن الأغانى التى تغنى للفتاة ، وهي عبارة عن دعوات لها بالتوفيق فى الكبر فى حياة زوجية سعيدة ، ونذكرهنا بعض الأغانى التى ذكرها بعض الأخبارين فى الحائر ....

أغانى وهدهدة الفتاة :

- يابنت يادختوه ياضبه منفوخه	لاجاك " لاجاسى " راعى الجوخـــه
	أخذى حشايش روحــــــــه (١)
- ياغزلان جـــــا ورود	لا تنطحهن يا مقـــــــرود (٢)
- منها النوفه بيضـــاء خدود	منها السميح يا العنــــود (٣)
- إلى يا بيت يا " فلانـــه "	يحب خشيم " فــــــلان "
يجيب المهره الصــــفراء	ويتالتها بالارســــــان
افرش شليلك يـــا " فلان	مشاخص نقد حمــــــران (٤)

أما الذكور فتهدهد بأغان تدل على الرجولة والشهامة والصفات التى تتمناها الأم فى وليدها عند الكبر ، وكلها صفات تتفق مع ماهو محبب بالبادية فتقول ....

---

(١) المعنى : يابنيتى إذا جاء اليك من يرتدى الجوخه ، وهى لبس الفارس فى الحرب ، وبالطبع هذا هو الرجل المفضل فى البادية (المحارب الشجاع) .

(٢) المعنى : ياغزلان جاءت ورود على الماء لاتستقبلهن بانذير الشؤم .

(٣) العنود هى قائده الغزلان .

(٤) المعنى : الذى يريدك يافلانه وتذكر أسم ابنتها ، عليه ان يحب خشم أى أنف " فلان " وتذكر أسم أخوها .. ويحضر الفرس الجميل مربوطه باللجام ، ثم احضر أو أفرش شليك الجزء الأسفل من الثوب « حجر الثوب » كنايه عن تعبئه شئ ما فى هذا الثوب ، مشاخص نقد حمران أى سيوضع فى حجرجلباب أخوها جنيهات ذهب حمراء

- يابومناخر فتحا ياقبله اللـه خشمك طويل الشنغبا .. والشاهد الله(١)
- ياهلا بك ياهـــــلا يادبدوب بشعـــــــــلا (٢)
- يا " فلان " ياحبيب أمـــه يجيب الهيل فى كـــــــــمه
ويقهوى به بنى عـــــــــمه (٣)
- أما " فلان " جعل كل فدى له يافداه من يشترى حصيره والأوتـــاد
- مشراه من السوق نجر ودالـه ومزرج يبغيه للربع الأضمـــــاد (٤)

• **الفطام :**

ترضع الأم طفلها عامين ، ولايفطم قبل ذلك إلا إذا حملت أمه فإنها تضطر لفطامه ، حتى لا يرضع الطفل لبن الحامل إعتقادا منهن انه يمرض الطفل ، وعند الفطام تأخذ الأم قطعه من " الصبره " وتضعها فى الماء ، ثم تمسح على ثديها بهذا " المر" قبل أن ترضع الطفل، فإذا طلب الطفل الثدى ، مكنته منه ، فيحس بطعم المرارة ، فيلفظه ويبكى ، وهكذا حتى يكره الثدى ، فتعطيه البديل مثل التمر أو اللبن .... الخ وأحيانا تحاول الأم إخافه الطفل من الثدى ، فتلف حوله شعر أسود ، أو شئ يخيف الطفل ، كى يبتعد عنه ويرضى بالبديل .

• **الختان :**

الختان سنة من سنن الإسلام ، ولذلك يلتزم مجتمعات الدراسة الثلاث بختان الأولاد الذكور – أما الأناث فلا تجرى لهن هذه العملية إطلاقا ، وتسمى " الطهارة " ويختن الطفل عامة – جميع مجتمعات الدراسة – بعد بلوغه السنة الثانية من عمره ، ويقوم بها " المطهر " أو "الختان " .

---

(١) المعنى : تصف الولد بانه نو أنف طويل أو نو شكل جميل وفيه رجوله وأن الله أعلم كما أنه هبه من عند الله .

(٢) المعنى : أهلا بك ، يادبدوب ، والدبدوب هى العلاقة غالية الثمن التى توضع برقبه الناقة لتميزها وتعطى صوتا أثناء السير ، بشعلا هى الناقة الشقراء .

(٣) المعنى : يابنى الحبيب تحضر الهيل وهو من لوازم القهوة العربى ، ويسقى ابناء عمومته أى عشيرته .. وهذا كنايه عن الرجولة والكرم ..

(٤) المعنى : أى ولدى يجعل الكل فداك حتى من لايستطيع سوى شراء الحصير والاوتاد أى أن الكل يفديه – وهنا نجد أن الأم تريد لأبنها الشجاعة وأن يكون محاربا لكن تطلب له الحياة بقلب الأم ، ثم تكمل باقى خصائصص الرجولة وهى شراء " النجر " وهو الذى يدق فيه البن ، والدلال ، والمزرج وهو الرمح .

وتتم عملية الختان فى مجتمع القصب فى الصباح الباكر ، بأن يحضر " الختان " ويسمى " المطهر " ويحضر " سحلة " وهى عبارة عن قدر كبير من النحاس " ، وفحم ومر وقشر الرمان ، ويدقهما " المطهر " حتى تصبح ناعمة ، ويكون معه جلدة غليظة مفتوحة من الوسط ، وتقلب " السحلة " على وجهها ويجلس عليها الولد ، ويمسكه والده فى العادة حتى لايتحرك وتجرى العملية بواسطة موس أو سكين حادة ، ثم يحاولون شغل الطفل فيقال له " شوف الغزيل فى السماء .... الخ " ، ثم يقوم " الخاتن " بقطع الجزء الزائد فى الطفل ، ثم يوضع على الجرح المسحوق السابق ذكره او مسحوق آخر مكون من القرنفل والسكر الناعمين والغرض منهما إيقاف الدم ، وإذا لم يتم الشفاء فى فترة قصيرة يقوم الأهل بوضع مكان الختان فى "الطعس" ، " وهو الرمال " عندما تشتد عليها حرارة الشمس وتكرر هذه العملية حتى يشفى الطفل .

وبعد ذلك يتم الاحتفال بالختان فيدعو والد الطفل الأقارب والأهل والجيران – فى مجتمعى الحائر والغطغط أما فى مجتمع القصب فقليل من يحتفل بهذه المناسبة حسب الظروف الاقتصادية وإذا كان الطفل الأول أو أول ذكر أتى بعد عدد من البنات أى حسب مقدار ما للولد من قيمة عند أهله .

وعند بدو الحائر والغطغط يتم الختان بنفس الطريقة السابقة ويأخذ المختن مبلغ يسير من المال حسب الحال أو أى شئ عينى . ويأتى الأهل المقربون للطفل للاطمئنان على سلامة الصبى ، وتعطى بعض الهدايا المتوفرة لدى البدو مثل بعض " الجراد " أو " الضبان " وتسمى هذه الهدايا " عيدا " .

•التعليم وختم القرآن بمجتمعات الدراسة :

ولأهل البادية عامة ولمجتمعات الدراسة حب واهتمام بحفظ القرآن ولذلك يذهب الطفل إلى رجل حافظ للقرآن ليحفظه القرآن وغالبا يكون هذا الرجل إمام المسجد ويسمى " المطوع " ويسمى المكان الذى يتم فيه التعليم بالقصب " القرايه " بدلا من كلمة (مدرسة) فلم تكن مجتمعات البحث تعرف كلمة (مدرسة) ولا كلمة (كُتاب) ، بل أطلقوا عليها كلمة (قراية) نسبة إلى تعلمهم القراءة ، (القراءة فقط وليس الكتابة) فكثيرا ممن تعلم بهذه (القرايات) عرفوا القراءة ولايعرفون الكتابة لاعتمادهم على حفظ القرآن الكريم ومشاهدة حروفه وكلماته ، وتسمى هذه (القراية) بإسم المدرس (المطوع) الذى يقوم بالتدريس بها مثل (قراية ابن محارب) و(ابن سويد) بمجتمع القصب .

وعند حفظ أحدهم للقرآن الكريم يقيم والده حفلا بالمناسبة يدعو له زملاءه وأصحابه وعلى رأسهم " المطوع " ، ويحمل حافظ القرآن على الأكتاف من المسجد إلى منزل والده أو ذويه وهو يتلو دعاء ختم القرآن ومن خلفه زملاؤه ، حيث يكون أهل الصبى فى الانتظار ، وتقدم القهوة ويقدم طعام خاص لهذه المناسبة ، وأما المطوع فله هديه ، ويقال للصبى بمجتمع الحائر أثناء " الزفة " صومعى – لومعى – خاتم ثلاثين " ، ولكن هذه الظاهرة كانت نادرة لدى البدو ، فالتعليم الدينى الرسمى غير متوفر ، حيث أنهم مستقرون ثلاثة أو أربعة أشهر وباقى العام راحلون ، ولذلك نجد أن تعليم الدين لدى البدو شئ غير متيسر على الدوام ، فبدو الغطغط معرفتهم بتعاليم الدين قليلة وحفظهم للآيات القرآنية قليل ، إلا أننا نجد الرجال الكبار يحرصرن على أداء الفرائض ، إلا أن الظروف الصعبة التى كانوا يعيشون فيها كانت أحيانا تشغلهم عن أداء الفريضة وخاصة الشباب ، وقد ذكرت إحدى الإخباريات وهى كبيرة السن أنهم كانوا دائما لايجدون الماء للتطهر فكانوا لايغتسلون أو يتطهرون إلا عن طريق التراب (التيمم) .

• التنشئة الاجتماعية لدى بدو الحائر والغطغط :

إن لرب العائلة السلطة المطلقة فى تربية الصبية ، فإذا قام أحدهم بأمر لايليق فإن والده يوبخه وقلما يضربه وخاصة حين يصبح فوق العاشرة من العمر ، أو عندما يكون الأب عجوزا ويحتاج فى أعوامه المقبلة إلى من يعيله أو يساعده فى شيخوخته [١] .

ويتردد الصبية حين يكبرون إلى مجالس الرجال ، حيث يستمعون إلى أحاديث الرجال ، ويكلفون فى الوقت نفسه ببعض الأمور المنزلية كالالتفات إلى الخيل وسقيها ، وكان الصبية يكلفون بالتمرين على الرماية ، ومتى بلغ الصبى الرابعة عشر تقريبا ، ينتظر منه أن يختبر الغزو ، وبعد السادسة عشرة يساهم مع الكبار فى الغزو إذا كان يرغب فى ذلك أو إذا أظهر مقدرة حين امتحن فى غزوته الأولى .

والبيئة الاجتماعية التى يعيش فيها البدوى تطبع عليه الخصائص العامة لها ، كما يحرص البدوى على توجيه أولاده وإرشادهم ونقل ثقافة المجتمع لأولاده واستدخال عادات وتقاليد الجماعة فى نفوس أبنائه حتى لايتسبب له الأبناء فى قول سوء ، وحياة البادية صعبة وتحتاج إلى الخشونة والشجاعة ، والصبر وقوة الاحتمال ، ولذلك قد يقسو الأب على الأبناء أثناء تربيتهم وعلى الأبناء الاحتمال والطاعة ، ومن هنا نجد أن الأسرة تقوم بمجموعة من

(١) جبرائيل سليمان جبور : مرجع سابق ، ص ٢٣٣ .

الوظائف الجوهرية ، وهى كلها وظائف اجتماعية ، كما أن هناك تداخلا وتفاعلا مع أبنية المجتمع ، ولكن نظرا لانعدام المؤسسات الرسمية التى تقوم بنقل التراث والثقافة والتعليم فى المجتمعات البدائية الصغيرة ، فلذلك تقع على الأسرة المسئولية الكبرى مثل الوظيفة الاقتصادية والحماية ونقل الثقافة ... الخ .

ويختلف أسلوب التنشئة الاجتماعية حسب الجنس ، فالأسلوب الذى يتبع مع الفتى منذ الصغر يختلف عن أسلوب تنشئة الفتاة ، كما أن تربية الفتى فى سنواته الأولى تكون موكله إلى الأم حتى يبلغ سناً أو سبع سنوات ثم يتولى الأب تربيته ، ويربى الفتى منذ طفولته على الخصائص التى يستطيع بها أن يواجه حياة الصحراء بكل خشونتها وصعوبة الحياة فيها فيربى على :

الشجاعة : يتلقاها الطفل عن والده وذلك عن طريق خوض تجارب قد تكون قاسية إلا أنها ضرورية لغرس هذه الصفة فى الأبناء ، كأن يطلب منه الذهاب ليلا لقضاء طلب وإذا أبدى شعورا بالخوف ، فإنه يكون عرضه للسخرية والضرب والشتم والاستهزاء به ، ويحاول الأب أن يدربه على المبيت خارج إقامتهم فى " البر " ، كما تحاول الأم أن تصطحب ولدها معها عند ذهابها للرعى وعمره ست أو سبع سنوات وتدربه على ذلك ، ويربى على قوة البأس والخشونة والصلابة، فكلها صفات ضرورية ليواجه البيئة القاسية التى يعيش فيها ، فالضعف والجبن والخوف وإظهار العاطف من الصفات المنبوذة فى هذا المجتمع سواء للفتى أو للفتاة .

كذلك يدرب الفتى على القتال واستخدام الاسلحة ، وكثيرا ما يتعمد الأب أن يطلق بندقيته فى وجود ابنه ، فإذا خاف الصغير ، وبخ وعوقب ، حتى ينزع الخوف من قلبه ، لأن الحياة البدوية قاسية ، تفرض على أهلها قوة الاحتمال والقلب القوى الشجاع . وإن كانت الشجاعة تستخدم فى أحيان كثيرة للسلب والنهب ممن هم أضعف والاستيلاء على ما يملك الغير* .

---

* كانت هناك غارات مستمرة من البدو على الحضر بخلاف الغارات التى كان يشنها بعضهم على بعض ، ومازالت آثار " الاسوار " و " المرقب " (بمجتمع القصب) " والبرج " (بمجتمع الحائر) باقية وقد كانت تستخدم كوسائل للأمن فى مجتمعات الدراسة الثلاث .

احترام الكبير : أول شئ يتعلمه الأبناء من الأم فى سنواتهم الست الأولى هو احترام الاكبر منهم سنا ، وخاصة كبار السن (العجوز) تقال على المرأة كبيرة السن والشيب على الرجل الكبير فى مجتمعى حائر والغطغط ، وفى حضور الجد يكون اهتمام الجميع نحو هذا الجد فلا يصح للصبى أن يلتصق بأبيه أو يكلمه أو يرد عليه الأب فى حضور الجد ، ولابد من تقدير هذا الكبير والاستحياء منه .

الفروسية وحب القتال : إن ركوب الجمل من الأساسيات بمجتمعات الدراسة الثلاث ، فهو ضرورى لتنقلهم سواء فى البادية أو الحضر (القصب) * ، ولذلك يعلمون الطفل ركوبه منذ الصغر ، بل ذكر أن الفتاة أيضا كانت تركب الجمل وتتعلم ركوبه من الصغر ليساعدها على أداء بعض مهامها وخاصة فى غياب الرجل (الغزو - الصيد) ويركب الطفل الصغير الجمل ويجرى به ويسابق عليه (سباق الهجن) ، وإذا كان الأب لديه فرس تدرب الطفل على ركوبه وشجعه والده على ذلك حتى إذا بلغ الثالثة عشر يبدأ فى إصطحاب ابنه فى غزواته ورحلات الصيد ، وإذا خاف الطفل الركوب أو السقوط شجع على أن يعيد الكرة ويحاول الأب أن يطمئنه ، بأنه لن يصاب بمكروه .

وركوب الحمار غير مستحب فى مجتمع " الغطغط " وبدو " الحائر " ، فهو لايستخدم بكثره إلا فى مجتمعات الحضر (القصب ، حضر الحائر) ، لأعمال الزراعة والتنقل عليه .. ويسخرون من راكبه أو المتسابق عليه . فالسباق دائما للخيل أو الجمال .

كما يتدرب الطفل على أعمال القتال والتنشين والصيد . ويدرب الأبناء على اقتفاء الأثر (بدو الحائر - الغطغط) ، كى يستطيعوا الوصول إلى المكان المراد وتتبع ما شيته " حلاله " ، إذا فقدها فى " البر " ، ويعرف الدروب ويسلكها دون أن يضل حتى فى الليل وذلك عن طريق النجوم .

الصبر : يتعلم الطفل البدوى الصبر على العطش والصبر على الجوع ، وفى أثناء الحديث فى مجتمع الحائر ضربت إحدى المسنات المثل بفتاة نحيفة جدا فقالت إنها مثل البدو أى تأكل وجبة صغيرة جدا ، ولذلك هناك أمور يتعودها الطفل بالبادية . أنه لايأكل قبل الناس وألا يجلس حتى آخر الناس ، وأن يأكل من أمامه ، وأن يقلل الوجبة فى حالة وجوده عند جماعة

---

* يطلق كلمة الحضر فى مجتمعات الدراسة على المجتمعات البدوية التى استقرت وعرفت الزراعة وعملت بها .

غير جماعته ، وألا يطلب الأكل من أمه أمام أحد ، وقد لاحظت الباحثه مدى الالتزام بهذه العادات حتى الآن وخاصة فى مجتمعي بدو " الحائر والغطغط " ، فقد لوحظ أن فى مجتمعات البحث كلها تأكل النساء أولا ثم تظل البنات والأطفال صابرن حتى ينتهى الكبار من الأكل ، وذلك لضمان إكرام الضيوف، وتقديرا لكبر السن ، ولضيق المكان فى بعض الحالات .

أما الفتاة فيراعى فى أسلوب تنشئتها أن تكون زوجة ناجحة وراعية بيت ماهرة كما تدرب على الأعمال التى سوف تناط بها فالفتاة يدخل فى تقييمها عند الزواج بجانب الاعتبارات الأساسية (القرابة ، الأصل ، وسلوك الأم * .. الخ) وأن تكون راعية بيت ، ماهرة فى أداء أعمالها ، فتدربها الأم على الأعمال المنزلية وتصاحبها عند الرعى ، ونقل الماء (تروى) و "تحطب " و " تغزل " ... الخ .

وبالنسبة لمجتمع الغطغط فإن هناك أمورا محرمة على الفتاة وتنشأ على تركها منذ طفولتها ، فالفتاة محرم عليها أن تجلس وسط النساء المتزوجات مادامت لم تتزوج ، وتتهم بقلة الحياء ، إذا خالفت ذلك ، كما أن مجالس النساء لاتكون فيه النساء كاشفات الوجه بل يجب على المرأة أن تظل مبرقعة (مرتدية برقعها) مادامت فى مجلس به عدد كبير من النساء وإلا أتهمت أيضا بقلة الحياء .

• **الزواج :**

الزواج هو أساس تكوين الأسرة ، وقد حرصت المجتمعات الريفية والبدوية على الزواج المبكر ، وذلك لزيادة عدد افرادها ، حيث الحاجة إلى الأيدى العاملة فى هذه المجتمعات بالإضافة إلى ما تعطى الكثرة العددية من مظاهر العزوة ، وصيانة الأبناء من الانحراف .

وقد وجدت العائلة الممتدة فى المجتمعات الزراعية الريفية ، وفى المجتمعات المحلية والعشائرية والقبلية ، وتتميز العائلة الممتدة بالسلطة المركزية المتمثلة فى الجد أو الأب ، كما أن الأب يحتل فيها منزلة اجتماعية أعلى بكثير من منزلة الأم ، وينفرد فى اتخاذ الإجراءات والقرارات التى تتعلق بمستقبل العائلة ، كما أن الزوجة خاضعة لوالدة زوجها ولإرادتها (1) .

---

* هناك مثل شعبى يقال فى مجتمعات الدراسة " ان بغيت تضمها انشد عن امها " .

(1) R.Maciver; C. society, London, 1962, pp. 225-255 .

وقديما كانت العائلة الممتدة هى المنتشرة ، وكانت طبيعة الصفات التقليدية للعائلة تنعكس فى الظواهر الاجتماعية التالية : بناء وظائف العائلة ، اختيار الشريك ، بناء وعلاقات القرابة . العلاقات الداخلية للعائلة والزواج والسكن .

والعائلة فى – نجد – عائلة أبوية ممتدة يعتمد أصلها ووجودها وفاعليتها على مبدأ الانحدار الأبوى حيث الزواج الداخلى ، والسكن فى بيت الزوج الأصلى ، وكان حجم العائلة كبيرا نظرا لعدم استعمال طرق تحديد النسل ، وذلك لعوامل اجتماعية ودينية وثقافية ، بالإضافة إلى شيوع نظام تعدد الزوجات .

وكانت العائلة التقليدية بمثابة الوحدة الاقتصادية التى تسيطر على الملكية وعلى الأعمال الاقتصادية التى يزاولها أعضاؤها . فرب العائلة هو الذى يشرف ويدير ملكيتها وأعمالها الاقتصادية ، ويوزع العمل على أفراد العائلة ، ويتحمل احتياجاتهم المادية ، والمعاشية ويساعده ويشترك معه أعضاء العائلة كأبنائه وزوجته .. وليس لعضو العائلة حق المطالبة بممتلكاته الخاصة، فالملكية هنا جماعية .

وعندما كان أفراد العائلة الممتدة يمارسون مهنة واحدة ، وكانت ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية متجانسة ومتشابهة ، ويتمتعون بمستوى ثقافى وحضارى واحد فلا غرابة أن تكون أيدولوجيتهم ومعتقداتهم الفكرية والحياتية واحدة ومتجانسة ، وكان لذلك أثره فى تحديد معالم سلوكهم الاجتماعى ، وتحقيق وحدتهم السيكولوجية والاجتماعية ، ويؤكد " سميث Smith " وهو عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية البريطانى فى كتابه " القرابة والزواج فى شبه الجزيرة العربية " بأن العائلة الأبوية فى المجتمع العربى التقليدى هى بمثابة نظام متماسك وموحد تمارس فيه السلطة من قبل الذكور ، لذا كانت العائلة وحدة اجتماعية متكاملة . وتحت النظام القبلى كانت تبنى بيوت العائلات فى منطقة واحدة على شكل هلالى ، وكانت هذه البيوت تشترك بعضها مع بعض فى مدخل مشترك . وتستعمل بئر ماء واحد ويشارك أفرادها فى استعمال أدواتها .... وتخضع هذه العائلات جميعها للسلطة الأبوية التى يتزعمها الجد أو الرجل الكبير فى القبيلة أو العشيرة أو الفخذة [1] .

---

(١) احسان محمد الحسن : العائلة والقرابة والزواج ، دراسة تحليلية فى تغير نظم العائلة والقرابة والزواج فى المجتمع العربى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٨٥م ، ص . ص . ٤٩ – ٥٠ .

وتجدر الإشارة إلى أن تقاليد الزواج بمجتمعات بادية نجد تتقارب وتتشابة إلى حد كبير بعضها مع بعض ، وليس بينها اختلاف إلا فى بعض الجزئيات الصغيرة التى تكسبها اللون المحلى ، فأصول التقاليد واحدة وخاصة بادية نجد ولم يدخل عليها تغيرات كثيرة ، نظرا لخصوصية المنطقة وانعزالها الجغرافى حيث انها فى وسط الجزيرة وتحيطها الصحراء من معظم الجهات ، وقد ظهرت تغيرات جذرية نتيجة لانفتاح المجتمع فى الوقت الحاضر .

وتكشف لنا مناسبات الزواج ، طبيعة الثقافة السائدة فى المجتمع .. فالزواج وما يترتب عليه من علاقات أسرية يعد تعبيرا عن الأوضاع الثقافية ، فالزواج فى ذاته نظام اجتماعى ينبع من العرف أكثر مما ينتمى إلى البيولوجيا . فالزواج عند الإنسان بما فيه تكوين الأسرة ، ومن تكوين عديد من النظم التي تتركز حول الأسرة هو من صنع الإنسان ، وهذه النظم ، قد تختلف بعضها عن البعض الآخر ، ومن قبيلة إلى قبيلة ومن شعب إلى شعب فى الدوام والخصائص والالتزامات(١) .

اسلوب اختيار الشريك فى العائلة النجدية التقليدية :

تختلف الثقافات فيما بينها فى تحديد الطريقة التى يتم بها الزواج ، وينصب هذا الاختلاف على كثير من السمات الثقافية كأسلوب الاختيار وأسس الاختيار ، أو محدداته ، والمهر والزفاف والإقامة عند أهل الزوجة ، أو عند أهل الزوج أو الإقامة فى سكن خاص (٢) .

وأسلوب الاختيار فى منطقة نجد قديما مثلها مثل أى مجتمع إسلامى تقوم على الشريعة الإسلامية ، فالخطبة " و الملكة " أى العقد والعرس تسير على نظام شبه واحد له شروطه وواجباته، ولكن لكل بلد عادات وتقاليد تراثية متعارف عليها توارثوها ، وعلي الرغم من أن بعضها غير محمود إلا أن العرف قد فرضها على المجتمع النجدى . ولم يجرؤ أحد على تغييرها أو رفضها .

فإن العادات والتقاليد القديمة بمجتمعات الدراسة لاتسمح للرجل أن يقوم باختيار زوجته بنفسه ، ولم تسمح له برؤيتها إلا يوم الزواج (الملكة) ، وكان يوكل للوالدين أو أحد أقارب الرجل

---

(١) سامية الساعاتى : الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى ، دار النجاح ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٩ .

(٢) صلاح عطية صبيح : العادات الاجتماعية لدورة الحياة فى المجتمع الكويتى ، مؤسسة الصباح ، ١٩٨٠؟ ، ص ٢٢٩ .

عملية اختيار الزوجة الصالحة ، وكانت المبادرة من جانب العائلة ولايصح للشاب أن يطلب ذلك علانية . فهم الذين يقررون ذلك وبعد موافقة العائلة على زواج الشاب يبدأ الوالدان أو الأخ الأكبر فى اختيار الفتاة ذات السمعة الطيبة ولكن تأتى بنات العمومة فى المقام الأول فغالبا يتم الاختيار من داخل العائلة ونادرا ما تختار فتاة من خارج العائلة ولكن بشرط أن تكون فى نفس المستوى الاجتماعى * .

ومن ذلك نستطيع أن نقول إن الزواج بمجتمعات الدراسة هو ما يطلق عليه بالزواج المرتب ، والزواج المرتب* Arranged Marriage هو نمط الزواج السائد قديما وهو الذى يرتب من قبل عائلة الزوج وعائلة الزوجة ولا دخل للزوجين فيه ، ويسمى بذلك نظرا لقيام أهل الزوجين بترتيبه دون تدخل من جانب الزوج أو الزوجة .

الزواج بالقصب :

تصاحب الزواج عادات وتقاليد تختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمن إلى زمن آخر حسب الظروف الاقتصادية والارتباط بالعالم الخارجى ، ومدى الاختلاط مع مجتمعات أخرى والانفتاح على العالم الخارجى ، والزواج سنة الحياة ، وهو السبيل لحفظ النسل وإشباع الفطرة بطريقة مشروعة ، ولذلك حرص أهل القصب – رغم الظروف الاقتصادية التى يعانى منها أهل القرية – على زواج أبنائهم فى سن مبكرة قدر الإمكان ، ولكن ليس هناك سن معينة نستطيع تحديدها للزواج عند الفتى أو الفتاة ، ولكن الزواج المبكر هو المفضل ، فعندما يبلغ الفتى وبمجرد بلوغ الفتاة ، أى فى حدود من ١٣ – ١٥ سنة تصبح الفتاة أهلا للزواج وتحمل المسئولية ، وكما يقولون " الزواج سترة " . ويفضل أيضا زواج الفتى فى سن مبكرة من ١٦ – ٢٠ سنة خوفا عليه من الانحراف ، ودافع اقتصادى وهو مشاركة الزوجة فى الأعمال الخاصة بالزراعة ، ورغبته فى إنجاب عدد كبير من الأبناء لتكون أيدى عاملة مساهمة فى الزراعة وزيادة موارد الأسرة ، فيبدأ البحث عن بنت الحلال ابتداء بالاقارب من الأب وإذا لم يوجد فأقارب الأم وإذا لم يوجد فمن الجيران وهكذا ... ، وعندما تحدد الفتاة يتم أول خطوة من خطوات الزواج وهى :

---

* وهذا النمط من الزواج اشار اليه " جود " عند التحدث عن انماط الاختيار للزواج فى كتابه :

Good, W.J.; Revolution & Family patterns, Free press, Glencoe . p.89 .

* Kazem Daghestani; Contemporary Moslem family in Syria,Paris, 1952, P. 127 .

الخطبة :

تحـــــدد الاسرة من الذى سيقوم بهذه المهمة ، فإذا كان العريس ليس بقريب العروسة يتم إرسال رجل معروف لدى الطرفين ويكون ذا مكانة لديهم أو معروفا بحب الخير وغالبا ما يكون من كبار السن " شيبه " كوسيط بين " أهل العروس " وأهل " العريس " * ثم تتم مقابلة هذا الرجل بوالد " العروس " ويخبره عن " العريس " وعن أخلاقه وعن ظروفه وجميع ما يهم " العروس " ووالدها عنه ثم يطلب والد الفتاة مدة أو مهلة حتى يستطيع السؤال عن الفتى وعن أخلاقه . وأول من يسأل والد الفتاة عن الفتى هو إمام المسجد ، حتى يعرف هل هو " دين " يخاف الله ، ويصلى أم لا ؟ ، وبعد ذلك يسأل عنه أقاربه وأصحابه . وبعد انقضاء المدة المعينة يرجع نفس الرجل (الوسيط) ليعرف ماذا تم فى الأمر فإذا رغب والد الفتاة زواجها من هذا الفتى يقول له (الله يحييهم) يعنى أنه موافق ، وإذا تكشف له أنه لايناسب ابنته أو غير راض عن أخلاقه يقول (ماله نصيب عندنا) .

فيقوم الوسيط بدوره بإعلام والد الزوج عن موافقة والد الفتاة ويحدد يوما معينا ليقوم الفتى ووالده وعمه الأكبر وخاله الأكبر بزيارة والد الفتاة وخطبتها رسميا .

أما اذا كان الخاطب من الأقارب ، شديدى الصلة بأهل المخطوبة فإن والد الفتاة يجيب فورا وخاصة إذا كان الخاطب كفءا لها ، وفى بعض الأحيان – وهى قليلة – يرجئ الوالد الإجابة الحاسمة حتى يستشير فى الموضوع وأحيانا يرغب الآباء فى ذلك حتى لايقال عنه إنه يريد التخلص من ابنته .

وبعد الموافقة المبدئية يذهب والد " المعرس " أى الخاطب ، والأهل المقربون إلى أهل " العروس " ويتم الاتفاق على باقى الخطوات وأهمها المهر ولايتم لقاء بين العروسين ولايرى " المعرس " " عروسه " إلا بعد الزواج – ورغم أن الشرع قد أباح الرؤية لكل منهما ، بشرط عدم إتاحة الخلوة بالمخطوبة ، إلا أن الرؤية غير مباحة إلا بطريقة غير مباشرة وكما قالت بعض الاخباريات وذلك أثناء جلب الفتيات للمياه ، فكان الشباب يختبئ فى مكان ما بقرية القصب ويشاهد الفتيات .

---

* يطلق عند أهل الدراسة جميعا أسم " المعرس " على الفتى و المعرسه " على الفتاه عند الزواج .

وكانت الخطوبة فى القصب تأخذ سمة السرية التامة ، والفتاة لاتعلم من أمر خطوبتها شيئا ، وفى بعض الأحيان كانت الفتاة تعلم بطريق الصدفة ، من أحد الأقارب ، أو عن طريق الهدايا التى يرسلها " العريس " لأهل " العروسة " .

وقد تغيرت حديثا عادة الكتمان هذه ، فبمجرد موافقة ولى أمر الفتاة تحاول الأم أخذ رأى الفتاة بطريقة غير مباشرة ، فإذا وجدت قبولا من الفتاة ، يعلن عن الخطوبة وسط الأقارب والجيران .

المهر : (السياق - الجهاز) بعد الاتفاق على تفاصيل الزواج وتحديد المهر تقوم عائلة الزوج بدفع قيمة المهر ، ويكون ذلك عادة فى أثناء الاحتفال بالخطوبة * ، والمهر لايدفع للزوجة بل يدفع لعائلتها التى تتصرف به كما تشاء . وغالبا ما يصرف معظم المهر على متطلبات ابنتهم . ويرجع أسباب قلة المبلغ المطلوب للمهر إلى الناحية الاقتصادية العامة ، وانخفاض مستوى المعيشة وقناعة الناس بالضرورى من مطالب الحياة .

ولقد تحول المهر حديثا الى مبالغ ضخمة جعلت كثيرا من الشباب يعزف عن الزواج بسبب عدم المقدرة ، كما أن بعض أولياء الأمور قد استغلت هذه الناحية ، فرصة للاتجار ببناتهم، فليس المهم مواصفات الزوج لكن المهم هو قيمة " المهر " مما نتج عنه حالات طلاق كثيرة .

وبالنسبة لقيمة المهر فقد تمهر العروس بريال واحد وقد يمهرها بأكثر من ذلك أو قد تمهر بعدد من الخيل والإبل أو بالسلاح والسيوف والبنادق ، ويسمى المهر " السياق " وكان فى الغالب عدد بسيط من الريالات لايزيد عن عشرة ريالات (فرنسى) ** ، وهو كما قالت إحدى الإخباريات كان كل حسب قيمته ومكانته ، المهم أن المهور ميسرة للجميع حسب الحالة الاقتصادية المنخفضة بالقرية .

---

* دفع المهر عند الاتفاق على الزواج وأثناء الخطوبة عادة منتشرة فى معظم المجتمعات البدوية وهذا ما تؤكده دراسة :

-Muhsan,H.; Some Notes oN Bedun Marriage Habits, International Congress. of Sociology, Rome, 1950 p.p 14 - 16.

** الريال الفرنسى عملة جاءت عن طريق اليمن ، حيث كانت هى العملة الفرنسية فى ذلك الوقت ، وفى زمن اسرة حميد الدين التى كانت تحكم اليمن .

- سعيد فالح الغامدى : التراث الشعبى فى القرية والمدينة ، دار العلم للطباعة والنشر ، جده ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٢١٨ .

وكان قليل من الناس من يشترط على الزوج بعض الكسوة والعباءات " مشلح " لوالد العروس ، ولكن وكما يقول أحد الاخباريين ، ارسال هذه " الكساوى " أى هذه الملابس تعنى أن الزوج يقدر الزوجة ويعزها ، ولكن فى بعض الأحيان كانت الحالة الاقتصادية تقف أمام تنفيذ هذا الشرط .

والمهر قليل كما سبقت الإشارة لكن يتصرف أهل " العروس " فى حدوده ، فيذهب أهل العروس إلى السوق لشراء بعض الحاجيات والأدوات التى تخص العروس وأدوات العرس "الكساوى " ، ومن هذه الأدوات التى يتم شراؤها وإرسالها إلى أهل " المعرس " قبل موعد الزواج بيوم أو يومين وهى : قدر نحاس وصينية من النحاس و " سلحه " و " سمور " لتسخين الماء وملابس للعروس ، والعطورات وهى : ريحان وزعفران والعطر الاحمر وهو مخلوط من الزعفران وأنواع من العطورات وكذلك المشاط . ويحضر صحارة بالنسبة للناس غير المقتدرين " على قدهم " – وصندوق صاج بالنسبة للمقتدرين ، و " مضَّرب " يحضره أحيانا الزوج وهو يشبه " المرتبة " أو المطرحة " وهو من القطن .

ثم يقوم والد الفتاة ووالد الزوج أو وليهما بتحديد موعد الزواج و " الملكة " أى عقد القران فى نفس يوم الدخلة ، ويقوم أهل العروس بتجهيزها فترش ملابسها بعطر معين ، ويقومون بتحنية كفيها وتسريح شعرها بالريحان والمشاط والمسك الأسود ، أما لون ثوب الزواج فيكون فى الغالب باللون الأحمر أو الأخضر .

الملكة ، أما بالنسبة للملكة فتتم فى يوم الزواج نفسه بعد صلاة العصر مباشرة ، فى بعض الأحيان وعند بعض الناس "يملكون" قبل الزواج بيوم أو يومين ، ولكن هذه الحالة نادرة جدا وذلك لسبب واحد وهو أن الفتاة إذا تملكت قبل الزواج بفترة من الزمن وتوفى الزوج (تحاد) الفتاة بمعنى أنها تصبح أرملة حتى لو لم يدخل عليها لذلك لايفضل (الملاك) قبل الزواج بفترة طويلة حتى لاترتبط الفتاة بالحداد .

العرس ، وعند تحديد موعد العرس يقوم والد الفتاة "بعزيمة " أقاربه وجيرانه ، كما يعزم والد العريس أقاربه وجيرانه ، وتكون " العزيمة "غالبا فى الجامع بعد صلاة الجمعة كى يضمن وجود الجميع * ، ويستعد أهل العروس لاستقبال الضيوف من بعد صلاة المغرب ، وقبل موعد الزواج بيوم كان الأهل والجيران يرسلون إلى أهل الزوج بالهدايا وترسل بالتالى إلى بيت المخطوبة حيث أن العشاء يكون فى بيت والدها ، وكانت الهدايا حسب المقدرة فقد تكون من الأغنام أو بعض من المواد التموينية التى تساعد فى تجهيز وليمة العرس مثل الدقيق " الطحين "

أو السمن أو اللبن وكذلك البن " القهوة " .... الخ . وتسمى هذه الهدايا " بالعونة " . وهناك هدايا ترسل للعروس مثل أقمشة وخلافه وتسمى " حفالة " ، وفى يوم العرس يتكاتف الجميع وتظهر صور التعاون بجلاء ، فمن الجيران والأقارب من يقوم بالمساعدة فى تنظيف منزل " العروس " وترتيبه وفرشه " بالزل " أى السجاد ، وفى حالة نقص الفراش أو عدم كفايته ، يستعار بعض " الفرش " من البيوت القريبة ، حتى يظهر بيت العروس فى أحسن حال فى هذه الليلة ، وهناك فريق آخر يقوم بالمساعدة فى طهى الطعام ، وآخر يذهب لإحضار الماء من البئر ، وبكميات تكفى للضيوف والبيت والعشاء ، وتحضر " الأتاريك " أى مصابيح الإضاءة أو تستعار ، كى تكون الإضاءة كافية.

وعند حضور " العريس " وأهله يرحب والد " العروس " وإخوتها الذكور بالضيوف مرددين عبارات الترحيب مثل " حياكم الله ، " ياهلا وسهلا " ، ويستقبلونهم بالبخور والزغاريد ، ويدخل النساء مجلس النساء ، ويدخل الرجال مجلس الرجال ، وتظل عبارات الترحيب مستمرة مثل " إيش لونكم ، إيش لون العيال ، طيبين ، ياهلا .... الخ " .

وفى هذه اللحظة يدخل " العريس " بين النساء ومعه والد العروس وإخوانها فيدخلون به على العروس ويجلسون معه قليلا ثم يتركونه بعد ذلك مع عروسه ، وتأتى المغنيات " يطقون " عند غرفتهم فيخرج عليهم العريس ويعطيهم نقودا تسمى " العمارة " .

بعد ذلك تبدأ النساء بالغناء والرقص وبالدق على الدفوف وغالبا ما يحضرون ما يسمى " بالطقاقات " ، ثم بعد ذلك يوضع طعام العشاء ويتناولونه .

أما الرجال فيكون عشاؤهم قبل النساء وبعد قدوم العريس وأهله ، ثم يقومون "بالعرضة" و " السامرى " والرقص والغناء ، ويكون لباسهم " الثوب المرودن " وكذلك العريس يلبس " الثوب المرودن " ويلبس البشت " والغترة والعقال ، ويستمر جو الطرب والمرح فى تلك الليلة وبعد تناول العشاء والمرح قليلا يذهب كل إلى بيته .

ونعود هنا لنتحدث عن تزيين العروس فكان يمشط شعرها بمشاط (نوع من العطر الذى تتزود به ويشبه الحناء) ، ولونه أحمر وهو مكون من الورد والمحلب " نوع من الحبوب يباع عند

---

* كان يقول والد العريس ووالد العروس عند العزيمة ماياتى : اليوم الفلانى ويحدد اليوم ، بعد صلاة العشاء ، سيكون عرس بنتى ولايذكر اسمها " ذكر اسم المرأة يعتبر عيبا " على ولدنا فلان ويذكر اسمه والجميع معزوم لحضور العرس وتناول العشاء .

العطارين ويوجد الآن " ويضعون معه قليلا من" السدر" ، ويوضع كما توضع الحناء على الشعر، ويسرح شعرها بسبع " عمائل أى " ضفائر " فى الخلف وثلاث من الجنب الأيمن ، وثلاث من الجنب الأيسر ، ويوضع سبع من قطع النحاس وتسمى (الحلق) فى كل (عميلة) حلقة فى أعلى العميلة " الضفيرة " ، وقطع من الفضة على شكل مثلث وفيه نوع آخر به قطع معدنية متدلية لتحدث صوتا عند المشى ، وتوضع فى طرف العميلة ، ويوضع فى الأنف حلق كبير الحجم يصل الى الوجنة والشفة العليا ، وحلقة فى الرأس من الأمام ، وفيها شئ من الفصوص وتسمى " هامة " ، وفى اليدين تلبس خواتم فى معظم الأصابع ، ويسمى الخاتم الذى فى الإبهام " الفتخة " ، وفى الأذرع توضع حلقات كغوايش تسمى " المرافيد " أو " المعاضد " ، وفى العنق قلادة تسمى " المرقال " وأخرى تسمى " المريبيعة " من الفضة والخرز وتخضب يديها بالحنة بقلم يسمى " العود " لرسم اليدين ، وبالنسبة للثياب فهى تلبس ثوبا منقوشا ومطرزا بتطريز مبالغ فيه ، وفى الأكمام توضع شرائط من ألوان متعددة .

وفى ليلة الزواج وبعد ذهاب المعازيم ينام " العريس " عند " العروس " فى بيت أهلها ، وفى الصباح التالى يعطى العريس عروسه " الصباحة " وهى هدية ، ثم يذهب إلى أهله ليسلم عليهم ويسأل عن أحوالهم ، ثم يقول والداه له هذه العبارة " نسلبك والانضيفك " ومعناها هل أنت مبسوط مع العروس أم لا .

ثم يرجع إلى منزل العروس ليأخذ قيلولة ويبقى عندهم حتى يأتى أهله للغذاء ، وبعد قدوم أهله يتناولون طعام الغذاء ويقتصر الغذاء على الرجال فقط من أهل العريس ، وقد يكون هناك معازيم من النساء أقارب العروس . أما أهل العريس النساء فيرسل لهن " بوادى " وهى عبارة عن أرز وجريش وقرصان . ويكون فى بيت أهل العريس معازيم من النساء فقط . وبعد الغذاء يذهب العريس وأهله إلى منزل العروس وذلك لاستقبال العروس فى بيتها ، ويسمى هذا الانتقال (بالتحوال) .

وتجلس العروس فى البيت فترة زمنية محتجبة عن الناس بعد الزواج ، وإذا رآها أحد فى هذه المدة ينتقدونها .

الصباحـــة : وفى الصباح يعطى الزوج هدية لزوجته كما سبق الحديث وهى تشير إلى الوفاق بين الزوجين ، وعند المباركة للعروسين يدعى لهم " بالرفاة والبنين " وتقال لهم بعض العبارات مثل "منك المال ومنها العيال " .

التحوال : فى ليلة التحوال يجتمع أهل العريس فى منزل العريس ويذهب العريس ليأخذ عروسه ومعها " الربعية " * وهى سيدة تقوم بمساعدة العروس ومؤانستها فى منزلها ونصحها وإعطائها بعض التوجيهات لما لها من خبرة فى الحياة وتجلس معها لمدة خمسة عشر يوما تقريبا ، وبعد وصول العروس وعريسها والمعازيم إلى منزل العريس يستقبلهم أهل العريس ويقدمون لهم الشاى والقهوة والبخور ولكن ليس هناك وجبة عشاء فى تلك الليلة ، بعد ذلك يذهب الضيوف جميعهم ويبقى العريس وعروسه فقط .

الفتاشة : وبعد ثلاثة أيام من الزواج يذهب العريس وعروسه إلى منزل أهلها بعد صلاة المغرب فتقوم العروس بالسلام على أهلها ويقوم العريس بتقبيل رأس أم العروس ويسميها " خالة " ثم يكشف غطاء وجهها ثم يعطيها مبلغا من المال وتسمى هذه العملية " بالفتاشة " فيقول " أفتش خالتى " وبعد ذلك يرجعون إلى منزلهما .

الزواره : وبعد خمسة عشر يوما أو أقل أو أكثر تذهب العروس لزيارة أهلها بعد صلاة المغرب حتى لايراها أحد وتسمى هذه الزيارة " بزيارة الليل " حيث تقتصر على الأقارب المقربين ولايكون هناك وليمة وإنما عشاء عاديا ، وبعد مرور شهر تأتى العروس لزيارة أهلها فى النهار ، " وتسمى زيارة النهار " وفى هذه الزيارة تقام وليمة غذاء ، ويحضرها عدد من الناس من أهل العروس والعريس وقبل هذه الزيارة بيوم واحد يقوم العريس بإرسال ما يلزم من طعام لأهل العروس لإقامة هذه الوجبة ، ثم تستمر الحياة الزوجية عادية كأى حياة زوجية أخرى وبعد أن تتعود الزوجة على زوجها تذهب " الربعية " بعد أن تأخذ من العريس مبلغا من المال .

الزواج بالحائر والغطغط - تحليل مقارن :

نظرا لتقارب عادات الزواج ببادية نجد ، فقد رأت الباحثة أن تتناول العادات المرتبطة بالزواج بكل من مجتمعى الحائر والغطغط فى شكل تحليل ومقارنة مبينة أوجه التشابه والاختلاف بين هذه المجتمعات البدوية بعضها وبعض وبينها وبين مجتمع القصب كمجتمع ريفى.

إن العلاقات الزواجية كانت محكومة بقواعد الزواج داخل المرتبة الواحدة ، فالبحث عن زوجة من نفس المرتبة أساسى ، وأحيانا تختار الزوجة من قبيلة أخرى لتكون فى نفس المرتبة والمكانة " زواج ابن الشيخ من بنت شيخ فى قبيلة أخرى " ، أو لأسباب أخرى سياسية أو اقتصادية كنوع من تقوية وشد أزر قبيلة بقبيلة أخرى وخلق نوع من التحالف والترابط بين القبائل ... الخ .

---

* الربعية تكون أمرأة من العبيد أو غير قبيلية عامة وهى تقوم بعملها هذا فى مقابل أجر معين .

وعلى الرغم من التغيرات والتحولات التى حدثت بالمجتمع ، وظهور فئات المتعلمين وما يتبعه من حراك اجتماعى إلا أن الواقع يبين لنا أن المراتب الإجتماعية السابقة على ظهور البترول والنهضة التعليمية ... الخ ، لا تزال باقية وثابتة .

ويتم الزواج فى مجتمعى الحائر والغطغط ، من الأقارب فقط * والفتاة لابن عمها لا تستطيع أن ترفضه ، بل لا تشاور الفتاة ولا يؤخذ رأيها عند الزواج ، بل هى تؤمر فقط بالاعتكاف عن الناس وعن المخالطة مع أى من الأقارب بمجرد أن تخطب ، أو يقال عليها أو يطلب يدها ، وتتهم بقلة الحياء إذا خرجت من هذا المكان المتوارى عن الناس بعد طلبها للزواج حتى تتم الدخلة (يوم العرس) ، فبعد اختيار أهل الزوج للزوجة الملائمة لولدهم ، والحصول على موافقة أهلها يتوقع من الفتاة الموافقة على قبول الفتى كزوج لها . وفى حالة عدم موافقتها عليه فإن أهلها يرغمونها على الزواج ، ولا يترددون فى اتخاذ أقصى العقوبات عليها . فزواج الفتاة لا يحسم من قبلها بل يحسم من قبل والديها أو أقاربهم .

وبالنسبة لابن عم الفتاة فيقال " يحجرها " أى يجعلها لاتتزوج ما دام هو راغب فى الزواج منها ، وتظل هى بلا زواج ولا يجرؤ أحد على خطبتها ، وإذا أراد أحد أن يتقدم لخطبتها فعليه بمراضاة ابن العم ، كأن يحضر له هدية أو يعده بهدية أو يراضيه بأن يجمع عدداً من الرجال كبار السن " شيبه " أو يوسط فيها شيخ القبيلة إذا أمكن ، محاولين استئذان ابن عم الفتاة ، فإذا وافق تزوجت الفتاة ، وإذا رفض فلا تتزوج هذه الفتاة إطلاقا ويتزوج ابن العم مرة أو أكثر وينجب ولا يستطيع أحد أن يتقدم لهذه الفتاة وإلا فعقابه شديد عند ابن عمها حتى ولو هربت فهو لا يتركها ولا يترك زوجها بدون عقاب .

والغرض الأساسى من الزواج هو الإنجاب وإنجاب الذكور خاصة ولذلك يفتخر البدوى بتعدد مرات زواجه ، إلا أن المانع كان بالنسبة لهم – بدو الحائر وبدو الغطغط – هو عدم المقدرة الاقتصاديـــــة ، لأن الزواج الجـــديد يعنى إقامـــــة بيـــت جديـــــد وإلتزامات مادية جديدة ، وهو مـــــا لا يتوفـــــر دائما للشــــخص العادى ، لكن يتوفــــر للشيخ أو لأغنياء القبيلة .

---

* البدوى شديد الحرص على نقاوة دمه ، حريص على عدم الاختلاط بدماءغير نقية ، فأصالة الدم هى المحك ، ولذلك كان زواج بنت العم أضمن وسيلة لنقاء الدم البدوى وعدم مخالطته كما ان زواج بنت العم هو الوسيلة المضمونة لزيادة نسل العائلة وزيادة عددها وقوتها كما يؤدى الى تضامن وترابط العائلة .

مراسم الزواج لدى بدو الحائر والغطغط :

- الخطبـــــة : عندما يتم الاختيار على فتاة معينة فيذهب رجل كبير " الشايب " لخطبة الفتاة ، ولابد من أن يكون هناك تكافؤ بين الزوج والزوجة ، ولا يذهب هذا الرجل الكبير لطلب الفتاة إلا وتوقعاته القبول ، ويقال عند الطلب " يا فلان أنا أبى بنتك لفلان " أى نبغى إبنتك لفلان ، فيرد والد الفتاة عند القبول بقوله " يامرحبا " ، " اقبل حياك الله " ، " غالى والطلب رخيص " ، أو يقول الزوج " جيتك ... " يرد الأب بقوله " جتك ... " ، وكما يقول الإخباريون ممكن من نفس الليلة ، يرسل " للمملك " وهو رجل يفهم فى الدين " ويعقد القران ويذبح الذبيحة ويتم الزواج مباشرة ، وكما يقولون " نوخت بعيرها " وشالت الغبيط عليه " أى تجمع حاجياتها ، وفى اليوم الثانى يذهب الزوج والزوجة إلى بيت العريس ويذبح ذبيحة ويعزم جيرانه وأقاربه ، أو يحدد الوقت بعد أسبوع أو أقل أو أكثر لكن لا تطول المدة إطلاقا ، فبمجرد الكلام عن الفتاة تظل داخل البيت ولا تظهر حتى يوم زفافها ، خوفا عليها من مقابلة هذا الرجل ، أو ليزيد الشوق بين الزوجين نتيجة لعدم الرؤية .

ولا تختلف مراسم الزواج بهذين المجتمعين عن مجتمع القصب ، حيث تبدأ الخطوبة - كما سبق الذكر - وتكون فى سن صغير ولنفس الأسباب السابق ذكرها - من خوف على الفتاة من الغريزة الجنسية وما تثيره من مشاكل للقبيلة ، بالإضافة إلى الاحتياج إلى زيادة عدد القبيلة أو العائلة الذكور ... الخ .

أما ليلة العرس فلا تختلف عما سبق ذكره فى القصب ، فهى تبدأ قبل يوم الزواج بليلة وتسمى " ليلة الحناء " وفيها تحنى العروس ، وتخضب ، أما بدو الحائر والغطغط فلديهم عادة غسل شعر العروس ببول الناقة ، اعتقاداً منهم أنه يغذى الشعر ، أو بنبات " السدرة " ، ثم تكحل " العروس " ويوضع على رأسها المشاط وهو مكون من : محلب وعصفر ، وهيل ، وحبهان ومسمار - وقرنفل - وريحان ، هذه الخامات خاصة ببدو الغطغط ، أما بدو الحائر فالمشاط يكون من نبات ذى رائحة طيبة ، وتمشط شعرها على هيئة جدائل ، ثم ترتدى العروس ثوبا بألوان زاهية ، ومطرز ، وفى معظم الحالات تقوم البدوية بصنع هذا الثوب وزركشته بنفسها أو عن طريق إحدى قريباتها فلا توجد متخصصات فى هذا المجال ، ويسمى بدو الغطغط هذا الثوب " المدرعة " ويسمى حاليا " الدراعة " .

وعند الحديث عن المهر عند هذين المجتمعين البدويين فليس هو الأساس عند الزواج ، وليس له الاعتبار الكبير فكل حسب مقدرته ومكانته لكن المشكلة هنا ليس المهر مادام هناك قبول

والمثل يقول " كل شارب له مقص " ، " ريال وشيمه رجال " أى ان الرجل الكريم الشجاع يتم قبوله دون شروط .

والمهر يسمى " الدفع " وهو عبارة عن " الحجل الفضة " * أو " زولية " أى سجادة أو عباءة ، ثم عدد من الجمال قد يكون جمل واحد وقد يكون أكثر من ١٠ جمال حسب مكانة والد الفتاة والزوج ، ومقدرته ومكانته وإمكاناته " .

وبالسؤال عن المهر تعددت الإجابات ، فقد قالت إحدى الأخباريات أننا كنا نشترط على الزوج أن يحجج العروس بيت الله ، وقالت أخرى - وهى بنت أمير سابق - يشترط على الرجل أن يحضر " عبده " للزوجة ، وثالثة قالت - المهر حسب مقدرة الزوج المهم " الرجل الشجاع " ولو نعطيه من عندنا ... الخ .

إذن المهر بمجتمع الغطغط والحائر بل بجميع مجتمعات الدراسة ، كان منخفضا ويتفق مع الإمكانات المنخفضة التى كانت متاحة ، لكن قد يدخل الذهب بالمهر لابنة الشيخ فقط هذا بالإضافة إلى الجنيهات الذهب أو " المصرى " وهو عقد من جنيهات الذهب ، والمهر عند الغطغط ينقسم قسمين " الفنت " فيقـــال " تفنن " أى تخــير وهـــى " الحجول " الفضة أو " المعاضد " ، أو " الفردة " فى الأنف وكبيرة الحجم ، أو " الشغاب " بالأذن وعدد من الإبل حسب مكانة والد الفتاة ، والقسم الثانى " الدفوع " وهى بعض الكسوة للعروس وإخوتها مثل العباءة والأقمشة ... الخ ، عموما ليس هناك مهر محدد ، فكما سبق الذكر - حسب الإمكانات - فهناك سنوات جفاف ، وقحط وفقر ، وسنوات رخاء إلى حد ما .

ونتيجة لانخفاض المهر كان الرجل البدوى - الحائر او الغطغط - تتعدد زيجاته وفى نفس الوقت تتعدد حالات الطلاق لأن من الصعب عليه أن يجمع بين زوجتين خاصة وأن الزواج هنا من نفس العائلة، فمن الصعب الجمع بين قريبتين فى بيت واحد أى " جارتين " أو كما يسمى فى مصر " ضرتين " فى بيت واحد ، كما أنه من الصعب على البدوى أن يقيم بيتين - بيوت الشعر - ولذلك نجد ارتفاعا فى معدلات الطلاق .

---

* كان الشائع بين النساء البدويات هو استخدام أدوات الزينة المصنوعة من الفضة ، لكن بالنسبة للأغنياء وبنات الشيوخ فيمكن ان تمهر بأساور من الفضة بجانب " الفردة " من الذهب ، او زمام من الذهب يعلق فى الأنف وطرفه الآخر فى الرأس ، بالإضافة الى عدد من النوق .

وجدير بالذكر أن تعدد الزوجات صفة سائدة فى البادية ففى مجتمع الحائر والغطغط نجد أن التعدد منتشر ، فشيخ الحائر السابق على حد قول احد أبنائه تزوج ٣٩ زوجة ، وشيخ الغطغط السابق (أميرها) تزوج ٣١ زوجة ، والغرض من التعدد هو زيادة النسل خاصة من الذكور .

ولكل مجتمع من مجتمعات الدراسة طريقة فى تزيين العروس " بدو " مجتمع حائر تقوم العروس بغسل شعرها قبل الزواج بيوم ببول الإبل ويطلق عليه " وزر الناقة " ، وخاصة إذا كانت هذه الناقة قد أكلت من العشب فى البر حيث يكون فى هذه الحالة وكما يعتقدون أكلها نظيف وبالتالى يكون البول ليس له رائحة كريهة ، ويرجع السبب فى ذلك إلى اعتقادهم أن هذا مفيد للشعر ويساعد على نعومته ، فالبدوية تفتخر بشعرها وبطول جدائلها فتهتم به وتغذيه ، وتقوم العروس بوضع "المشاط " بشعرها وتفرقـــه وتعمله على هيئة جدائل ، وضفائر وتسمى (العمايل) وفى نهاية كل (عميلة) تضع (الحلاق) لتزيين الشعر بألوان متعددة ، وتضع العروس الكحل ، وكانوا يحضرونه على هيئة (حجر) يتم صحنه مضافا اليه (حرمل) وهو نبات أحمر يوضع على النار حتى يسود لونه ثم يطحن ويضاف للكحل ويوضع بالمكحلة وتتكحل المرأة بمسمار أو عود .

أما بالنسبة لحضر الحائر فتقوم بالعناية بشعرها ووضع المشاط ، وتسرح شعرها على هيئة جدائل على جانبى الوجه (البدوية تقوم بعمل الجدائل للخلف) ثلاث ضفائر فى كل جانب ، وتضع بهم (حلاق) جمع (حلق) ، ألـــوان متـــعددة ويطلق علـــى هـــذه التسريحة (باب الطبيش) وترتدى العروس ثوت العرس ويسمى " الثوب " وهو مصبوغ بألوان زاهية . وتضع بيديها أساور تسمى " العضاد " .

أما بالنسبة لمجتمع الغطغط ، فهناك ليلة تسبق يوم العرس تسمى " الحناء " تبدأ العروس فى الاهتمام بنفسها فى هذا اليوم فتغسل شعرها " بالسدرة " وهو نبات يشبه أوراق الشجر يصحن ويذاب فى الماء وتغسل به شعرها ، ويعتقد أن هذا النبات يغذى الشعر وينعمه ، أما الحناء فتضعها فتيات مجتمعات البحث فى أيديهن وأرجلهن وخاصة فى ليلة الحناء .

وحفل الزفاف بسيطا ولا يحضره سوى المقربين من أهل العروس ، فتقدم القهوة والتمور ، ثم يلتفون حول الطعام ، وفى الغالب تكون الذبيحة التى أرسلها العريس لعروسه وهى فى الغالب ناقة ، ويأكل الرجال أولا ثم ينصرفون ، ثم تجلس النساء لتأكل ، ويبدأ الرقص والغناء ، وفى بعض الأحيان ، تشارك الفتيات محارم لهن الرقص فيقـــال نزل " ليلاعبها " أى ليراقصها .

أما بالنسبة لبدو " الحائر " فيقتصر ليلة العرس على القهوة والتمر فقط للمدعوين من الأقارب ، وفى اليوم الثانى يكون الغذاء .

ويقيم العريس مع عروسه هذه الليلة فى بيت العروس ويضعون مقطعا فى داخل البيت ليعزل العروسين فى مكان منفرد لبياتهما هذه الليلة ، وفى اليوم التالى يصطحب العريس العروس إلى بيته – بيت أسرته – فيقام لهم ما يسمى " بالنزالة " وهى حفل آخر غالبا ما تذبح فيه ذبيحة أخرى . وفى ذلك تتشابه جميع مجتمعات الدراسة الثلاثة ، وخاصة فى " التحوال " فى اليوم الثانى ، ولكنهم يختلفون عن باقى المجتمع السعودى ككل فى ميعاد التحوال ، حيث هناك مجتمعات تطول عندهم فترة البقاء فى بيت الزوجة .

أوجه الاختلاف والتشابه فى حفلات العرس بين مجتمعات الدراسة :

تكاد تكون حفلات العرس متشابهة بمجتمعات الدراسة ، فعند تحديد موعد "العرس " يدعو أهل العروسين جميع أفراد المجتمع لهذا العرس ، فيستعد الجميع لمساعدة صاحب العرس بتقديم أشياء تساعد فى الوليمة ومنه من يساعد بتقديم خدمات كما يقوم شباب الحى بخدمة الضيوف وإدارة القهوة والماء .

وتختلف ولائم العرس حسب المستوى الاقتصادى لصاحب العرس ، فقد تكون ذبائح ولحوما وأكلات شعبية وقد تقتصر على الأكلات الشعبية فقط ، كل حسب مقدرته .

وكان كل من أهل العروس وأهل العريس يجمعون الأقارب والأهل والأصدقاء مكونين ما يسمى " بالحفل " أى " حفل المعرس " أى أهل العريس وكذلك "حفل المعرسة " أى أهل العروس ومنهم من يطلق عليه " الجنب " فأقارب العريس " جنب العريس" وهكذا .

وتختلف مجتمعات الدراسة من حيث عادة " التحوال " وهو انتقال العروسين من بيت أبيها إلى بيت زوجها ، فكان هناك من لا يقوم بعمل التحوال وتنتقل الزوجة مع زوجها فى نفس ليلة الزواج ، ومنهم من يقوم بعملية التحوال فى اليوم التالى من الزواج ، أما بالنسبة للمجتمعات الثلاث فالغالب أن " التحوال " كان يتم فى اليوم الثانى من الزواج ، فبعد أن تزين العروس وتظل محتجبة عن الأعين فى الغرفة التى ستدخل بها يأتى إليها الزوج مع والدتها و " الربعية " وهى امرأة من قريباتها أو من العبيد أو الخضيرين للقيام بخدمة الزوجة وتعليمها، ثم يترك الزوجان ، وفى الصباح يقوم الزوج بزيارة أهله بعد أن يكون قد قام بعملية "

الفتاشة " لأم الزوجة أى كشف وجه أم زوجته وإعطائها مبلغا من المال مثل " ريالين " أو أقل أو أكثر حسب مقدرته " ثم يذهب إلى بيت أهله ويعود فى نفس اليوم لبيت زوجته ليأخذها معه فى الليل عند الغروب إلى بيته أى بيت الزوج ويسمى هذا " التحوال " .

أما بالنسبة لمجتمع هجرة الغطغط وبدو الحائر فإنه بمجرد خطبة الفتاة ، فيجب عليها الاختفاء عن الأعين نهائيا ولا تخرج من خدرها ، وذلك خوفا من أن يلمحها الخطيب عند خروجها ، وهو ما لا يقبله البدو ، كما أن اختفاءها قد يزيد الشوق فى قلب الخطيب فيسرع فى إتمام الزواج .

الأثاث الخاص بالعروسين فى مجتمعات الدراسة :

تختلف مجتمعات الدراسة فى نوعية الأثاث ، فبينما نجد أن الأثاث فى القصب أثاث بسيط غير مكلف لكنه صعب الحمل أو النقل حيث أن مجتمع القصب مجتمع زراعى مستقر لا ينتقل الفرد فيه من مكان لآخر كما هو الحال بالنسبة للمجتمعات البدوية التى تراعى سهولة حمل أثاث البيت ونقله . فنجد أن الأثاث بالنسبة لعروس القصب : الصحارة أو الصندوق للملابس ، " المضرب " وهو للنوم ومن القطن ، الكساوى أى الملابس ، " الميقعة " وهى من سعف النخيل ... الخ .

أما الأثاث عندأهل الغطغط وبدو الحائر فهو باختصار * (الساحة) وهى كالسجادة وتصنعها المرأة البدوية من شعر ووبر الماشية ، (الخصف) أو السفرة وهى من سعف النخيل على شكل دائرى لتناول الطعام عليها ، (وزولية) وهى كالسجادة ولكنها تشترى جاهزة الصنع، هذا بالأضافة إلى الأدوات المنزلية ومعظمها مصنوعة من جلود الحيوانات المدبوغة . وأدوات القهوة وهى " الدلة " ، و " النجر " ويشـــبه الجـــرن أو الهـــاون ، لدق البن والهيل " والمسمار " و " محماس " لتحميص القهوة ، " المبرد " وهو من سعف النخيل مثل الطبق لتبريد البن بعد تحميصه .

فض البكـــــارة :

لم يعلن عن فض البكارة فى مجتمعات الدراسة الثلاثة ، وعند سؤال الإخباريات عن ذلك لوحظ دهشتهن لطـــرح مثل هذا التساؤل ، وأجمعن على أنه من العيب ان يتطرقن لهذا

---

* سبق توضيح هذه الأدوات فى الجزء الخاص بالثقافة الماديه .

الموضوع ، وأنها تأخذ شكل السرية التامة ويعتبر من العيب مناقشة هذه المسائل فى المجتمع ، وحتى من العيب السؤال عن ذلك أو ذكر هذه الناحية أو القيام بأى إجراءات بخصوص ذلك ، وأضافت الإخباريات أنه لو فرض وحدث عكس ما كان الزوج متوقعا عن عروسه فإنه يتبع الكتمان ، ويتصرف مع الزوجة فى سرية تامة . وهذه حالات شاذة ونادرة .

خلاصة القول : أن فض البكارة ليس لها أية طقوس أو عادات كما هو متبع فى معظم البلادالعربية وخاصة مصر والمغرب .

الصباحـــــة :

لا تختلف فى كل مجتمعات الدراسة وهى الهدية التى قد يعطيها الزوج لزوجته فى الصباح أى ثانى يوم للزواج ، وهذه العادة - الصباحة - زادت فى الوقت الحاضرمع الانتعاش الاقتصادى الحالى ، لكن قديما كانت قليلة وحسب الإمكانات ، وقد ضحكت بعض الأخباريات عند الحـــديث عن الصـــباحة ، وقالت أعطانى زوجى " ريالين " ثم أخذهما مرة أخرى .

الصلح بين الزوجين:

عند صلح الزوجين يأتى الزوج بما يســمى " رضاوة "وهى هــدية على قــدر مقدرة الزوج ، قـــد تكـــون " قــعودا " أى ابـــن الناقة ، وقـــد تكـــون أقل أو أكثر وقد لا يكون شيئا .

• الوفـــــــاة :

إن العادات المرتبطة بالوفاة لا تختلف من مجتمع لآخرمن مجتمعات الدراسة فالكل يسير بالطريقة الشرعية التى أقرها الإسلام ، فعندما تحدث حالة الوفاة ، تقوم زوجة المتوفى أو أحد أولاده بإعلام أقاربه بالحضور للمنزل " أهل المتوفى " ، ولا يوجد إنسان متخصص فى تجهيز الميت لكن هناك بعض الأفراد الموجودين فى المجتمع الذين يقومون متطوعين بتجهيز الميت وغسله دون أجر لكن لينال الثواب ، وبالنسبة لمجتمع القصب فيحمل المتوفى بعد تكفينه بالكفن الشرعى وهو من قماش عاد وليس فيه أية مظاهر للرخاء ، ولا يرى الميت أثناء تجهيزه سوى أولاده أو المقربون ، ثم يحمل على " النعش " وهو قطعتان من الخشب مستطيلتان بينهما وصلات خشبية قصيرة ، ويحمله عدد من الرجال إلى المسجد الموجود بالقصب ثم ينتظرون

فترة حتى يجتمع أكبر عدد ممكن للصلاة على المتوفى ، ويقومون بدفنه فى المقبرة ، وفى القصب مقبرتان واحدة للكبار وأخرى للصغار ، وهناك شخص يسمى " حفار القبور " يقوم بدفن الميت نظير مبلغ بسيط من المال بطريقة " اللحد " وهو حفرة لوضع الميت على شكل سلمتين بحيث يوضع الميت فى الجزء المنخفض ثم يوضع فوقه بعض قوالب طوب من اللبن ، ثم يبلل بعض التراب بالمـــاء ليسد بها الفتحات التى حول الطوب المرصوص ولحم بعضه ببعض ، وتحته يكون الميت راقدا على جانبه الأيسر وفى اتجاه القبلة، وبعد أن يتم " تلييس أو سد ما بين الطوب بالطين نهائيا يوضع التراب فوق ذلك ، وبعد الدفن يعود الأهل إلى منزل المتوفى ليتقبلوا التعازى ، وإذا كان للمتوفى زوجة فعليهاالحداد أربعة أشهر وعشرة أيام وتخلع أدوات الزينة ولا تتزين إطلاقا ، وتختفى عن الأعين فترة الحداد ولا تخاطب أحدا ، وفى بعض الحالات تلبس اللون الأسود عند توفره ، وفى الغالب قديما لم يكن لدى المرأة إلا ثوب واحد ولذلك لم يلتزم كثيرا باللون الأسود إلا حديثا .

وليس هناك صراخ أو نحيب يحدث من أهل الميت ، وأما البكاء بلا صوت حزنا على المفقود .

ومن المتعارف عليه أن الذى يأتى لتقديم العزاء لا يجلس وقتا طويلا ، ويأتى جميع الأهل والأقـــارب للعزاء ولمواســـاة أهـــل الميت ويقولـــون بعـــض العبارات للتخفيف مثل " هذا حال الدنيا " " عظم الله أجرك " فيـــرد أهـــل الميت " أحسن الله عزاك " أو جزاك الله خيرا . ويتنـــاوب الأهل والجيران فـــى عـــمل الطعـــام لأهل الميـــت لأنهـــم يكونون فى ظروف لا تسمح لهم بطهى طعام ، فيقوم أحد الأقارب بعمـــل وجبـــة فى يـــوم الوفاة والآخر يقوم بوجبة العشاء ، وفى اليوم التالى يقوم آخر وهكذا حوالى أسبوع .

أما الدفن فى المجتمعات البدوية ، فبعـــد تجهـــيز الميت بغسله وتكفينه عن طريق أحد الرجال ذوى الخبرة من القبيلة والصلاة عليـــه ، تختلف طريقة الدفن ، فهم فى حالة الترحال المستمر ، ولذلك يحفر للمتوفى حفرة تكون بعيدة إلى حد ماعن مناطق الرعى ، أى بجوار جبل مثلا ، وبعد أن تنتهى فترة حـــداد الزوجـــة يدعوهـــا أهلها لزيارتهم للغذاء ، ثم تبدأ ممارسة حياتها من جديد ، أما إذا كانـــت حاملا فتظل حتى تضع طفلها ، وإذا كانت المتوفية أمرأة متزوجة فليس هناك حـــداد على الزوج ، وليس هناك زى أو لون لباس معين للحداد كاللون الأسود مثلا .

ويتم العــــزاء لمــدة ثلاثة أيــام بعد الوفــــاة ، وذلك بحضــــور الأهل والأقارب للتعزية ، ومســــاعدة أهل المتوفـــى وذلك بتقديم بعض أنواع الطعام * ، ثم تنقطع التعازى نهائيا .

- عادات الطعام وآدابه :

إن عادات الطعام بمجتمعات الدراسة يغلب عليها طابع التقشف ، وخامات الطعام مما هو متاح لهذه البيئة الطبيعية الشحيحة بمواردها ، فهناك أكلات تشترك جميع مجتمعات الدراسة فيها مثل التمر واللبن وخاصة عند البدو ، واعتمادهم عليه كوجبة أساسية ، ومنتجات الألبان مثل الإقط ، والودك ، والسمن البرى .

وهناك الأطعمة التى تعتمد على الحبوب بعد طحنها أو جرشها مثل طحين القمح بأنواعه المختلفة ، والذرة والدخن والدقس ، بعد طحن هذه الحبوب أو جرشها مع إضافة الماء لهذا الطحين والسمن أو " الودك " واللبن .

أما اللحوم فهى قليلة الاستخدام ، وأغلب استخدامها فى المناسبات ** هذا إلى جانب ما كان يؤكــل من صيد مثل الجراد أو الضب ، أو الحيوانات الوبرية مثل الأرنب وخلافه والطيور ، ومن الظبى والوعول .

وسوف تعرض الدراسة لأهم الأكلات الشعبية القديمة المميزة لكل مجتمع :

- القصب :

يعتمد هذا المجتمع فى معظم أكلاته على القمح " البر " والدخن والذرة ، ولم يكن الأرز معروفا لهم حتى فترات قريبة أى قبل التحول الاقتصادى بالمجتمع ، ومن أشهر الوجبات الشعبية القديمة : الجريش ، القرصان ، العصيد ومنه عصيد القمح أو عصيد الدقس أو عصيد الذرة ، والمصابيب ، و " الحليج " وهو ما يسمى حاليا " المرقوق " ، و " الكليجا " ، وقرص الجمر والمصابيع .

---

* يتناوب على أهل المتوفى أقربائهم فى إرسال الطعام لهم لمدة معينة متبعين فى ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " اصنعوا لأهل جعفر طعاما فإن قد جاءهم ما يشغلهم " .

** فى القصب إذا أرادوا أن يأكلوا لحوما فتكون كل فترة طويلة ، قد تصل إلى سنة ويسمونها " الشرك " وتسمى فى الحائر " الشراك " لأنها تشترك فيها مجموعة من الناس .

طريقة عمل بعض الوجبات :

الكليجـا : وهى عجينة من القمح مضاف إليها " الخضيراء " و" الصفار " و" الودك " وهو الشحم المذاب على النار وتم تخزينه ، وتعمل على هيئة أقراص بحجم كف اليد ، وتسوى على التنور .

المرقـوق : وهو من عجينة دقيق القمح " البر " حيث تقطع العجينة إلى دوائر ، وتفردها المرأة بكفيها وتقلبها على ذراعيها ، وتمددها حتى تصبح رقيقة ، ثم تضعها بالقدر ويكون قد طبخ فيه قطع من الدهن ، والسمن والبهار والخضروات المقطعة كالباذنجان والقرع واللوبياء ، ويغطى القدر حتى يتم عمل واحدة أخرى ، يفتح القدر وتقطع العجينة الأولى وتحرك حتى تذوب وتفرد الآخرى ويغطى القدر ، وهكذا حتى تنتهى ، وبعد نضجه يغرف فى صينية أو صحن .

القرصـان : وهو رغيف شفاف من عجينة البر الرخوة مضافا إليها الخميرة ، وتتولى المرأة عملها فى بيتها ، فهى تعملها دائرة كبيرة بيديها وتضعها على الصاج وتحته النار ، وكلما نضج قشعته بطرف السكين ، ووضعت الأخرى بدلا منه وتنزعه ، وتضعه فى طبق كبير ، وفى نفس الوقت تكون المرأة قد طبخت بعض الخضروات كالقرع والباذنجان ، والودك والبصل والبهار ثم تكسر الأرغفة السابقة وترش عليها من المرق حتى يتشرب .

الصبيـب : يؤتى بالعجين اللين جدا فى درجة السيولة تقريبا ثم تأخذ بيدها قليلا أو بالملعقة وتصبه على (المقرصة) ، وتكرر هذه العملية على المقرصة حتى ينضج وينتهى العجين .

الجريـش : وهو من أشهر الأطعمة قديما وحديثا وهو نوع من القمح يجرش بالمجرشة ولا يطحن ناعما وعند الطبخ يضاف إليه اللبن ، ويستخدم له " المعصاد " [وهو يؤخذ من الجزء المتين من عسب النخل بطول يصل إلى أكثر من نصف متر وذلك لتقليب الطعام وتحريكه فى القدر] ، وهو يشبه "الكشك " فى مصر ، والجريشة بالريف المصرى .

الوجبات بالعائر البادية :

الريوق : وهى فى بداية الـيوم ، فى الصبـاح الباكـر وهى عبـارة عـن تمر وقهوة (إن وجدت) أو لبن مع التمر .

الغـذاء : وكانت فى وقت الظهر ، وقليلا ما كانت تحدث بالمجتمع حيث الكل فى البادية لا يجتمعون فى هذا الميعاد ، وإن صادف وجودهم فهى كالريوق .

العشاء : وهى الوجبة الرئيسية حيث يجتمعون جميعا بعد الغروب ، وكانوا يأكلون القرصان أو الجريش أو المرقوق أو الإقط * مع لبن ، أو المريس ، وهو عبارة عن الإقط منقوع فى ماء ويشرب مع التمر أو القهوة ، وهذه الوجبة " المريس " تفضل فى رمضان ، أو قرص بر ، أو الفجع إن وجد ، وفى رمضان ، كانت هناك أكلة مشهورة عبارة عن سمن وأقط وتسمى (بويردة) وتؤكل فى الفطـــــور ، وأيضـــا أكلة أخـــرى من الإقـــط والتمر والسمن وتسمى (أشعفة) أو (شعسة) ، أما العشاء والسحور ، هناك القرصان .

الوجبات لدى بدو الغطغط :

الطعام لدى بدو الغطغط لا يختلف كثيرا عن طعام بدو الحائر ، فيعد التمر واللبن الغذاء الرئيسى لديهم على مدار السنة ، فقد أكد لى معظم الأخباريين أن هناك سنوات كانت تمر بالكامل لا يأكلون سوى التمر واللبن ، ويسمى بدو الغطغط وجبة الصباح بالفطور أو " الريق " وهى تمر ولبن ، وإن وجد دقيق أى قمح فتكون الوجبة خبزا أو قرصا مع زبدة إن وجدت ، ثم يخرج أفراد العائلة للرعى أو الصيد حاملا كل منهم بعضا من التمر معه ، ليعودوا فى المساء فيتناولون العشاء ، وأحيانا يكون عصيد الدخن أو قرص دخن أو رغيدة ** ، وسوف نعرض باختصار شديد لبعض الأكلات المشهورة لديهم :

العريس : تطحن الذرة ثم تخمر فى اللبن من منتصف الليل حتى الصباح ثم ترفع على النار ويضاف إليها دقيق ثم يستمر فى التقليب على النار إلى أن تظهر الفقاقيع ، وأحيانا تخفف باللبن ثم تقدم ساخنة .

العصيدة : تطبخ فى الشـــتاء ، وهى من دقيق الذرة أو أى نوع من أنواع دقيق القمح " البر " ، أو الدخن ، أو الدقس ، مع الســمن ، والتمـــر ، وهـــى من أكلـــات الشتاء ، وللمرأة الواضعة .

---

* الأقط : حيث تجمع المرأة الفائض اليومى من اللبن فى قدر كبير ، وتقوم بطبخه حتى يتبخر الماء الذى يحويه اللبن ، بحيث يبقى سائلا غليظا ، وبعد أن يبردتأخذ منه المرأة قبضة قبضة وتضغط بكفيها حتى ترى علامات أصابعها عليها ، ثم يجفف على ظهر البيت – الخيمة – وفى بعض الأحيان وأثناء طبخ الإقط توضع بعض قطع الأرانب البرية أو قطع لحم حتى تنضج ، وفى بعض الأحيان يوضع بعض الطحين – الدقيق – اثناء طبخ الإقط . كما أن هناك الـ " لبات " وهو عبارة عن لبن العنزة عندما تلد ، فيحلب ويرفع على النار حتى يغلظ قوامه ، ويؤكل مع التمر . وهناك " الخلاصة " وهى عبارة عن الزبد ويرفع على النار وعندما يسيح يضاف إليه الدقيق وقليل من البصل والملح ، ويظل يحرك على النار حتى تنفصل السمن عن الدقيق ، وتؤكل فى العشاء ، أو الفطور ، وذلك بعد غمس التمر فيها .

** كانت هذه الأكلات تؤكل باليد ، وفى النادر ما يستخدمون فنجان القهوة فى أكل العصيد .

المراصيع : تعمل من البر وتسوى داخل التنور .

التـــاوة : وهى أصغر من المراصــــيع ، وتستخدم فى الغالب فى رمضان وقت السحور .

المطازيز : عبارة عن قطع صـــغيرة من العجيـــن رقيـــقة ، توضـــع فى ماء مغلى مع الدهن .

العبيـــط : ويعمل من التمر بعد عجنه مضافا إليه السمن البرى .

الدويـــف : ويطلق عليها الرغيدة ، وهى عبارة عن دقيق بر مع ماء مغلى ويطبخ على النار مع بعض التوابل .

حفظ الطعام وتخزينه :

تجفيف اللحوم :

تقطع اللحوم شرائح غير سميكة ثم تقطع قطعا طولية على هيئة شرائط ثم تخلط جيدا بالملح حتى يتشرب الملح جميع سوائلها ، ثم تعلق حتى تجف وتتيبس ثم تخزن لوقت الحاجة ، ويطلق عليها اسم (قفر) .

تخزين الجراد وتجفيفه :

عقب صيد الجراد مباشرة يطهى سريعا على النار ثم توضع له كمية من الملح حتى يجف ويخزن للأكل منه على مدار السنة .

تجفيف التمر وخزنه :

يسمى تخزين التمر " كنز التمر " ويعبأ فى " خصف " وهو وعاء من سعف النخيل المصنوع يدويا ، ويخزن التمر الذى يكفى للعام بالكامل والمتبقى يباع * للاستفادة بالعائد المادى لشراء ما يحتاج إليه من مشتروات أخرى .

---

* وكانت عملية البيع فى القصب تتم إما داخلية أى تشترى الأسر من بعضها البعض أو عن طريق عرض المنتجات فى سوق القرية يوم الجمعه ، وكان رواد السوق من الرجال فقط ، أما النساء فكانت تشترى من الدلالات بالبيوت .

أما القرى فتخزن التمر فى " الجصة " * بما يكفى لمدة عام .

حفظ القمح :

يحفظ القمح فى أحواض للاستخدام على مدار السنة . ويوجد فى كل منزل غرفة فى الدور الثانى ، وتقسم أرضيتها إلى أحواض بعضها صغير والبعض الآخر كبير والفواصل جدران بارتفاع ثلاثين سنتيمترا تقريبا ، وتوضع فى هذه الأحواض أصناف القمح " الحب " اللقيمى " الصماء " ، كما يوضع فى الأحواض حب آخر ، كالحلبة والبرسيم وغيرها ... ، أما فى البادية فيخزن القمح فى أكياس معدة لذلك ، تسمى " العدول " ** .

أما تبريد الفواكه والخضروات فكانت توضع تحت " الزير " وتوضع فوقها قطعة من الخيش المبللة .

عادة الانتهاء من الطعام :

هناك عادات نشأت نتيجة لظروف المجتمع الاقتصادية الصعبة ، ومثال ذلك : عادة الانتهاء من الطعام دفعة واحدة ، بمجرد أن يقوم أحدهم ويتنحنح قائلا " خلف الله عليكم " ، أو يخلف الله عليكم ، فيقوم كل الجالسين على الأكل ، حتى ولو كان البعض لا يزال فى حاجة للمزيد من الأكل ، وقد نشأت هذه العادة عندما كان الطعام قليلا لدى الناس مع كثرة الضيوف والزوار ، مما يجعل المضيف يقدم كل ما يستطيع تقديمه من الزاد الذى يضعه أمام الضيوف ، وهذا الطعام ليس لهؤلاء الضيوف فقط ، ولكن هناك بقية ضيوف آخرين ينتظرون دورهم ، وأيضا أهل البيت حيث لا توجد غير هذه الكمية من الطعام ، لذلك عندما يرى كبير الجالسين أن الدفعة التى معه قد نالت نصيبا من هذا الطعام ينهض ويقول " زادكم الله من واسع فضله " مثلا وذلك إيذان للآخرين بالقيام وترك المجال لغيرهم ، ويعيب الناس من يتخلف عن القيام بعد ذلك ، وهكذا بقيت هذه العادة مواكبة للظروف الاقتصادية ، وعندما تغيرت الحياة الاقتصادية أخيرا تغيرت هذه العادة وأصبح الطعام الذى يقدم يزيد عن حاجة كل المدعوين .

---

* الجصة : سبق الحديث عنها عند الحديث عن الدار بالقصب .

** يجدر الاشارة هنا أن البدو لا يخزنون الأطعمة أو الحبوب بكميات كبيرة ، كى لا تعوقهم عن الحركة الدائمة المطلوبة لحياة الترحال ، ولذلك كانت المؤن المخزونة تكفى فقط لفترة بسيطة .

المشروبات :

القهوة العربية من المشروبات الرئيسية فى منطقة نجد عامة ومجتمعات الدراسة خاصة ، وهى مقياس للكرم ، وهم يضعون بقايا القهوة بعد طهيها أمام " المجلس " مكان استقبال الضيوف – كنوع من الافتخار فى إبراز ما تم عمله من القهوة العربية ، كما أصبحت إحدى الخصال التى يفتخر بها الرجال ، لذلك يكنى البعض ببعض الأمثال مثل " فلان دلاله لا تبرد أو نجره لا يسكت " ، أو يوصف بأن يقال " دلاله سود كالغربان " (أى كناية عن كثرة وضع الدلال فى النارفاسود لونها كلون الغراب) .

والقهوة العربية بدون سكر وهى عبارة عن البن المجروش بعد تحميصه نصف تحميصة ، أى لا يسود لونه . مضافا اليه " الهيل " – الحبهان – ، " المسمار " أى – القرنفل – ، والزعفران ، بنسب معينة ، ثم غليهم فى الماء على النار ، ولتقديم القهوة عادات يجب اتباعها ومن الخطأ الكبير مخالفتها مثل :

– يجب أن تمسك " الدلة " باليد اليسرى ويمسك عدد من الفناجين باليد اليمنى .

– وتصب القهوة باليد اليسرى ليقدم الفنجان إلى الضيف باليد اليمنى ، وعلى من يقدم القهوة عدم الجلوس بل يظل واقفا إكراما واحتراما للضيوف ، ويقدم التمر مع القهوة وذلك بدلا من السكر، ويقدم إناء صغير به ماء لغسل الأصابع بعد أكل التمر . وكمية القهوة التى تصب فى الفنجان لابد وأن تكون قليلة أى لا تصل إلى منتصف الفنجان ، وعلى الساقى أن يمر أكثر من مرة ليأخذ الفنجان من الضيف وباليد اليمنى ، ويصب له القهوة ، ويقدمها مرات عديدة ، فإذا اكتفى الضيف فعليه أن يهز الفنجان بيده هزات ضعيفة ، أو يشير باصبعه السبابة نحو داخل الفنجان فيعرف الساقى أنه لا يريد قهوة مرة أخرى واكتفى بما شرب ، ويرجع صب كمية القهوة قليلا بقليل ، كتعبير عن أن المضيف لا يريد الإسراع فى رحيل الضيف ، وهو لذلك لا يصب له الكمية كلها مرة واحدة .

• الاحتفال بالأعيـــاد والمناسبات :

لقد كان هناك عادات وتقاليد مرتبطة بالأعياد فى مجتمعات الدراسة ، والأعياد التى يحتفل بها فى المنطقة ككل ، وفى مجتمعات الدراسة خاصة عيدان فقط ، عيد الفطر وعيد الأضحى المبارك ، ويعتبرون ما يحتفل به سوى هذين العيدين بدعة لا أساس لها فى الشريعة الإسلامية .

ويتم الاستعداد لهذين العيدين قبل حلولهما بوقت كاف ، فيوم العيد هو زينة المسلم وفرحته بتمام شهر رمضان ، وكلاهما تمام عبادة ورجوع إلى الله وخير ، ولذلك يحسب الناس لهما كل حساب للاحتفال بهما ، إلى جانب أهدافهما التى نصت عليها الشريعة ، فلهما تأثيرهما الاجتماعى ، حيث تفاعل الناس واندماجهم مع بعض ، والحرص على تجمع الأهل والأقارب ، حيث يحضر البعيد ويمتنع المسافر عن السفر فى هذه الأيام ، وتعطل جميع الأعمال للاحتفال وإظهار مشاعر الفرح والسرور بقدومهما .

الاستعداد للأعياد :

فى جميع مجتمعات الدراسة تحاول النساء أن تحضر بعض أدوات الزينة لهذه المناسبة مثل الكحل لعينيها ، والحناء ليديها ، والسدر لشعرها ، والعود والعطور . كما تحاول تجهيز الخامات التى سوف تصنع منها وجـــبة العيد ، فتجهز السمن أو " الودك " الدهن وتجرش القمح ، وتحضر التوابل مثل الكـــمون أو البهـــار واللبن والحطـــب للتسوية ، كل ذلك قبل العيد بوقت كاف .

ليلة العيد – الوقفـــة – : تبدأ مظاهرالاحتفال بالعيد قبل يوم العيد بليلة أو ليلتين ولكل فئة من المجتمع الطريقة التى يحتفل بها ، والتى تختلف عن الفئات الأخرى ، فالأطفال لهم طريقتهم وكذلك الشباب والنساء والرجال ... الخ .

فالأطفال فى قرية الحائر يخرجون قبل العيد بيوم واحد ويجوبون الطرقات ويدقون الأبواب لطلب – العيد – مرددين " أبى عيدى ، عادت عليكم فى حالة زينة ، يجعل الفقر ما يجيكو ولا يكسر إيديكو ولا رجليكو ... نسوق الحمار ولا نوقفه " .. وترد ربة البيت بقولها " عيد مبارك " ، وتوزع عليهم أى شئ حلو من عندها أو يقولون " ولدت حمارتكم على سجادتكم جابت طويل الظهر [1] شيال عيبتكم ، عشاكم شط [2] الفاره وإدامه بول حماره ... وأبو جعل [3] بيله ، والخنفساء جفره " [4] .

أما الأولاد الذكور فيتبعون البنات ليأخذوا منهن (الجمرك) وهو جزء من الحلوى التى أخذتها الإناث ، وبالطبع يكون الأولاد فى سن أكبر من سن البنات وإلا تخلصت البنات منهم دون عطاء .

---

(١) الحمار . (٢) روث . (٣) نوع من الخنافس (٤) اللحم المجفف بالملح .

أما الأطفال بالقصب وبالبادية ففى هذه المناسبة يلبسون أحسن ما لديهم ويزينون شعورهم بحلقات مفضضة فى نهاية الجدايل - حلاق - وفى عيد الأضحى بالقصب يمر الأطفال على بيوت الحجاج قائلين " هاتونا من حجكم " فيعطى الحاج شيئا من الحلوى للأطفال .

أما الشباب فيعبرون عن فرحتهم بالرقصات الشعبية " العارضة " أو " السامرى " ويرتدى الجميع أحسن ما يملك من ملابس ويحاول أن يظهر فى أحسن مظهر .

أما النساء فى ليلة العيد فمن الأعمال التى تقمن بها تجهيز طعام العيد عند منتصف الليل فتبدأ فى إعداده وتخفيف ناره ومتابعة نضجه ، وكانت الأكلة المفضلة لهذه المناسبة هى الجريش ، وكانت تقوم بتقليبه بشدة وتحريكه بعود سميك خاص يسمى بالمعصاد ، وتنتظر النساء نتيجة عملهن بعد تناول الطعام فى صورة ثناء على ما أنتجن حتى ولو لم تكن النتيجة جيدة .

أما بالنسبة للملابس التى يرتديها الرجال ، فهى " المرودن " وهو عبارة عن ثوب واسع له أكمام واسعة على شكل مثلث تقوم النساء بصنعه بأنفسهن للرجال ، والعمامة ، أما بالنسبة للنساء فيجتمعن فى بيت العائلة ويرددن بعض الأغانى والأهازيج والأناشيد القديمة ، وترتدى النساء الملابس العادية التى يقمن بصنعها وصباغتها بأنفسهن ويفضل لبس الملابس المزركشة والمطرزة " بالزرى " ، ويقــمن بأداء بــعض الرقصات ويطلق على أدائهن هذا " ردح " فيقال " يردحن " أى يرقصن .

يوم العيـــد ، فى هذا اليوم يرتدى الجميع أحسن الثياب ، ويخرج الرجال لأداء صلاة العيد وبعد الصلاة ، يقوم الشباب بتنظيف الشوارع وفرشها ، فيخرج كل بيت شيئا يفرش مثل الحصير ، ثم يخرج كل بيت - العيد - وهو عبارة عن الأكلة الشعبية التى جهزتها النساء خصيصا لهذه المناسبة، وحاولت إتقانها وهى فى الغالب " الجريش بالسمن " ، وتوضع هذه الأكلات فى ملتقى عدد من البيوت ليجتمع على أكلها أصحاب هذه البيوت ، فيحاول كل واحد أن يتنوق أكل جيرانه ، ثم يثنى على طريقة عمله وهكذا ... ، وتكون فرصة التقائهم هذه ليتبادلوا التهانى بالعيد مثل " من العائدين " والرد " من الفائزين " ، أو " يجعلكم من عواده " وبعد أن ينتهوا من الأكل ، يذهبون إلى الأــقارب للمعايدة ، ويبدأ دائما بكبير العائلة .

الفصل الثالث

- اللهجات فى مجتمعات الدراسة
- الأمثال الشعبية
- الرقصات الشعبية والغناء والشعر
- الألعاب الشعبية وألعاب الاطفال ..
- المعتقدات الشعبية ..
  * السحر ...
  * الجن ..
  * مخاوف الاطفال فى القديم – القصص الأدبيه والأساطير ..
  * القصص الأدبية والأساطير
- الطب الشعبى

- **اللهجات فى مجتمعات الدراسة :**

هناك فروق فى "اللهجة" فى المجتمعات المدروسة، ناتجة عن دخول كلمات غير عربية، فنجد فى اللهجة العامية فى منطقة نجد كلمات غير موجودة فى مناطق أخرى، كما أن هناك بعض الحروف يتم تبديلها فى الكلمات، فلكل منطقة من مناطق المملكة لهجتها الخاصة بها، على حسب موقعها، فمنطقة الحجاز أو الغرب تأخذ من اللهجة المصرية، والمنطقة الجنوبية تأخذ من اليمن، والمنطقة الشرقية تأخذ من دول الخليج وهكذا.

أما منطقة نجد فلها لهجتها المختلفة كما أن هناك اختلافا بين المناطق المختلفة بنجد ذاتها.

- فبالنسبة لمجتمعات الدراسة نجدهم يستبدلون بعض الحروف وكذلك هناك بعض الكلمات العامية مثال ذلك :

قلب حرف الكاف إلى تاء وسين مثل قولهم : تسيف حالك بمعنى كيف حالك، وقولهم صدز. بمعنى صدق، حيث يقلب حرف القاف الى زين ، كذلك قولهم : ظفدع وظابط وظرس حيث يقلب حرف الضاد الى ظاء.

وبالنسبة لتغيير كلمات من الفصحى إلى العامية فمثال ذلك كلمة "إية" بمعنى "نعم "، وكلمة "أبيه" بمعنى أريده، وكلمة "وشو" بمعنى "أى شىء، وكلمة "هلحين" أو الحين بمعنى هذا الحين، وكلمة "مهوب فيه" بمعنى غير موجود و"مهوب حجى" بمعنى ليس لى ، وعندما يسأل عن أهل الدار يقول "هون أحد" بمعنى هل هنا أحد، وكلمة "قوة" بمعنى هيا نذهب، وكلمة "نطرش" بمعنى نسافر الى ، و"نعمر البيت" بمعنى نبنى البيت، و"نكد" بمعنى نزرع، وكلمة "أجلط" بمعنى أجلس، و"المجلط" هو المجلس، وقولهم (هو) بفتح الهاء وتشديد الواو بمعنى التعجب، و"ناظرة" بمعنى انظر اليه، و"راح" بمعنى ذهب ، وقولهم "أخرط.أنظم) أو "كلمة ماله جاعه" للدلاله على الكلام والعمل الذى لاقيمة له ولايفيد، والرخيص مخيص" بمعنى من يشترى الرخيص ثم يندم عندما يجده غير صالح، "وسم" بمعنى نعم ويقال "إيش لونتس" بدلا من "إيش لونك" ، وهذا مع المرأة فقط، ويقال بالحائر عند السؤال عن امرأة كبيرة "إيش لون العجوز" مثلا وهكذا...

-الأمثال الشعبية :

تقوم الأمثلة الشعبية بدور هام فى الحياة بما لها من قيمة تربوية تهذيبية كبرى، ولذا فهى ليست مجرد شكل من أشكال الفولكلور، أودليل إثنوغرافى خاص بأحوال الشعوب، إنما هى "على حد قول مالينسكى" عمل كلامى يدعو قوة معينة إلى التحرك، ولها تأثير قوى على السلوك الإنسانى.

والحكم والأمثال متوارثة تنتقل من جماعة إلى أخرى عبر الأجيال، وهى تردد على ألسنة الناس للتعبير عن إحساسهم، وتدعيم أفعالهم، وترجع أهمية الأمثال فى أنها بشرية وواقعية تحدث عن السعادة والشقاء، والغنى والفقر، واليسر والعسر، والجمال والقبح... الخ، فهى تريح النفس وتواسيها بما تتضمنه من حكمة وفلسفة عملية. هذا فضلا عما تنطوى عليه من أحكام خلقية ، فهى تستقبح الرذيلة، وتمجد الفضيلة بالعبارة الصريحة، أو بالسخرية، فلها تأثيرها على تفكير الناس وتصرفاتهم، فهى سريعة النفاذ إلى العقول ، لأنها تكون فى الغالب قصيرة واضحة موسيقية التركيب ذات وقع طيب على السمع (١) .

وهناك قدر كبير من الأمثال المتداولة تشترك بين مجتمعات كثيرة من العالم، ولذا لايمكن أن نصنف الأمثال وننسبها إلى أمة من الأمم، كما أن الأمثال تعيش لسنين طويلة دون أن يتبدل معناها، ولكن ما يتبدل هو اللهجة فقط عن طريق تناقلها من جيل إلى جيل، فقد جاء فى الأمثال العربية القديمة قولهم "كمستبضع التمر إلى الهجر" والذى أصبح معناه اليوم "يبيع البيض على سلاقينه" باللهجة العامية، والذى يقابله فى مصر "يبيع المية فى حارة السقايين" ويقابله فى المثل الانجليزى الذى يقول "Carrying Coal to New Castle" ومعناه كمن يحمل الفحم إلى نيوكاسيل، وهى التى تشتهر بإنتاج الفحم الحجرى، وكل ذلك يضرب لمن يحاول أن يروج لفكرة أو سلعة عند من يفقهها أو يصدرها أو ينتجها (٢).

ولقد لاحظنا أن هناك اختلاف فى اللهجات والكلمات وبعض الحروف فى أجزاء المملكة، ولذلك سوف نلاحظ اختلافا فى حروف الأمثال العامية من منطقة إلى أخرى .

---

(١) فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية، مع بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠م ، ص ١٨٤.

(٢) سعيد فالح الغامدى : التراث الشعبى فى القرية والمدينة مرجع سابق ٣٤٢.

بعض الحكم والأمثال فى مجتمعات الدراسة * :

أولا : القصب :

– "طقنى وبكى وسبقنى واشتكى"، وطقنى بمعنى ضربنى . – "صاحب صنعتين كذاب"

– " الذباب يعرف طريق الدبس"، الدبس بمعنى عسل التمر.– سمحنا له جاب حماره

– ماضاع حق وله مطالب

– النار ماترث إلا الرماد.

ثانيا : فى الحائر :

– يعزل الحى من الميت .. وهذا المثل يقال لمن يكتب له الحياة، رغم تعرضه لحادث مع مجموعة. – مثل الرمح القصير فى نحر راعيه. يضرب على دائم المشاكل مع أقربائه.

– شعره من جلد الكلب فائدة – لافاتك البطيخ اشرب الماء.

– الحى رأسه فى السماء

– العمش ولا العمى. – "لاجا البلاء من الرداء وين تجى العافيه ويقال عند اختلاف الأهل مع بعض .

–"جاب عيده وإرتكاله ليت تعيده سد حاله"، تقال عند عدم الرغبة فى وجود إنسان هو وما يحمل .

–"جيه يداويها سد عينها" أى يعنى يكحلها أعماها ..

– إن بغيت تضمها اسأل عن أمها.

– راحت تقبس وعرست، تقال عندما يقضى إنسان حاجة فيحقق هدفا آخر معها.

– الشيب ولا العيب.

---

* يجدر الاشارة الى أننا لانستطيع أن نحدد أمثالاً شعبية محددة مرتبطة بمجتمع محلى معين فالإختلاط والتقارب بين المجتمعات يجعل الكثير منها مشتركا ، ولذلك ذكرت بعض الأمثال المشهورة فى كل مجتمع ، ثم الأمثال المشتركة بين مجتمعات الدراسة ككل ، وقد تكون مميزة لمجتمع نجد عامة .

ثالثا : الفطفط :

- ياعواشز نوشزيه - ويطلق على من يصدق الناس بغير أن يتعقل الأمور ويدرسها، وهو - يحكى قصة صديقتين : واحدة غزلت الصوف وعملت منه الخيمة طوال الليل، فسألتها صديقتها كيف صنعت الخيمة ؟ فقالت لها كذبا أو استهزاء ، وضعت الصوف فوق الشجرة وقلت "ياعواشز نوشزيه" أى ياشجرة اغزليه، فتم العمل، فذهبت الصديقة ونفذت ذلك وبالطبع لم يتم شيء، وبذلك صار هذا المثل لمن يصدق الغير بغير تعقل .

وهناك أمثال عديدة هى عبارة عن انعكاس لثقافة المجتمع، وتعبر عن موقف اجتماعى معين ، وخبرة خاصة، وتتوارثها الأجيال بعد الأجيال.

الأمثال المشتركة :

حرف (أ) : الرخيص مخيص - إتبع البوم يوديك الخراب - الحاسد فى الأرض والرازق فى السما - الصانع ماله قدر والحائك ماله عباءه - القرد فى عين أمه غزال - اذا فات الفوت ماينفع الصوت - اذا صار صاحبك عسل لاتلحسه كله - الجود من الموجود - الحساب قدام - الى مايقوس قبل يغوص .. - الكثرة تغلب الشجاعة - الزود كالنقص - الغلط مرجوع - الضو ماترث إلا الرماد - الحال من بعضه - إن فاتك اللحم أشرب المرق - الأصيل يعمل بأصله - أذا صرت رايح تسوى الفضائح -النجار ماله باب - الشيء لمن قسم له ماهوب لمن نوى له - الجليس من جلسة يقتدى - اسأل عن الجار قبل الدار - أخف القوم صغيرهم - الحرمة من ضلع أعوج - الظامية تكسر الخوص - أنا عود من عرض حزمة.

حرف : (الباء) : بعض الشر أهون من غيره - بنت "الرخمة" مانأخذها ، "والرخمة" يقال أنها نوع من أنواع الطيور الضعيفة.

حرف : (التاء) : ترسله مايرجع تأكله ماتشبع - تمشى مثل الوحوش غير رزقك ماتحوش - تنفخ فى قربة مشقوقة.

حرف : (الجيم) : جاك الموت ياتارك الصلاة - جود السوق ولاجود البضاعة - جلد ماهو جلدك جره على الشوك.

حرف : (الحاء) : حشر مع الناس جنه – حاميها حراميها – حبل الكذب قصير – حاله يغنيك عن سؤاله – حط الحصين عند الحمير يعلمه النهيق.

حرف : (الخاء) : خذ ماطاب واترك ماخاب – خلاها عين وطلبها دين – خالف تعرف – خير الأمور أوسطها – خذ العلم من أفواه المجانين.

حرف : (الدال) : ذا حلم ولاعلم .

حرف : (الراء) : ريال فى يدى ولا عشر طيار – راحت السكره وجت الفكره – ربنا ماشفناه بالعقل عرفناه – رمية من غير رام .

حرف : (الزال) : زى الحمار يمشى بالمنغاز – زى السراج ضوء فى وسطه يحرق نفسه بنفسه – زى أباقباس يطيح فى الضو " بمعنى زى الناموس يطلب قتله .

حرف : (السين) : سمننا فى دقيقنا – سرك فى بير – سيد القوم خادمهم .

حرف : (الشين) : شعره من شعر كلب.

حرف : (الصاد) : صبح القوم ولاتمسيهم – صديقك من صادقك وعدوك من عاداك – صبرى على نفسى ولاصبر الناس على.

حرف : (الضاد) : ضحك من غير سبب قلة الأدب – ضربتين فى الرأس توجع.

حرف : (الطاء) : طلب الهين يضيع الحق البين – طارت الطيور بأرزاقها.

حرف : (الظاء) : ظلم الغريب ولاظلم القريب.

حرف : (العين) : عشم إبليس فى الجنة – علمته الرماية ورمانى.

حرف : (الغين) : غسلت رجليها ونست مامضى عليها .

حرف : (الكاف) : كل حب يعطى بذره.

حرف : (اللام) : لوغاب القط العب يافار – لو أدرى درب الخيرات ماتحصلت ناقتى.

حرف : (الميم) : مد احتها أمها والمشطة - مالك الا ماقسم لك - مافى القدر تظهره المغرفة - من كل بيديه النتين غص - من طول الغيبات جاب الغنايم - ماينفع القيس عقب الغرق - مد رجلك قد لحافك - من طاول الجربه على طول الحول يجرب - مايضر السماء نبح الكلاب - مالك إلا خشمك ولوه أعوج - مايحس الجمره إلا واطيها - مثل الزرار ناشب فى الحلق.

حرف : (النون) : ناصح البدو فى النار

حرف : (الواو : وعد الحر دين عليه

حرف : (الياء) : يسهلها تسهل - ياغريب خلك أديب - ياآخذ القرد على ماله بروح المال ويقعد القرد على حاله - يوم شاب ودوه الكتاب.

- ثانيا : الرقصات الشعبية والغناء والشعر :

تؤدى الرقصات الشعبية الخاصة بالرجال والنساء فى المناسبات - مثل مناسبات الزواج والأعياد - ورقصات النساء أقل تنوعا من رقصات الرجال . فللرجال رقصات متعددة منها :

أ- العرضة النجدية أو الحربية :

وتؤدى فى الاحتفال بالعيدين، أو فى حفلات الزواج، وهى مقترنة بالحرب فى مجتمعات الدراسة الثلاث * فهى تقام عند الاستعداد للحرب، كما تقام عند الانتصار فى الحرب وعودة المحاربين، وأيضا تقام فى الأفراح والأعياد ... الخ.

وتقام العرضة بأن يقف صفان من الرجال متقابلان وجها لوجه ويبعد كل صف عن الآخر حوالى ستة أمتار، ثم يقف فى الوسط بعض الرجال الذين يقرعون الطبول ويرقصون "ولايضرب الطبول من هو قبيلى" أما الرجال المصطفة صفين متقابلين فيقومون بأداء أناشيد

---

* كانت الحرب دائما على أماكن الرعى، أما بالنسبة للمجتمعات القروية ومنها القصب فكانت الحرب تقوم بينهم وبين البدو، عندما كان يمر البدو بأرض القرى ويرغبون فى الإقامة فلا يتاح لهم، ويهب سكان القرى لطرد البدو من مراعيهم، عند ذلك تنشب الحرب وتخرج "الفزعة" وهى تغنى بأغانى العرضة الحماسية مع قرع الطبول، وتبدأ المفاوضات بين البدو وأهل القرى، فإذا فشلت المفاوضات قامت الحرب، وإذا تم الانتصار يقيمون العرضة.

معينة مع تمايل نحو اليمين ونحو الشمال حاملين فى يدهم اليمنى سيوفا مرفوعة إلى أعلى، وتوجد فرقة بين الصفين تعمل على شكل دائرة، وتصوب بنادقها نحو الأرض وتطلق النار أحيانا.

أما الشعر الذى يقال فى العرضة فهو يتفق مع المناسبة ولكل مناسبة الشعر المناسب.

ب - السامرى * : يختلف السامرى عن العرضة فى أن السامرى يؤدى والرجال جلوس متكئين على ركبهم، آخذين شكل صفين متقابلين ويبدأون فى الغناء متمايلين مع الغناء يمينا وشمالا، ثم إلى الأمام ثم الميل إلى الخلف، ثم العودة إلى الوضع الطبيعى وهكذا ويصحب ذلك ، التصفيق بطريقة معينة ذات إيقاع جميل.

وأغانى السامرى أغان عاطفية وأحيانا غزلية، وهى من الفنون المحببة إلى الشباب ويؤدونها فى سهراتهم، وهى وسيلة للتعبير عن فرحتهم.

رقص النساء : تقام رقصات النساء فى مناسبات الزواج والأعياد، ويقوم بالرقص جميع الأعمار من النساء، أى أن الرقص لايقتصر هنا على الشابات فقط كما فى بعض المجتمعات العربية.

وهناك اتفاق فى مجتمعات الدراسة الثلاث على نوعية الرقص، وهى النوعية الشائعة فى جميع منطقة نجد، وهى تختلف عن المناطق الأخرى فى المملكة.

فيميز الرقص فى منطقة نجد تمايل الراقصة برأسها يمينا وشمالا وقد نقضت شعرها وبعثرته ، وتلوح بشعرها فى الهواء يمينا وشمالا وإلى الأمام، وهى تشبه رقصات أهل الكويت، ومناطق من دول الخليج.

وفى بادية الغطغط والحائر تقوم الفتيات بارتداء زيها الواسع الفضفاض وتطلق شعرها أى تنقض الضفائر، ثم تحمل خمارها - شيلتها - بين يديها، وتقف الفتيات على هيئة صفين

---

* يؤدى العرضة شباب القبيلة ومحاربوها، أما السامرى فتؤديها الفئات الأخرى فى القبيلة، ويقتصر دور أبناء القبيلة على مشاهدة السامرى والاستمتاع بذلك فقط.

متقابلين ، ثم يبدأ الرقص وهو عبارة عن دق الأرض بالرجلين بطريقة إيقاعية منتظمة مع ثنى الركبة ورفع اليدين، والتلويح بالخمار - الشيلة - ثم يتقابل الصفان ثم يعدن الى أماكنهن وهكذا، وفى بعض الأحيان تنزل فتاة واحدة للرقص، وينزل معها أخوها ليلاعبها - أى يراقصها، ولكل أغنية من الأغانى التى تغنى فى هذه المناسبات الرقصة التى تناسبها فنجد أن هناك توحد فى حركات النساء بناء على الأغنية.

الغناء والشعر :

تشتهر مجتمعات الدراسة خاصة البدو بإلقاء الشعر وحفظه كما أن لأهل القرى الأغانى الخاصة بكل عمل يؤدونه.

وبالنسبة لمجتمع القصب : هناك نوع من الفنون الشعرية تسمى "الرد" وفيه يقف الرجال صفين وفى الوسط يقف شاعران، فيبدأ واحد من الشاعرين ببيت شعر - فى الغالب يكون هذا البيت عن السلام والتحية - فيبدأ فى ترديد نفس البيت أحد الصفين، ثم يردده الصف الثانى، ويستمر الصفان فى الغناء بهذا البيت حتى يرد الشاعر الآخر ببيت شعر آخر، وعندما ينتهى من إلقاء بيت الشعر يبدأ فى ترديده الصفان وهكذا حتى يعجز أحد الشاعرين عن الاستمرار فى الرد.

ويتداول الشعر الشعبى أو الشعر النبطى فى مجتمعات الدراسة الثلاث، أما الشعر الفصيح فهو قليل وله أفراد قليلة تلقيه فى المجتمع.

كما أن بمجتمع "القصب" أغان يغنيها الرجال أثناء تأدية أعمالهم الزراعية مثل غناء الحصاد، وغناء الحرث، والرى، والغرض من هذا الغناء هو تشجيع العامل على العمل ويبعث على التسلية وإزالة الملل والتعب، ولكل عملية من هذه العمليات الزراعية الغناء الملائم لها فنجد الغناء على "السوانى" يتلاءم مع أصوات "المحال"، وغناء الحرث يتفق مع الحركات التى يقوم بها المزارع من رفع اليدين وضرب الأرض وهكذا.

أما المجتمعات البدوية "الحائر والغطغط"، فهناك أغانى الرعاة، التى يتسلى بها الراعى حيث يمضى الأوقات الطويلة بمفرده، كما أن هناك أغانى "حداء الإبل" وتؤدى أثناء السفر حيث تقطع المسافات الطويلة على ظهر الإبل.

الغناء وقت البناء بالقصب :

وهو ما يردده عمال البناء أثناء قيامهم ببناء البيوت أو "الصور"، أو الحوائط أى السور الخاصة بالقرية أو بالبساتين، أو أثناء تأدية الأعمال الشاقة فإن "الستاد" أو كبير البنائين يقوم فى الغالب بترديد بعض الأبيات الشعرية والأغانى التى تثير الحماس، وذلك حين نقل الطين أو اللبن، أو الحجارة أو رفع الأخشاب.

وللنساء أغان وأشعار تؤديها المرأة أثناء تأديتها عملها للتسلية والترفيه وضياع الوقت. مثل أغانى "الرحى وهى أغان تتفق مع حركة دوران "الرحا" فتكون جملة قصيرة ونغمته تتفق مع صوت الرحى، وترددها المرأة عند القيام بطحن الحبوب أوجرشها.

أما غناء "الدحة" أو لعبة الدحة فكان يختلط فيها الجنسان، وكانت تقام فى الاحتفالات الخاصة بالزواج، والختان والأعياد * .

كما كان هناك الأغانى التى يؤديها الرجال فى مناسبات الزواج للتعبير عن الفرحة، حيث يجلس الشباب ويدقون الطبول مع الأغانى.

والأفراح لاتخلو من "الطقاقات" أى ضاربات الدفوف، وهى من القديم ومازالت حتى الآن، وفى أحدث وأشهر الأفراح، وهن متخصصات فى ذلك وتقوم الفتيات والنساء بالرقص على نغمات هذه الدفوف وأغانيها، والرقصات عادة تتفق مع نوع الأغنية.

- ثالثا : الألعاب الشعبية وألعاب الأطفال :

يختلف اللعب عن العمل، كما يختلف تبعا للمرحلة العمرية التى يمر بها الإنسان، فاللعب عند الكبار يتخذ طابعا أكثر تنظيما وتعقيدا، ويتميز بالتزامه بقوانين وقواعد [(١)].

---

* اختفت هذه اللعبة فى الوقت الحاضر ولا يسمح بالاختلاط، أما قديما وكما أكد لى الإخباريون فكان الاختلاط موجود ولكن هناك التزام واحترام للمرأة، كما أن الاختلاط كان فى حدود العائلة فليس هناك أجانب أو أغراب كما هو الآن.

(١) محمد الجوهرى، علياء شكرى، محمد على محمد : قراءات معاصرة فى علم الاجتماع، ط ٢ ، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، ١٩٧٩م ، ص ٥٠.

ودراسة وتحليل ألعاب الأطفال بوصفها إحدى الظواهر الاجتماعية التى لايمكن فهمها وتحليلها بمعزل عن الإطار العام للحياة الاجتماعية فى المجتمع. لتعكس لنا خصائص بنيوية للمجتمعات المدروسة، كما تكشف لنا عن ثقافة المجتمع وبنيانه الاقتصادى، والوضع الطبقى به، فيكشف لنا عن الفروق الاجتماعية والاقتصادية بين فئات المجتمع، وهى انعكاس للواقع الاقتصادى والاجتماعى، فنجد أن فى جميع مجتمعات الدراسة الأدوات التى تستخدم فى اللعب فنجد خاماتها متوفرة فى البيئة مثل لعبة "الكعابة" ويستخدم فيها العظام التى بأرجل الشاه بعد أكلها، ولعبة "عظيم سرى" التى يستخدم فيها العظمة الطويلة بالفخذ، وبالتالى فهى ألعاب لاتتكلف شيئا، وهو مايحدث دائما فى المجتمعات الفقيرة، فنجد أن الأولاد يلعبون بالأشياء التى فى حكم العدم بالبيئة، مثل "لعب الأطفال فى مصر فى بعض البيئات الفقيرة بغطاء زجاجات المشروبات الباردة ويطلق على اللعبة (كازوز).

ولقد كانت الألعاب فى مجتمعات الدراسة من أهم وسائل الترويح والترفيه، مع العجز الشديد فى هذه الوسائل فى فترة الدراسة ، ولذلك اندثر كثير من هذه الألعاب فى الوقت الحاضر، وخاصة مع وجود التلفزيون، والفيديو، والنوادى ... الخ، من الوسائل الحديثة.

وسوف تعرض الدراسة لبعض من هذه الألعاب فى مجتمعات الدراسة السابقة، معتمدة فيها على قصص الأخباريين، وجدير بالذكر أن السؤال عن هذه الألعاب كان يعطى الجلسة نوعا من الفكاهة، والسرور، فهى تذكر الجميع بطفولته، وعلى الرغم مما كانت تحمله هذه الطفولة من طابع المعاناة وضيق العيش، إلا أنها تحمل فى نفوس الجميع ذكريات طيبة.

وفى مجتمعات الدراسة هناك ألعاب خاصة بالذكور وألعاب خاصة بالبنات، والطابع الغالب على ألعاب الذكور هو العنف بالطبع، فمنها مايشبه المصارعة، ومنها من يحمل الأولاد بعضهم لبعض، ومنها من كانت عبارة عن فرد يحمل مايشبه الكرباج ليضرب من يلحق به ... الخ.

أما ألعاب الفتيات فالغالب عليها الأغانى والأناشيد، وهذه الأغانى والأناشيد كانت تكشف عن رؤية المجتمع للدور الاجتماعى للفتاة، وكيانها الاجتماعى، وإحساس الفتاة بدورها الذى ستقوم به فى الحياة، فهى مجرد زوجة وأم للأبناء، فنجد أغانى الفتيات الصغيرات عبارة عن أنها مطلوبة من ابن عمها، وسوف تحيا معه الحياة الهادئة الجميلة، ويجلب لها الملابس الجميلة والفراش المناسب ... وهكذا.

وسوف نعرض بالتفصيل للألعاب المشتركة بين مجتمعات الدراسة الثلاث وهى خاصة بالذكور وهى : عظيم سرى - والكعابة.

أما الالعاب المشتركة للبنات فهى : الصقلة والغميمة وطاق طاق طاقية.

لعبة عظيم سرى : وتلعب هذه اللعبة فى الليل فقط وخاصة عندما يكون القمر بدرا، وأكثر من يمارس هذه اللعبة الأولاد الكبار، فهم يجتمعون بعد صلاة العشاء ويرددون بعض الأغانى حتى يكتمل اللاعبون، ومن الأغانى المشهورة التى تردد :

العبـوا لاسرينـــا   غابت القمرا علينا

لايضيع العمر فينا   وحناتونا ماهتيـنا

وعند اكتمال اللاعبين تبدأ اللعبة بأن يقف اللاعبون فى صف واحد ويقابل اللاعب وجها لوجه ثم يقوم برمى قطعة عظم بيضاء (حتى يراها الجميع) بكل قوة خلف اللاعبين وهو يقول عظيم سرى. فيرد عليه اللاعبون "وين سرى وين راح" : ويذهب الجميع للبحث عنها، ومن استطاع أن يجدها، يصيح بأعلى صوته "سرى" وبقية اللاعبين يحاولون الأمساك به فإذا استطاع التخلص منهم والوصول إلى النقطة التى رمى منها العظمة فإنه يستلم اللعب ويقوم هو برمى العظمة، أما إذا أمسك به أحد اللاعبين فإنه يحمله إلى النقطة التى رمى منها العظمة ويسلمه العظمة لكى يقوم برميها، وفى بعض الأحيان إذا أجمع عليه اللاعبون وأحس بأنه ليس له مخرج منهم يقوم برمى العظمة والتخلص منهاحتى لا يقوم بحمل أحد ولكن بشرط أن يرميها قبل أن يمسكوا به، أما فى "الحائر" فإن اللاعبين ينقسمون إلى فريقين، والفريق الذى يكون مع أحد أفراده العظمة، تحاول فرقته تسهيل مهمته، وأبعاد أفراد الفريق الثانى عنه حتى يصل إلى نقطة البداية، أو يستلم العظمة منه أحد زملائه ويكمل بها الانطلاقة.

لعبة الكعابة : " الكعابة" جمع كعب وهو العظم الموجود فى مفصل القدم، "وقد شاهدت الباحثة بعض هذا العظم يحتفظ به صاحب المنزل"، ويقوم الصبيان بجمع العظام، لأنهم فى طفولتهم كانوا يحتفظون بها للعب دوما، وكانوا يحصلون عليها من مفاصل أرجل الضأن والماعز بعد ذبحها، وأكلها ثم يحجزها الأولاد وينظفونها، ويكثر انتشار هذه اللعبة فى عيد الأضحى المبارك نظرا لكثرة الأضاحى، ويتسابق الصبية فى هذا العيد لجمع هذه الكعابة واللعب بها.

ويقوم اللاعبون بعمل دائرة ومربع من الكعاب التى سوف يلعبون بها، وعلى بعد خمسة أمتار يقف اللاعبون ويأخذ كل لاعب معه واحدة كبيرة تسمى الصولة، ثم يصوب اللاعبون بالصولة على مربع أودائرة الكعاب، فإذا أخرج شيئا منها فإنها تكون من نصيبه، ثم يعيد التصويب من المكان الذى وقع فيه الصولة، فإن استطاع أن يخرج شيئا من الكعابة مرة أخرى فإنها تكون أيضا من نصيبه، أما إذا لم يستطع إخراج شىء فإن اللاعب الثانى يبدأ اللعب، وهكذا تستمر حتى تنتهى جميع الكعاب الموجودة.

لعبة الصقلة ، وهى تعرف فى مصر باسم لعبة "الكبة"، وهى عبارة عن خمس حصوات صغيرة مدورة تجمعها الفتيات وتأخذ واحدة من هذه الحصوات وتقذفها إلى فوق وتلتقط واحدة من الأرض، ثم تلتقط التى فى الهواء قبل وصولها إلى الأرض إلى أن تنتهى الحصوات، ثم تكرر قذف الحصوة وتلتقط فى هذه المرة حصوتين مع بعضهما، ثم فى المرة الثالثة ثلاث حصوات ثم الأربع حصوات لمرة أخيرة، وبعد ذلك تقذف الحصوة فى الهواء، وتضع بقية الحصوات فى الأرض، ثم تلتقط الحصوة المقذوفة قبل أن تصل للأرض، ثم تقذف الحصوات كلها وتلتقطها على ظهر اليد، وبقدر العدد الذى يظل على ظهر يدها تكون قد كسبته.

لعبة طاق طاق طاقية : وهى تشبه اللعبة المصرية "مافاتش عليكو الديب" وفيها تجلس الفتيات على شكل دائرة وتمر واحدة من خلفهن وفى يدها أى شىء ثم تترك هذا الشىء خلف واحدة من الجالسات، فإذا أحست من ترك الشىء خلفها تأخذه وتجرى خلف اللاعبة لتمسكها قبل أن تصل مكانها، وإذا وصلت تأخذ مكانها وتكمل الفتاة الأخرى اللعبة.

وبجانب هذه الألعاب المشهورة توجد ألعاب أخرى ليست بنفس الشهرة، ولكنها كانت موجودة مثل "الطيبان"، و"قرون حنباح" بالقصب. وبالغطغط لعبة للذكور أيضا يقال فيها ((هلهولى ياهلهولى غزيت وجبت حجولى، وحجولى بأربع ميه ياويلى من خد أميه خدمت أعيال عمى على زل وزوالى)) ... ، ونجد نفس اللعبة بالقصب، لكن تلعبها الفتيات فيقلن : (بحى بحى ياليله، غزيت وجبت حجيلى وحجيلى بأربع ميه، خطبنى ولد عمى، على زل وزوالى ، على فرشه عمانى))... وهنا نجد أن المعانى ترتبط بجنس اللاعبين، وثقافتهم والبناء الاجتماعى ككل.

ومن الألعاب المشهورة أيضا بمجتمعات نجد : (جانا الغرّيب يردى يردى ومخضب بالوردى) ، وهى للبنات.

أما الأولاد الصغار فكان لهم الدنينه، وهى عبارة عن عجلة مستديرة وتساق بسلكة أو عصا، وهى تسمى لعبة الطوق فى مصر.

هذا بالإضافة إلى ألعاب كثيرة قد وجدتها الباحثة تشترك أيضا مع مجتمعات عربية أخرى مثل المجتمع المصرى، فعلى سبيل المثال لعبة الخطة، وهى خاصة بالبنات وتسمى فى مصر" بالحجلة "..... وهكذا * .

- المعتقدات الشعبية :

تقديـــــــــم :

تزيد المعتقدات الشعبية بالمجتمعات البدائية فهى تساعد الأفراد على الوصول إلى الوسائل الفعالة – من وجهة نظرهم – التى تعينهم على التحكم فى البيئة، والاستعداد لمواجهة بعض الأحداث الطارئة [١].

• السحـــــــر :

ظاهرة اجتماعية موجودة فى كثير من المجتمعات بما فى ذلك المجتمعات البدوية، وإن اختلفت طقوسه وممارسوه من مجتمع إلى آخر حسب الظروف الاجتماعية والحضارية التى تسود كل مجتمع على حدة، وللسحر ممارسوه الذين يتفرغون له تماما، أوقد يجمع ممارس السحر بينه وبين مشاغل دنيوية أخرى، وهناك صور متعددة للسحر فى المجتمعات البدوية، مثل صانع المطر والعين الشريرة .. الخ .[٢].

وكانت مهمة الباحثة شاقة عند السؤال عن موضوع السحر، حيث التكتم التام فى مجتمعات الدراسة الثلاث وبالتقصى علمت الباحثة أن هناك عقوبة شديدة لمن يزاول السحر حسب الشريعة الأسلامية، ولذلك كان الأخباريون يؤكدون تماما أن هذه الأمور كانت موجودة قديما وألغيت تماما وعندما بدأت الباحثة السؤال عما كان موجودا قديما، وجدت استجابة ببدء سرد القصص على أنها حدثت فى الماضى البعيد، والتى اختارت منها الباحثة نماذج مختصرة ستوردها فيما يلى :

---

* لقد جمعت الباحثة مادة طريفة بخصوص هذه الألعاب ولايتسع عرضها فى مثل هذه الدراسة، وسوف تحاول الباحثة أن تقدمها فى دراسة مستقبلية إن شاء الله.

(١) فوزيه دياب : القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضه العربية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ١٨٣ .

(٢) صلاح مصطفى الفوال : علم الاجتماع البدوى، مرجع سابق، ص . ص ٢٧٥ – ٢٧٨.

كانت المرأة تعمل لزوجها السحر لكى يظل طوع أمرها أو لا يتزوج عليها، كما كان البعض يضع السحر عدوانا على الآخرين وككيد بحيث يجعل هذا الإنسان المسحور لايطيق حياته ولايعرف النوم، والبعض يستخدم السحر للتفرقة بين زوجين لأسباب كيدية ....الخ.

وللسحر طرق كثيرة فقد يعمل بشعر الإنسان المراد إيذاؤه أو بأظافره، أو بقطعة من ملابسه التى سبق لبسها، وبأشياء أخرى .... ، وعلاج السحر عن طريق مادة الرصاص : تقوم الساحرة بقراءة بعض العبارات عليها ثم مسحها على جسم المريض ثم تقوم بتسييحها على النار ثم يصب هذا الرصاص المصهور فى إناء به ماء ، فإذا كان شكل الرصاص متساويا فإن المريض ليس به سحر أما إذا تشابك وظهر به أشكال فهو مسحور، وتفسر الساحرة شكل الرصاص فيكون على شكل إنسان أو شكل ثعبان، بعد ذلك يلف هذا الرصاص فى قطعة قماش ويوضع فى أربعة مفارق، وهناك طرق أخرى ذكرها الأخباريون لعمل السحر مثل وضع سحر معين فى مشروب للأنسان المراد سحره أو عمل سحر ودفنه أو استخدام الجان لاستخراج السحر من المكان الموجود فيه إلى آخره من القصص.

• الجـــان .. "الجن"

عند السؤال عن الجان أكد الجميع علي وجود الجن نظرا لذكره فى القرآن ، وأكدوا أن هناك "نوعان من الجان ، جان مسلم وجان كافر، ومعظم قصصهم كانت على النوع الثانى من الجن وكل ماذكر عن الجان المسلم أنه يدخل فى الانسان إذا أوذى منه مثل دفق الماء الساخن بدون ذكر اسم الله، وهذا علاجه سهل، ويكون عن طريق أخذ عهد بخروجه من الشخص بدون عودة وبدون أذى، ودائما يخرج هذا الجن من إصبع القدم الصغير كى لايؤذى أى عضو يخرج منه من الجسم، أما إذا كان غير مسلم فهو صعب الخروج ولا ينفع فيه القراءات كالمسلم ، ولذلك كان على المعالج أن يقوم بضربه ضربا مبرحا أو خنقه أو تخويفه بالنار، وبالطبع كل هذه الأمور تنفذ فى الأنسان المسحور، ويظل المعالج يضيق عليه الخناق حتى يخرج من العضو المراد، ولذلك أكد جميع الأخباريين على أنهم ينصحون أطفالهم بعدم الصراخ فى الأماكن المهجورة أو اللعب فى الرماد لأن ذلك يؤذيهم حيث يتواجد الجن فى هذه الأماكن، أما الكبار فيذكرون دائما البسملة إذا دخلوا هذه الأماكن أو قاموا برمى حجارة أو ماء ساخن كى لاتصيب أحد أفراد الجن فيؤذى، لكن ذكر البسملة أو شهيق الإنسان يمنع الأذى ، وقد ذكر بعض الأخباريين أن الجن يظهر للإنسان على هيئة إنسان معين يعرفه أو حيوان مثل قطة سوداء أو حمار أو كلب، وإذا خاف الأنسان ولم يذكر أشياء من القرآن وذكر الله كثيرا ، فيدخل فيه هذا الجن، ولذا كان يعطى للأنسان الذى يخاف جزء من شعر ذئب يحمله معه دائما لأن الجن يخاف من الذئب، كما

يتلاشى الناس الجان فهم لا ينامون عند ممرات كى لايؤذوا بمرور الجن من هذه الممرات، وعدم خبط الأشياء بشدة فى الليل كى لا يأتوا الجن وبالتالى يؤذيهم.

• مخاوف الاطفال فى القديم :

السعلــوة : من الأشياء المشهورة فى مجتمعات الدراسة الثلاث هى السعلوة، فيخوف بها الأطفال على أساس أن هناك حيوان يشبه "الضب" يقال عليه "ضب السعلوة" فإذا كان الطفل كثير البكاء فيقال له "جتك السعلوة" فيخاف الطفل.

حما رالقايلة : وتنطق بالجايلة : تقال هذه للأطفال عندما يريدون الخروج فى الشمس، فيخوفون بهذه العبارة، كى يتقوا مضار الشمس.

الويل ويل أكال التمر فى الليل : تقال هذه إذا أراد الطفل أكل التمر فى الليل حتى لاتؤذى أسنانهم.

جاك الديب : نوع من تخويف الطفل كى ينام.

عوافى الله حلى وانزلى : ويقصد بها عافية الله عز وجل فيقولونها بالجمع وهى دعاء بالعافية للطفل.

جاكم سدد العيون بالخرق : تقال إذا لم ينم الطفل فيخاف ويغمض عينيه حتى لايرى هذا الشىء.

عبيد القاعــة : (الجــاعة) : يخوف الطفل كى لايذهب الى البئر وحده فتقوم الأم بعمل صوت عند البئر فيخرج صدى الصوت فيخاف الطفل من هذا المكان.

حلومة الجنية : وهى كى ينام الطفل ويقلد له بعض الأصوات.

• القصص الأدبية والأساطير :

أما القصص الأدبية والأساطير الخرافية فمجتمعات الدراسة ذاخرة بالكثير منها، فهناك الأساطير ذات المسحة الدينية المقدسة ، كما أن هناك القصص الغيبية والقصص الأدبية ذات المغزى الأخلاقى التى تهدف إلى استهجان أو استحسان صفات معينة، وسنرد أمثلة لهذه الأنواع باختصار شديد :

- القصص الأدبية فى مجتمعات الدراسة :

كان الفتيان والفتيات الصغيرات يلتفون حول الجد أو الجدة ليلا وبعد الانتهاء من العمل الشاق للاستمتاع بالقصة وتسمى فى مجتمعات الدراسة - سالفة - وكانت القصة قديما* من الوسائل الهامة للتسلية فى مجتمعات البحث حين كانت وسائل التسلية والترفيه الحديثة غير معروفة لهم وبعيدة عن إمكانياتهم البدائية البسيطة.

وكانت رواية القصة تبدأ بذكر الله وتوحيده فتقول "هنا هاك الواحد والواحد الله سبحانه فى سماه العالى أو المعتلى فى مكانه".

وكانت هذه القصص ترويها السيدات الكبار للأطفال، أما الرجال وخاصة بالبادية فلم تكن أحاديثهم وسمرهم إلا عن بطولات القبيلة وانتصاراتها، وكم تغلبت على مر الزمان، والافتخار بماضيهم أو حاضرهم. وتجدر الأشارة هنا إلى أن مجالس الرجال إلى الآن يغلب عليها نفس الأحاديث.

يمكن أن نستخلص من القصص والأساطير التى انتشرت فى مجتمعات الدراسة مايلى :

- إنها تؤكد على قيم معينة مثل عدم الظلم وعاقبة الظلم وعقاب الظالم، وأيضا ثواب الصبر والاحتمال كما فى قصة "القطية"، التى تحكى عن فتاة عانت من قسوة زوجة الأب، ولكنها فى النهاية تنال خيرا على صبرها بزواجها ابن السلطان.

- إنها توضح الدور الاجتماعى للمرأة البدوية فى مجتمعات الدراسة حيث وصفت القصة الدور الذى تلعبه داخل البيت أو خارجه، فهى تنظف البيت وتعد الطعام وتروى، - أى تنقل الماء- وترعى وتحلب وتحطب فى البيئة الرعوية، هذا بالإضافة للعمل بالحقل فى البيئة الزراعية، كما فى قصة "الأرملة والعفريت الذى أولاده من حجارة".

---

* للقصة وظيفة اجتماعية فهى تقوم بنشر قيم أخلاقية، لتنظم الاتجاهات والافعال فى مجتمع ما، والاسطورة هنا فى مجتمع البحث تستمد قيمها من القيم الدينية، فتركز على التمييز بين الخير والشر والحلال والحرام والثواب والعقاب، لترشيد السلوك.

– إنها توضح صورا من مظاهر الحياة الاجتماعية التى كانت سائدة عند السلف من عادات وتقاليد ومفاهيم وقيم كالتعصب القبلى والزواج من نفس القبيلة، أو حجز ابنة العم، أو الزواج من نفس المستوى الاجتماعى والاقتصادى. كما فى قصة – سالفة – شيخ القبيلة وكيف زوج بناته السبع والفتاة التى تزوجت بشخص أقل منها مكانة.

– كما أنها تصور استهجان المجتمع للحب أو التعرف قبل الزواج، وعدم زواج المحبين كما فى – سالفة – أبوزيد الهلالى ومحبوبته عالية".

– إنها تؤكد مدى الحرص على بناء الأسرة وكيانها وصونها من الانحلال والتفكك، وتنهى عن العلاقات غير المشروعة كما فى قصة "احفر لأربعة" وهى قصة الزوج الذى قتل زوجته وشريكها والمرأة التى ساعدتها فى الحرام، وكما فى حكاية "ألا صيقع وألا بيقع".

– إنها تصور الارتباط بالخالق عز وجل ، و اللجؤ إليه فى الشدائد مثل " سالفة محمد وزوجته العاقر" حيث ابتهلت الزوجة العاقر فى صلاتها أن يرزقها بالذرية وقد حقق الله دعوتها.

– إنها كانت تصور أهمية الشجاعة والشهامة وإن هذه الصفات تسمو بالإنسان كما فى قصة "جهم مع جلال" حيث أحرز جلال بطولات فى الزود عن القبيلة وشرفها، فتزوجته جهم وفى نفس القصة استهجان للصفات الذميمة مثل السرقة [1].

• الأساطيـــــــر :

فى كل مجتمع من مجتمعات الدراسة سمعت الباحثة قصصا لايمكن حصرها، ولايتسع المقام لجمعها ولذلك سنذكر نماذج منها فقط *.

غيلان وابنته : وهى تروى بمجتمع (القصب) وتبين نظره عدة الارتياح فى المجتمع قديما لانجاب الإناث. كان غيلان رجلا غنيا ، يسافر كثيرا، ولا يحب البنات، فلما أنجبت زوجته بنتا أخفت عنه الخبر، ولكنه علم بالسر وحاول قتل الفتاة، فاختار يوما شديد البرد ومر بها وهى

---

(١) فادية سعود الصالح : التراث الشعبى السعودى ودوره فى إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية، ورقة مقدمة من وكالة الرئاسة لكليات البنات ، فى إحياء التراث الشعبى، ١٤١٠ هـ ، ص . ص ٢-٦.

* هناك أساطير مشتركة بين مجتمعات الدراسة، وبين مجتمع نجد ككل، ولايمكن أن تحدد علاقة كل من هذه الأساطير بمجتمع بعينه.

تلعب مع رفيقاتها، وكانت ترتدى ثيابا خفيفة. فأخذها معه وركب ناقته وأركبها خلفه، وكان الجو شديد البرودة فاشتكت البنت شدة البرد فسكت غيلان وواصل سيره. ولما كان البرد لايطاق والمطر خفيفا يبلل الجسم، أعادت ابنة غيلان شكواها لوالدها، ولكن غيلان لايجيب، وقد استمر غيلان فى سيره وكان الليل قد دخل عليهما، ومضى أكثره وغيلان ماض فى سيره، وفى تلك اللحظات أحست ابنة غيلان بتجمد أطرافها فقالت :

قلبك ياغيلان من قاسى الصفـــا   والا الحديد ياغيلان يلين

وعندما سمع غيلان قولها رق قلبه وأخذ عباءته وغطاها، ولكن الفتاة كانت قد فارقت الحياة.

وهناك أساطير كثيرة يذكر منها الأخباريون الكثير مثل قصص الغول، والغول والرجل، وقصص الجن "غيلان وأخواله الجن" وكلها من الخرافات الشعبية، وقد سرد للباحثه قصص طويلة من هذا النوع ولا يتسع المكان لسردها.

الطـــب الشعبـــى :

إن الحديث عن الطب الشعبى حديث قد ينطوى على قدر من اللبس والغموض حول معنى الطب الشعبى ... فالطب الشعبى جزء من المعارف الشعبية التى تكونت عبر أزمنة طويلة، كانت التجربة والاستنتاج هى أساس تطورها، ولقد استمرت لارتباطها بالطبيعة، وبظروف مجتمعية، فهى تستخدم ماهو موجود فى البيئة الطبيعية ومتوفر من أعشاب ونباتات، حيث كان الإنسان والحيوان راحلا من مكان إلى مكان وأينما يصاب أحد بمرض، فيجد الدواء فى أعشاب المروج المجاورة، فيصنع منها الشراب والمراهم .. الخ.

وهنا قد يأتى الشفاء عن طريق الثقة فى قدرة الله عز وجل، فكما خلقه، خلق معه النبات والحيوان وكل هذه المخلوقات يكمل بعضها بعضا، وكما خلق الداء خلق له الدواء، وعلى الإنسان أن يبحث عنه [1].

---

(١) نورة الطياش : الطب الشعبى، ورقة مقدمة من وكالة الرئاسة لكليات البنات فى إحياء التراث الشعبى، ١٤١٠ هـ ، ص٢.

مفهوم الطب الشعبي :

هو نوع من التداوى الذى يقوم به محترفون لهذه المهنة أو غير محترفين وهم يرثونه أبا عن جد، مكتسبون للخبرة عن طريق الممارسة، مستخدمون للأعشاب وكبد الطيور والحيوانات والدهانات و "المبسم" القضيب الحديد الذى يتم به كى المرضى، وهذا النوع من الطب قديم وله خطورته ولكن مازال يمارس، وهو فى الدرجة الأولى طب وقائى (١).

ولقد كان الطب الشعبى هو الوسيلة الوحيدة المتاحة فى مناطق الدراسة حتى وقت قريب "حوالى ثلاثون عاما" نظرا لظروف المنطقة وعزلتها، ويعتبر الطب الشعبى عنصرا من عناصر المعتقدات الشعبية، فعن طريق الخبرة لدى كبار السن والمتاح فى الطبيعة من أعشاب ونباتات، والتدليك والدهانات والكى بالنار كانت وسائل التداوى والعلاج، وسوف نعرض لبعض الأمراض وكيفية العلاجة * فى مناطق الدراسة :

الصـــــداع : ويعالج بطريقة الفصد، وذلك عن طريق تجميع الدم فى الجبين حتى يتوسط الجبين ثم يقومون بعمل جرح فى الوجه كشق، وإخراج الدم – فيزول الألم.

أو تعجن الحناء مع الزنجبيل أو القرنفل وتوضع على الرأس.

آلام الرأس الدوخة : يخلط دهن الورد "الطيب" – دهن البيذان – نصف زجاجة خل أبيض – وتستعمل للرأس كل عشرة أيام.

المسبع : ويسمى بالأخت، ويحدث جروحا وتقيحات، والعلاج :بالصعوط، وهو خليط من "الشبه – أبهر – لسان طير – نيله عراقية".

مرض الوجـــه : وهو مرض يصيب أعصاب الوجه ويحدث بعض التشنجات، ويحدث أصابة فى أحد جانبى الوجه، ويسمونه ميلان فى الوجه، ويعالج بالكى فى أربعة مواضع مختلفة موزعة على مناطق فى الرأس وهى : نهاية الشفتين من الجهة المصابة – خلف الأذن – أعلى الرأس (الهامة) – من أسفل الرأس عند الرقبة.

---

(١) أمين رويحة : الطب الشعبى ، دار القلم، بيروت، ط ٣ ، ١٩٧٤م.

* هناك طرق متعددة للعلاج فمنها الحجامة، ومنها الكى بالنار، ومنها التداوى بالأعشاب عن طريق الشرب، أو من الظاهر كاللبخة ويطلقون عليها – الصبخة – وهناك طرق لاتدخل ضمن هذا التصنيف.

مرض الصفار : أو الصفرة حيث يصبح لون جلد الانسان مائلا إلى الصفار ويسمى (الشفار)، ويعالج : بالكى فى أعلى الرأس، وفى أسفل الرأس عند الرقبة، والفقرة السابعة من فقرات العمود الفقرى.

الكحـــــة : وتسمى أبو حمير، أو الكحة الشهاقة : وعلاجهما يتم عن طريق الكى فى الصدر أو يسقى المصاب حليب حماره، ولذلك سميت بكحة أبو حمير، وسميت بالكحة الشهاقة نظرا لأن صاحبها عندما يكح يشهق ، وإذا لم يشف المريض يسقى دم الضب بعد ذبحه فورا.

الرمـــــد : ولعلاج الرمد كانوا يضعون حبيبات (القرمز) الخضراء توضع فى قماش شاش ويربط ثم يوضع فى فنجان به ماء ثم يعصر فى العين، أو يقشر (القرمز) ثم يسحق ويذر فى العين التى بها بياض.

الجـــروح : إذا كان الجرح كبيرا يخاط بطريقة بدائية، أو يقطرون عليه بشحمه، ويمنعون المجروح من شم روائح العطر واذا شم يبخر الجرح بكمون أو بقشر بصل لقطع الشم.

الأمراض التى تصيب الرحم :

- الرطوبة : وعالج بخلط (سوبداء - فلفل أسود - حلبه - رشاء - شبه بيضاء) تؤخذ نصف ملعقة صغيرة مرتين يوميا فى الصباح والمساء.

- العقـــم : ويعالج : مرة - ملح - تعجن بالعسل - وتقطع سبعة قطع وتستعملها السيدة فى أيام الحيض على شكل تحميله (لبوس).

علاج أو تجبير الكسور : وذلك بوضع جبارة تتكون من أعواد من الخشب وخرق وتربط لفترة معينة حسب الكسر.

علاج العنكبوت أو العبه : وهى جرح يكون فى اليد ويسمى "نوحاس"، وتعالج : بالكى من فوق المرفق .

الدمامـــل : كانوا يقومون بشواء البصل ثم يوضع على الدمل أو يوضع فوقه عجينه وملح أو تمرة ورشاد، وإذا انفتح الدمل يدخل فى رأس الدمل صابونه لسحب القذارة التى بداخل الدمل.

علاج لدغة العقرب : وذلك عن طريق الكى.

لدغة الأفعى : تعالج اللدغة عن طريق ربط المكان الذى لدغ فيه حتى لايسير السم فى باقى أعضاء الجسم، ثم يشرط لينزل الدم مع السم، ويسهر عند الشخص الملدوغ عدة أشخاص، ويقومون بالتطبيل لكى لاينام ويسير السم فى أعضاء جسمه، ولمدة ثلاثة أيام.

أمراض البطن : لعلاج المغص كان يشوى على النار ليمون أسود ثم يدق الليمون ويضاف له قليل من الملح ثم يضاف عليه ماء ويشربه المريض.

البطن الجاف - اليابس : ويعالج بفنجان من دبس الرمان ويخلط مع الماء ويشرب قبل النوم.

الشلل - الأعصاب : العلاج : دهن البيزان - دهن الجنزبيل - دهن الدارسين (القرفة) - دهن الهيل - دهن المسمار (القرنفل) - دهن النمو - وتخلط مع زيت الزيتون ويدلك بها المريض كل يوم مرتين.

الفهق : وهو مرض يصيب الأطفال وهى تشنجات وعلاجها : الكى مع دواء "الصعوط".

العظم أو العظيم أو السقاط : وهو مرض يصيب الأطفال، ويحدث عندهم نزول عظمى من أعلى "السقف" سقف الفم" والعلاج : بطريقتين :

١- الترفيع : إدخال إصبع السبابة والضغط على هاتين العظمتين سبع مرات حتى يشعر الأصبع بهاتين العظمتين .

٢- الكـــى : يكوى بالنار من أعلى الرأس - ومن أسفل الرأس

- **العرق** : عرق النساء :

العلاج : الكى من ثلاثة مواضع : أسفل القدم عند الأصابع ، فوق الركبة ، أسفل الفخذ. وهو يؤثر على أعصاب الحس مما يحسن الحالة.

- أوجاع المفاصل : وتعالج بالكى .

العضـــــــا : وهو يحدث دوخة وقشعريرة ورجفة، ويعالج : بالكى فى ثلاثة مواضع : أعلى الرأس ، أسفل الرأس ، فى منتصف الساق.

مرض العفنة : يصيب الأطفال مسببا لهم إسهالا وقيئا، ويعالج : بالكى ولكن بقطعة خشب وهى المستعملة مع الأطفال وليس الحديد لأن جسم الطفل ضعيف، وفى بعض الأحيان - عند بدو الحائر - بقطعة حديد رفيعة.

رائحة الأنف : وهذا مرض يصيب الأنف ويترك رائحة كريهة، وتعالج بـ : عنبر أبيض - قليل من السويداء - عود عويد - "عود مسمار" - سمنة بريه - تغلى جميعا وتصفى وتستعمل بعد ذلك كقطرة للأنف مرة كل خمسة أيام.

بياض العين : وهذا المرض غمامة بيضاء على العين تصيب الأنسان، وتعالج : بذبح أرنبين مصريين كبيرين وتؤخذ مرارتهما وتخلط مع قطرة المرجان، وهى قطرة طبية، ويقطر المزيج كل يومين مرة واحدة، وعند استخدام هذا العلاج يجب على المريض الاحتجاب "الحميه" عن بعض المأكولات وهى : لحم الدجاج - لحم الجمل - الألبان ومشتقاتها.

الحصبة : تعالج الحصبة عن طريق وضع الرماد على المكان الذى يحكه المصاب بالحصبة، وكانوا يقومون بوضع سمن وكحل مع بعضهما وتخلط وتسقى للمريض.

آلام الأسنان : اذا كان الضرس به حفرة عميقة يوضع بداخلهاقرنفل أو حلتيت، وإذا لم يخف الألم فإنهم يخلعون الضرس (بزرادية).

الأمراض النفسية والعصبية : إذا كان الشخص مريضا بمرض نفسى فإنه يذهب إلى المطوع ليقرأعليه وتسمى "العزيمة" ويقال عليه " سكنى" أى ساكن أو ساكنها عفريت أو جنى *، ويذهبون به إلى مطوع ويتركونه مع المطوع لكى يحدثه عن سبب دخوله الشخص ثم بعد ذلك يضرب المطوع الجنى بالخيزان، (وفى مجتمع الحائر الحاضرة : يخنق المريض كى يخرج الجن أو يخيف الجن بالنار، بأن يأتى بنار ويقربها من جسم المريض. أما حائر البدو :

* يطلق على الجان أو الجن لفظ (جنى) .

فيخرج الجن " بكى المريض بالنار " أو باستنشاق مادة "الصعوط"، وهى مثل النشوق أو يذاب "الصعوط" فى ماء ويشربه المريض .، ويطلب منه أن يخرج من المريض وأن يعاهده بألا يعود إليه مرة أخرى فيعاهده الجنى، ويدعو على نفسه بالذنب فيقول (جعلنى الذيب ولا طيحة بالقليب)، وذلك لأن الجنى يكره الذنب ويكره الوقوع فى "القليب" وهو البئر ثم يطلب المطوع البخور، ثم يبخر الجنى بالعود فيخرج من رجله اليسرى، إذا كان من أهل الخير، أما إذا كان من أهل الشر فإنه يرفض معاهدته، وأحيانا يعمل للمريض "زار" ويسمى "الزيران" بالحائر.

فصل ختامـــــى

الاتجاهات العامة للتغير

- التغير فى الخدمات والمرافق - البنية الأساسية :

- مقدمـــــة .
- الزراعـــة .
- الميــــاه .
- المواصلات .
- الكهربــاء .
- التعليـــم .
- الإســـكان .
- الصـــحة .

- التغيرات البنائية : -

- الاستمرار والتغير فى البناء الأقتصادى .
- الاستمرار والتغير فى البناء السياسى

الاستمرار والتغير فى التراث الشعبى :

- الاستمرار والتغير فى عادات دورة الحياة .
- الاستمرار والتغير فى عادات وأداب المائدة .
- الاستمرار والتغير فى عناصر الثقافة المادية .
- التغيرات اللاحقة بتوطين البدو والإقامة بالهجر .
- الاستمرار والتغير فى الالعاب الشعبية وألعاب الأطفال .
- الاستمرار والتغير فى نمط الأسرة .

- " التغير فى الخدمات والمرافق - البنية الاساسية "

• مقدمـــــة :

إن الفترة السابقة على ظهور النفط ، لم تكن الدولة تملك الموارد الاقتصادية التى تمكنها من توفير الخدمات الهيكلية الأساسية الاجتماعية منها والمادية .

ومنذ أن قام الملك عبد العزيز بتوحيد الدولة فى عام ١٩٣٢ م ، بدأت الأمور تأخذ فى الاستقرار ، وبدأت تأخذ شكلها الحديث فأنشئت بعض الدوائر الحكومية ، كالصحة والبلديات ، والمعارف ، والأمن ، والتجارة ، والصناعة ... أى تركز الجهود لاستكمال التكوين السياسى والإدارى ، وبدأ ظهور دور متزايد للحكومة فى الاهتمام بتوفير بعض الاحتياجات الأساسية للمواطنين .. كما قامت الحكومة باتباع أسلوب التخطيط للتنمية ، ووضعت أول خطة خمسية للتنمية فى عام ١٩٧٠ م / ١٣٩٠ هـ ، ثم توالت بعد ذلك الخطط الخمسية .

وكانت أهداف هذه الخطة تتضمن ثلاثة أبعاد :

– البعد الاقتصادى : ويشمـــل تنمية التجهيزات الأساسية والصناعات الأساسية والزراعة .

– البعد الاجتماعى : فتوسعت فى فرص التعليم المجانى بكافة مراحله وتوافرت مرافق الخدمات الصحية ، والخدمات الاجتماعية المختلفة ، وأعطى الأسكان اهتماما خاصا من خلال القروض والتسهيلات الميسرة .

– البعد التنظيمى : وتناول إدخال تغيرات أساسية على التنظيم الإدارى واللوائح والأنظمة ، فأنشئت مؤسسات جديدة وصدرت أنظمة ولوائح تواكب متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وسوف نتناول كل بعد من هذه الأبعاد على حدة :

• الزراعـــــة :

جاء استقرار النجديين حول الأمكنة التى تتوافر فيها مصادر المياه اللازمة لقيام الزراعة ، مثل جوانب الأودية المشهورة ، والواحات المختلفة . وقد يكون اختيار موضع الاستقرار ناتجا عن وقوعه على طريق تجارى . لكن صلاحيته للزراعة كانت تفوق كل اعتبار .

ولأن الزراعة كانت أهم مقومات الحياة الاقتصادية لدى حاضرة نجد ، لذا أولوها عناية كبيرة حسب ظروفهم وإمكانياتهم . وكانت هناك محاصيل زراعية ، وخضروات ، وفواكه ، لكن النخيل كان أهم تلك الأنواع لدى السكان . فثمارها أساسية فى تغذيتهم .

وكانت تواجه المزارعين مشكلات متعددة ، فقد كان على المزارعين أن يحفروا آبارا يستخرجون منها الماء ، وهذا بالطبع مكلف ويحتاج إلى الطاقة الحيوانية .

ومع التحولات الاقتصادية ظهر دور الحكومة بجلاء ، فتم استغلال الأراضى التى لم تكن مستغلة فى السابق ، كما تم توفير موارد جديدة للمياه ، كما قدمت الدعم المالى للمستلزمات الزراعية الهامة لمزارع القطاع الخاص ، بما فى ذلك شراء معظم الآلات والمعدات الزراعية والأسمدة ، وتقديم حوافز مباشرة للتسويق لمنتجى القمح وغيرهم .

ومع هذه التغيرات الاقتصادية وما نتج عنها من تغيرات اجتماعية ظهرت أنماط اقتصادية جديدة ، منها ظهور مشروعات اقتصادية الغرض منها العائد المادى النقدى ، وظهور فئة لا يمارسون العمل الزراعى بأنفسهم ، ولكن يستثمرون أموالهم فى مشروعات الإنتاج الزراعى والحيوانى – وأغلبهم من الملاك الغائبين وأغلبهم لهم تجارة خاصة – ويعمدون إلى شراء الاراضى الزراعية ، واستخدام الرى الميكانيكى الحديث * كنوع من الاستثمار فيزرعون أو يربون الماشية لاستغلال المنتجات التى تحقق من بيعها عائدا كبيرا ، وأصبحت العمالة الزراعية الآن تتلقى أجرا شهريا ، وهى عمالةمن خارج المملكة ، واختفت الأيدى الزراعية من أهل القرى ، – حيث التحقوا بأعمال حكومية أو تجارية ... الخ – كم اختفى " الجمال " الذى كان يستخدم الجمل فى نقل المنتجات ، وحل محله العربات النصف نقل – الونيت – ، واختفت الأسواق الأسبوعية وانتقلت إلى الأسواق المركزية الخاصة بكل مجتمع .

---

* كان نظام الرى يعتمد على المطر أى السيل ، أو عن طريق الآبار وبطريقة بدائية هى – السوانى – اصبح الرى الحديث عن طريق المضخات والأنابيب التى تنقل المياه من مكان استخراجها إلى مكان استغلالها ، وقد أدى هذا الأسلوب إلى جفاف كثير من الآبار بالقرى ، ولم يعد إلا القليل الذى يمكن استغلاله فى زراعة الأرض ، هذا إلى جانب انخفاض منسوب المياه الجوفية ، مما أدى إلى ارتفاع تكلفة عملية حفر الابار – وقد أشار أحد أصحاب المزارع بالغطغط ، وهو ليس " عتيبيا " بل أتى لشراء هذه المزرعة كنوع من الاستثمار ، قد أشار إلى أن تكلفة استخراج المياه أصبحت أعلى من إمكانياته فى الوقت الذى سمحت إمكانيات بعض المزارع المجاورة – وهو أيضا من المستثمرين وليس من أهل الغطغط ولكنه من التجار الكبار بالرياض – بأن تفى بكل احتياجات المزرعة المائية .

المجمعات القروية :

كما ظهرت فكرة المجمعات القروية كأسلوب خدمة يتناسب والظروف الطبيعية والسكانية لقرى وهجر المملكة ، وقد وصلت خدماتها لجميع مجتمعات الدراسة ، كما تتولى الشئون البلدية والقروية تقديم خدمات كثيرة لهذه المجتمعات ، وإنشاء شبكة مياه .

التكنولوجيا الحديثة :

كانت مجتمعات الدراسة منعزلة ، ومواردها الاقتصادية شحيحة مما ترتب عليه أن تكون تكنولوجيتها بسيطة لأن ظروفهم لم تكن مهيأة لاستخدام هذه الوسائل التكنولوجية متمثلة فى الاختراعات الحديثة ، فقد كانت الظروف السائدة لا تساعد على استخدام هذه الوسائل الحديثة ، وبعد التصال الثقافى والتحولات الاقتصادية تقبل المجتمع الكثير من المخترعات والتكنولوجيا المتقدمة ، واستخدمت فى مجالات كثيرة منها ما يخدم الميكنة الزراعية ، مما كان له أثره فى الحياة الاجتماعية من تغيرات جوهرية * .

• الميـــــاه :

اعتمد على الكهرباء فى استخراج المياه سواء للزراعة أو الشرب ، كما بدأ البحث عن موارد للمياه ، وتم قيام مشاريع للتنقيب عن المياه وإقامة الخزانات وما إلى ذلك ، علاوة على مشروعات تحلية المياه من البحار واستخدامها لجميع الأغراض ، وتم توصيل المياه بواسطة الأنابيب لجميع البيوت .

• المواصلات :

لقد تم تنفيذ البنية الأساسية لشبكة الطرق التى ربطت جميع أرجاء المملكة ، ولقد تحولت وسائل النقل من الخيل والإبل إلى السيارات والطائرات والقطارات ، وتم تحسين الطرق القديمة وتوسعها ، ومد شبكة من الطرق الداخلية المعبدة التى تتكامل مع بعضها لربط هذه الأجزاء مع أقرب نقطة ممكنة بالطرق الرئيسية التى تربطها بمناطق المملكة .

---

* كان لدخول واستخدام التكنولوجيا الحديثة ، أثر كبير على مجتمعات الدراسة ويمكن أن نشير إلى جهاز التلفزيون أو الراديو – على سبيل المثال – وأثرهم على الاسرة من حيث الثقافة والترفيه وشغل أوقات الفراغ ، والتغير فى الاتجاهات العامة ، والاحتكاك الثقافى مع مجتمعات أخرى ، كما يمكننا أن نلحظ ما نتج عن دخول السيارة من ربط هذه المجتمعات المنعزلة بالعالم الخارجى ، مما سهل الانتقال والهجرة والتعليم ... الخ .

• الكهرباء :

ظلت مجتمعات الدراسة لا تعرف الكهرباء حتى عهد قريب - بعد اكتشاف البترول - فكانت المرأة تنظف بيتها بالمكانس الخوص التى تصنعها بنفسها ، كما كانت هناك المهفة - المروحة - لتحريك الهواء أمام الوجه ، كما كانت الأضاءة بالشعل النارية بالنسبة للبادية ، والسراج بالنسبة للقرى الحاضرة ، وكان استخدام الإنارة ضعيفا ، حيث كانت هذه المجتمعات تلجأ إلى النوم المبكر مع حلول الظلام والاستيقاظ مع أول الضوء .

ويمكن القول بأنه مع بداية التغير بدأت الكهرباء تستغل فى نطاق ضيق ، فقد بدأ بعض الأشخاص يستخدمون ماكينات توليد الكهرباء ويمدون التيار الكهربائى إلى المحلات التجارية وبعض المساكن . وفى عام ١٩٥٧ م أنشئت الشركة الوطنية السعودية للكهرباء وهى شركة مساهمة ، ومنذ ذلك الوقت والشركة تحاول جاهدة زيادة إمكانياتها لمواجهة الإقبال المتزايد على إدخال الكهرباء[1] ، فأنشأت محطة لتوليد الكهرباء تعمل بالطاقة الشمسية .

على أننا نلاحظ أن إدخال الكهرباء إلى المسكن له نتائج أكثر من مجرد تزويده بالإضاءة . فهى تمكن الناس من استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة كأجهزة تكييف الهواء والمراوح الكهربائية والدفايات والراديوهات وأجهزة التلفزيون والغسالات والمواقد الكهربائية والسخانات وما إلى ذلك من الوسائل والأجهزة الكهربائية .

• التعليـــم :

كانت الأمية هى السمة الغالبة لدى مجتمعات الدراسة جميعا ، فلم يكن هناك مدارس نظامية ، ولكنهاكانت عبارة عن " قراية " وهى تشبه الكتاب بمصر، لتعليم بعض الآيات القرآنية شفويا ، مع قليل جدا من كتابة بعض السور القرآنية ، هذا بالنسبة لمجتمع القرى والحاضرة ، أما البادية ، فكانت محرومة حتى من مثل هذا النوع من التعليم ، واقتصر التعليم بها على تحفيظ بعض الرجال الكبار للصـــغار بعض السور والآيات القرآنية لكي يتمكنوا من أداء الصلاة ، وكانت الأهمية منتشرة بين الرجال والنساء على حد سواء ، وهى بالطبع بنسبة أعلى بكثير بالبادية .

---

(١) حسن على خفاجي : التغير الاجتماعى والمجتمع المتحضر . المركز الوطنى للعلوم والتكنولوجيا ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م . ط ١ ، ص ٣٠ .

ولذلك كانت النهضة التعليمية إحدى الأهداف الرئيسية للدولة لمواجهة هذا العجز فى الأيدى العاملة السعودية المدربة وذات الخبرة التعليمية والأكاديمية ، واتضحت هذه النهضة التعليمية من خلال الحركة السريعة والنشطة لإنشاء المدارس والجامعات فى السنوات الأخيرة وتطور عدد التلاميذ والمعلمين وتضاعف أعداد الطلاب فى السنوات الأخيرة ، وخاصة أعداد الطالبات التى نمت أكثر من أعداد البنين فى السنوات الأخيرة ، وتضاعف عدد المدرسين والمدرسات الوطنيين ، فنجد على سبيل المثال ، مدرسة الغطغط للبنات لم يكن بها حتى عام ١٩٨٠م سوى مدرسة واحدة من أهل البلدة ، وقد تضاعف عدد المدرسات بل واكتفت بعض المدارس بالمدرسين والمدرسات الوطنيين .

ويؤثر التعليم على اختيار الأفراد لنوع النشاط الذى يمتهنونه وعلى درجة الدقة والكفاءة فى أداء النشاط الاقتصادى للأفراد ، كما تلعب القيم الاجتماعية للمجتمع دورا هاما فى التأثير على نوع التعليم المفضل لدى الأغلبية . فثقافة المجتمع تجعل الأفراد ينظرون إلى بعض المهن الفنية والحرفية نظرة مجافية للاحترام والتقدير ، فينصرفون عنها إلى المهن الكتابية والإدارية بصرف النظر عن ارتفاع أو انخفاض العائد المادى الذى توفره كل مهنة ، ولذلك نجد أن النظرة الاجتماعية للعمل من شأنها أن تؤثر فى اختيار نوع التعليم الذى يؤهل إلى المهنة المفضلة –من وجهة نظر القيم السائدة فى المجتمع – بعد التخرج ، ولذلك نجد إقبالا محدودا على التعليم الفنى ، ولذلك هناك عجز فى المعروض من القوة العاملة الفنية الوطنية اللازمة لدفع عجلة النشاط الاقتصادى ، توفر العمالةالوافدة .

هناك تغير فى القيم الاجتماعية نحو تعليم المرأة فى السنوات الأخيرة ، فلقد كانت القيم الاجتماعية السائدة فى بداية التعليم لا تشجع على تعليم الفتاة أو عملها أو خروجها ، بصفة عامة بصرف النظر عن مدى حاجة النشاط الاقتصادى وظروف التنمية الاقتصادية (برغم أن المرأة كانت مشاركة فى المجال الاقتصادى عبر الأزمنة الماضية سواء فى المجتمعات القروية – الحضرية – أو المجتمعات البدوية ، لكن تغير الوضع بعد أن دخل الرجل الغريب إلى المجتمع فتحجبت المرأة فى بيتها) ، اما الفترات الحديثة فتشير الإحصائيات إلى مدى الإقبال الشديد على تعليم الفتاة إلى أعلى المستويات ، وهذا ما حدث بالنسبة لمجتمعات الدراسة الثلاثة .

ومن المتوقع أن يكون للتعليم أثره فى المجتمع على المدى البعيد وخاصة على الحراك الاجتماعى ، ولقد وضحت بعض الكتابات أن المجتمعات البدائية والمجتمعات الزراعية ، يرث فيها الفرد مركزه الاجتماعى عن طريق انتسابه إلى العائلة ، أما المجتمعات الحديثة

والصناعية ، فالمركز الاجتماعى يتحدد بمستوى الفرد الثقافى الاقتصادى ، وطبيعة إنجازاته ومهنته ، فالمجتمع الصناعى تضعف فيه العلاقات القرابية ، وتتحطم الجماعات التقليدية ، وتنتشر الأسرة النووية (١) ، وهذا ما قد يظهر مستقبلا فى مجتمعات الدراسة حيث ظهرت بوادر هذه الظاهرة فقد لاحظت الباحثة أن هناك شخصيات ذات نسب متواضع وقد تم ترشيحهم للإمارة فى مجتمعهم ، وهذا فى حد ذاته يعتبر تغير كبيرا ، حيث كانت الإمارة محصورة فى نسب معين * .. ويرجع ذلك إلى أن هذه الشخصيات قد تعلمت ، وقد أعطاها التعليم إحساسا بأنها تجاوزت وضعها الاجتماعى صعودا ، لكن ما هوحادث بالفعل هو مجرد طموحات .

كما كان لإغراءات الوظيفة ذات الدخل الثابت والمضمون الدافع للتعليم ، على أساس أن التطور الذى حدث فى السلك التنظيمى للمؤسسات يحتاج إلى متعلمين بمستويات عالية ، فبدأ إحساس بأهمية التعليم ، وأخذت معظم الأسرتشجع أبناءها على الاستمرار فى التعليم حتى الجامعة ، مما دفع كثيرا من الشباب إلى الخروج خارج المملكة للتعليم العالى والدراسات كل ذلك كان مع بداية النهضة التعليمية .

وقد لحقت الفتاة بعد ذلك بزميلها ، لتترك بلدتها ، وتسافر للجامعة وتقيم فى مساكن الطالبات أو عند أقاربها المحارم ، ومع أن هذا لم يمر بسهولة ، ولم تكن الأسر والعائلات مستعدة لتقبل مثل هذا الوضع إنما فى النهاية حدث التغير .

• الإسكان:

وفى مجال الإسكان تم توزيع المخططات السكنية وتزويد هذه المخططات بالخدمات والمرافق اللازمة ، ولقد ساهم صندوق التنمية العقارية بمنحة قروض للمواطنين لمساعدتهم فى بناء مساكن حديثة ملائمة ، وتمنح هذه القروض بدون فوائد وتسدد على أقساط ، وقد كان لذلك أبعاد اقتصادية واجتماعية على المجتمعات الريفية من أهمها مساهمة هذه القروض فى عمليات توطين البدو عن طريق الاستقرار فى قرى وهجر وبناء مساكن ثابتة لهم وكذلك الحد من ظاهرة الهجرة الريفية إلى المدن وذلك بتحسين مستوى البناء بالقرية ابتداء من الاعتناء باختيار

---

(١) - Burgess, E., Lock H.& Thomasm., The family tradition to companionship, N.Y. 1971, p. 63 .

* ما زالت الامارة بالعرف القبلى داخـل نفس العائلة ، لكن الأمـير " المنصوب " أى المعين من قبل الحكومة ، فهو فى بعض مجتمعات الدراسة من عائلات غير عائلة الأمير القبلى .

التصميمات الجيدة والمناسبة ومرورا باستعمال مواد بناء مناسبة وانتهاء بجودة التنفيد ، وكان من بين النتائج التى ترتبت على ذلك تنفيذ مشروعهات البنية الأساسية والمرافق فى القرى .

• الصحـــــة :

وفى المجال الصحى زادت المستشفيات بالقرى ، وتم تحسين النظام الصحى والعناية الصحية فى البلاد ، وقد قرر الملك فيصل أن يكون العلاج والعناية الصحية مجانا لكل المواطنين ، وأنشئت الوحدات الصحية للرعاية الأولية فى جميع مجتمعات البحث .

ومع هذه الإجازات التى تحققت ، فقد لوحظت بعض الآثار الجانبية غير المرغوبة ، من بينها :

أن الدور الضخم الذى قامت به الحكومة أدى إلى تزايد اعتماد الأهالى على الحكومة فى إشباع احتياجاتهم وحل مشكلاتهم ، وزيادة اعتماد المواطنين على القوى العاملة الأجنبية للقيام بالعديد من أعمالهم أو إدارة المعدات ذات التقنية المتقدمة ، وبالتالى قلت المشاركة الأهلية فى جهود التنمية القروية ، والتقلص النسبى للجهود المحلية والذاتية أمام سخاء الدولة نتيجة قيامها بهذا الدور الضخم ، وتحملها مسئوليات كبيرة فى توفير المرافق والبرامج والخدمات لأفراد المجتمع مستعينة بأعلى مستويات التقنية فى تصميم برامجها ومشروعاتها وبصورة فاقت بكثير المشروعات القائمة بالجهود الذاتية .

– التغيرات البنائية بمجتمعات الدراسة:

• الاستمرار والتغير فى البناء الاقتصادى :

ان مجتمعات الدارسة شأنها شأن باقى المجتمع السعودى ككل ، تعرضت لكثير من التغيرات والتحولات فى السنوات الأخيرة أى فترة ما بعد اكتشاب البترول ، حيث حدث تحول وتغير كبير فى الأبنية الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية ، فنجد تحولا كبيرا فى البناء الاقتصادى، حيث تعددت مصادر الدخل وزاد الانفاق والاستهلاك ، وخاصة الاستهلاك الترفى ، وامتلاك السلع الكمالية المستوردة ، وانفتح المجتمع على المجتمعات الخارجية ، وارتبطت المجتمعات المدروسة – المحلية – بالسوق المحلى والدولى ، ودخلت مجالات جديدة للاستثمار ، وارتفعت الدخول بصورة ملفتة ... الخ من التحولات الاقتصادية .

فحدثت عملية تنمية اقتصادية واجتماعية نشطة ، حيث تعمل الدولة على بناء قاعدة إنتاجية تمثل ركيزة للدخل القومى ، إلى جانب عائدات البترول ، فأخذت فى التوسع فى استصلاح الأراضى واستزراعها ، ومحاولة التوسع فى الصناعات الغذائية المختلفة ، والصناعات البتروكيماوية ، وكانت الطفرة الاقتصادية التى مرت بها البلاد منذ بداية السبعينات التى أدت إلى إيجاد أربع خطط خمسية (١٩٧٠ - ١٩٩٠ م) طموحة .

ولقد كان النظام الاقتصادى فى مجتمعات الدراسة يهدف أساسا إلى توزيع موارد البيئة الشحيحة ، وهى اللازمة للحياة البيولوجية والاجتماعية ، ومن أجل هذا الهدف عرف المجتمع مهنا وحرفا متعددة ، كان أهمها الرعى ثم الزراعة كمصدر معيشى أساسى ، وهو الأكثر ملاءمة للبيئة الطبيعية ، فكانت الأنشطة الاقتصادية توزع توزيعا كان للبيئة الجغرافية أهم الأثر فى تحديد هذه الأنشطة .

وكانت ملكية الأرض قبل استقرا ر البدو ملكية جماعية ، فالأرض مشاع أى من حق أى فرد فى القبيلة أن ينتفع من هذه الأرض ، وأن يرعى فيها ، وكان التمييز يقوم على اعتبارات تتفق والبيئة الطبيعية والظروف التى تعيشها الجماعة ، ولكن بعد الاستقرار وبعد توزيع الأرض وظهور الملكيات الفردية ، أصبحت ملكية الأرض تمثل نوعا من التمايز الاجتماعى بين الفئة الاجتماعية الواحدة .

ولقد انعكست التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التى تمت فى المجتمع السعودى ككل ، على مجتمعات الدراسة من البدو .

وانعكس ذلك على نظم الملكية ونظرتهم للأرض وامتلاكها ، فقد تغيرت النظرة إلى الأرض وأصبحت ملكيتها أو حيازتها لا تعبر فقط عن ارتفاع المستوى الاقتصادى ولكنها ترتبط الآن بأحقية التمتع بعضوية المجتمع ذاته .

ولذلك فقد كان للتغير الذى طرأ على النسق الاقتصادى آثار فى نظم حماية الملكية ، وتبادلها باعتبار أن وسائل التكامل الاجتماعى التقليدى لم تعد تتناسب مع تعدد موضوعات الملكية واتساع مجالات التعامل فيها ، وبخاصة أن هناك بعض الأفراد لا ينتمون بصلة القرابة - القبلية - فى المجتمع المحلى ، وبدأ التعامل فى المجالات الاقتصادية هذه - ملكية مزارع من جانب أفراد ليسوا من القبيلة ، وبعض المشاريع الأخرى - ، فالتغير الاقتصادى الذى طرأ على المجتمعات البدوية بعد الاستقرار ، قد أعاد توزيع القوى العاملة المحلية على المناشط الاقتصادية الحديثة ، وذلك بعد أن لحق التدهور بالمناشط الاقتصادية التقليدية ، كما أن

المناشط الاقتصادية الحديثة تطلبت أيدى عاملة كثيرة ، فقد واجه البدو فى بداية الاستقرار مشاكل اقتصادية كثيرة ، وزادت نسبة البطالة والاعتماد على الحكومة فى المعونات ... الخ .

ولذلك حاولت الحكومة أن تعمل على إحداث تغيير فى سلوك هذه الفئات المستقرة وتغيير نظرتهم للعمل ، وبدأت المشروعات الجديدة ، وأعمال جديدة جذبت اليها هذه القوى العاملة المعطلة ، ولكن تلك القوى العاملة المحلية لم يكن من الممكن أن تقوم بكل أعباء البناء فى مرحلة النمو الاقتصادى وما يتبعه من نمو فى مناشط كثيرة - التعليم - الصحة - الخدمات - المرافق ... الخ ، حيث قامت المملكة بهدف بناء البنية الأساسية اللازمة للانطلاقة فواجهت ندرة الايدى العاملة السعودية المدربة مما اضطر الحكومة إلى الاعتماد على العمالة الوافدة ، وبما أن هذه الأيدى العاملة الوافدة تنتسب الى دول كثيرة ذات ثقافات متعددة ومختلفة عن ثقافة البلد الأصلية فقد حدث نوع من الغزو الثقافى لهذا المجتمع .

وكانت إحدى إفرازات التغيرات السريع التى تعرض لها المجتمع السعودى بعد اكتشاف النفط واستغلال عوائده ، هى الوظيفة ، وهى إحدى افرازات التغير بمجتمعات الدراسة إن الوظيفة بالمفهوم الحالى لم تكن موجودة فى تلك المجتمعات ، بل إن الوظيفة كعمل مدفوع الأجر ضمن إطار العلاقات بين رئيس ومرءوس ، والعمل كموظف بوقت محدد لم تكن موجودة من ناحية أخرى لأن العمل لدى الغير لم يكن موجودا إلا ضمن العمل التقليدى فى إطار التركيبة الاجتماعية وهى الأسرة أو العائلة أو القبيلة ، ويحكم هذا العمل العادات والتقاليد العائلية التى يحكمها البناء الاجتماعى القبلى والبناء الاقتصادى للمجتمع ، ولهذا لم يكن العمل مدفوع الأجر محددا فى إطار تقسيم العمل ، فالعمل داخل إطار العائلة مؤشر لاحترام العائلة بين أفراد المجتمع ويعبر عن قوتها وتكاتفها والتمسك بتقاليدها .

وبدأت مجتمعات الدراسة تتجه إلى العمل بالوظائف الحكومية وإلى أنشطة اقتصادية جديدة ، بدلا من الأعمال القديمة وهجرت جماعات البدو الأعمال التقليدية التى كانت تتركز على تربية الماشية والرعى ، والترحال والتجارة ، إلى أعمال ومناشط جديدة ، وبدأت الهجرة إلى أماكن الجذب ، حيث ممارسة مناشط جديدة كقيادة السيارات وحراسة المنشآت ، والالتحاق بالحرس الوطنى ، حيث ترضى فى هؤلاء الرجال حب المغامرة والشجاعة ، إلا أنه ما زالت المجتمعات البدوية تنظر إلى بعض المهن نظرة لم تتغير عن الماضى ، فمهما أتت المهنة بعائد مادى لا يمكن أن يقبل العمل بها فئات معينة ، وحتى العمل بالزراعة كعمل يدوى ما زالت النظرة إليه نظرة الخـــوف من مزاولتـــه ، أو نوعـــا من الكسل وعدم التعود على العمل اليدوى الشاق .

وقد تم جلب ايد عاملة من الخارج لتشارك فى الأنشطة الاقتصادية القديمة سواء العمل الزراعى أو الرعى أو تربية الماشية ، أو انتاج الملح بالنسبة لمجتمع القسب .

كما أدخلت الآلات الحديثة فى الأنتاج ، وظهرت المزارع الكبيرة بغرض الاستثمار ، وقد ساعدت الحكومة وشجعت على ذلك بطرق كثيرة ، كما تقلص دور المرأة فى المجتمع وتحجبت داخل منزلها بعد أن غزت الأيدى العاملة الغريبة لمجتمعات الدراسة .

الاستمرار والتغير فى البناء السياسى :

لقد كانت القبيلة تشكل الوحدة الاجتماعية الأســاسية فى مجتمعات الدراسة " البدوية " (حائر والغطغط) ، كما تشكل العائلة الوحدة الأساسية فى مجتمع الحضر " القصب " .

وكان الملك عبد العزيز يحاول أن يجمع هذا التشتت وهذه التركة المهلهلة التى ورثها ، وهو بوعى ودراية ، وكان يعلم أهمية دور المشايخ والأمراء وتأثيرهم على قبائلهم ، ولذلك كان يتعامل مباشرة مع شيوخ القبائل ، ويحترمهم ويقدر لهم الدور الذى يؤدونه ، وهذا واضح من تحليل الخطابات التى كانت توجه من الملك عبد العزيز إلى المشايخ .

ومجتمعات الدراسة شأنها شأن المجتمعات القبلية تتعرض الآن لكثير من التغيرات الأساسية فى نظمها الاجتماعية والسياسية فالقبائل التى كان يحكمها التقاليد الخاصة بها ، تعرضت الآن إلى قوانين ونظم من شأنها أن تؤدى إلى تغير التماسك الاجتماعى التقليدى فى تلك المجتمعات .

فهناك " صراع أو تعارض " بين القديم والجديد ، لكن هذا الصراع لم يؤد إلى تمزق المجتمع ، فقد تكيف الأفراد مع التغيرات الجديدة لكنهم يحملون بداخلهم القيم التقليدية التى توجه أحيانا السلوك وتحكمه ، فالهجرة هجرة مكانية ، وقد وجد المهاجر نفسه أنه لابد أن يستجيب للمواقف الجديدة ، فحاول التكيف مع هذا الجديد .

ومن أهم التغيرات السياسية التى تلحظها فى مجتمعات الدراسة : هى أن شيخ القبيلة أو أمير القرية لم يصبح الحاكم المطلق ، ولم يعد هو المسئول الوحيد ، فلقد تغيرت الأحوال السياسية . وأصبح من الممكن أن تعرض بعض الأمور على الأمير الجديد ، وهو كما يقال " موظف " فلم تعد الإمارة كما كانت قديما وبالشروط القديمة ، فقد أصبح التعليم والثقافة من الأمور التى تدخل عند تعيين الأمير ، أما التأثير فى المجتمع فقد حدث تغير بشأن هؤلاء

الأشخاص المؤثرين ، فلم يعد السن والحكمة والخبرة والفقه هى الصفات المؤثرة فى المجتمع مع ظهور التعليم وتقدير المتعلمين . وأصبح المشايخ من واجباتهم التشاور فيما يختص بالاصلاح بين الأفراد ، فإذا لم يستطيعوا أحيل المتخاصمون إلى المحكمة الشرعية التى ظهرت بعد ظهور الحكم السعودى ، والتى بدأت تتولى الفصل فى أمور الناس جميعا ، وتتولى عملية القصاص ، والقصاص من المعتدين أو المجرمين والخارجين على الشرع ، فقد بدأت مجتمعات الدراسة بعد ظهور الحكم السعودى تعرف المحاكم الشرعية التى بدأت تتولى الفصل فى بعض من أمور الناس .

واستتبع ذلك تغير العلاقات الاجتماعية سواء بين الشيخ وأفراد القبيلة ، أو بين أفراد القبيلة الواحدة ، فحتى التضامن الذى كان بين القبائل لم يعد بنفس الصورة القديمة بعد أن كفلت لهم الحكومة المركزية الحقوق والواجبات ، وحققت لهم الأمن والأمان والاستقرار ، وهذه نتيجة تتفق مع ما وصلت اليه دراسة الغامدى لقبيلة بنى كبير ، حيث أوضح أنه حدث تغير فى مراكز الأشخاص ، فالأشخاص الذين كانوا يمارسون التأثير فى المجتمع قد وصلوا إلى مرحلة من العمر لم يعد فى استطاعتهم القيام بهذا التأثير ، وحل محلهم الشباب المثقف المتعلم ، حتى شيخ القبيلة نفسه شمله التغير ، فمشيخة القبيلة فى الآونة الأخيرة قد انتقلت إلى شاب مثقف سعى فى ضوء ثقافته إلى تطوير المجتمع (١) .

ومع ظهـــــور حكومة مركزيـــــة قويـــــة - الحكم السعودى - وظهور إدارة محلية " للحكم المنظم " ، أصبحت القرى تدافع عن نفسها بأسلوب حديث هو الشكوى للسلطات الرسمية ، حيث ظهرت السلطة القضائية كسلطة منفصلة عن سلطات الأمراء والشيوخ ، وبدأت تحمل عن الشيوخ والأمراء الأعباء ، فلم يعد الشيخ أو الأمير يحكم أو يفصل فى المنازعات إلا قليلا ، كما لم يعد بحاجة إلى السجن الخاص ، أو الاجتهاد فى إصدار الأحكام الشرعية ، كما قلت الجرائم خاصة جرائم السلب والنهب والاعتداءات ، بعد أن ركزت الحكومة على تقوية الأمن وتنفيذ العقوبات الرادعة التى يسنها الدين الأسلامى الحنيف .

وأصبح من مهام الأمير الجديد ، الإبلاغ عن المجرمين أو الحوادث والإرشاد عنهم ، وأصبح فى الإمكان إقامة خصومة من أفراد القرية ضد الشيخ أو الأمير نفسه .

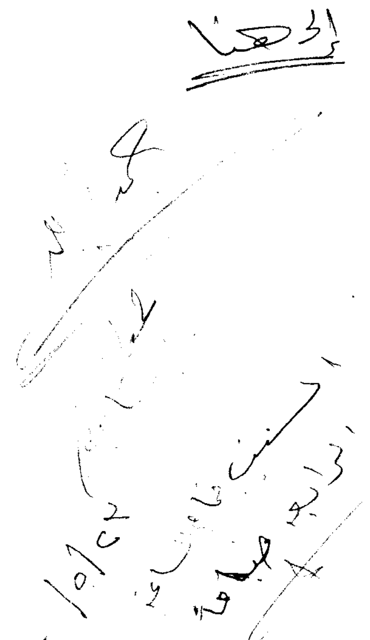
إذن : يمكننا القول بأن هناك اتجاها واضحا بمجتمعات الدراسة ككل لتحول البناء

---

(١) سعيد فالح الغامدى : البناء القبلى والتحضر ، مرجع سابق .

الاجتماعى إلى عكس الصورة التى كان عليها ، حيث بدأت أول خطوات هذا الاتجاه المعاكس بتحول السلطة الرســمية من شيخ القبيلة البدوية إلى أمير من المعينين ، وقيام سلطة شبه مركزية ، والتغير فى أسس الانتماء ، ثم الوجود الرسمى للدولة العصرية ، الذى يستند على الشريعة الإسلامية ، وإحلال هذه السلطة – سلطة الدولة – محل السلطة القبلية التى تستند للعرف القبلى ، وكذلك اختفت السلطة التشريعية التقليدية باستبدال (الطواغيت) الذى يحكم بالعرف ، إلى القاضى الشرعى الذى يحكم بالدين وتدعمه السلطة الرسمية .

وبرغم كل هذه التغيرات فما زال رجل القبيلة متميزا * ، حيث لا تزال المفاهيم السابقة سائدة بينهم ، ولا يزالون ينظرون للفئات الاجتماعية كرؤيتهم لها خلال الحياة القديمة فى مجتمعهم القبلي ، حيث أنه لا يزال من المستحيل ومن غير الممكن أن يفكر رجل القبيلة فى الارتباط بعلاقة زواج مع أى فرد من أفراد الفئات الأخرى غير القبيلية ، وإذا حدث مثل هذا الارتباط فلا بد أن يواجه الشخص عقوبات اجتماعية من قبل جماعته أو فئته . فيصبح محل سخرية واحتقار أو أكثر من ذلك حتى ينهى تلك العلاقة .



* مازال المجتمع البدوى ، يكن الإحترام لشيخه بالعرف العقبلى ، فبقى لهذا الشيخ المشورة والرأى والملجأ فى الظروف الصعبة " مجتمع الحائر على سبيل المثال إذا تقرر دفع دية على أحد افراده يقوم الشيخ بتوزيع قيمة الدية على جميع الموظفين " .

- **الاستمرار والتغير فى التراث الشعبى :**

• **الاستمرار والتغير فى عادات دورة الحياة :**

الميــــــلاد : كان الإنجاب بأعداد كبيرة مطلبا أساسيا واحتياجا اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، ويمثل كيانا قويا وإضافة لقوة القبيلة ، ومع التغيرات البنائية التى حدثت بالمجتمع تغيرت كل هذه الدوافع ، ولم يصبح الإنجاب إضافة من أى نوع سوى إشباع نفسى واجتماعى ، وقد ظهر بعض الأزواج خاصة الجيل الجديد المتعلم ، وقد تغيرت دوافعه للإنجاب عن الصورة القديمة ، لكن ما زالت اتجاهاته نحو كثرة الإنجاب إيجابية وخاصة فى ظل هذا الرخاء الاقتصادى .

كانت عملية الولادة تتم بدون تدخل من أحد المتخصصين ، بالاضافة إلى عدم وجودهم ، أما الآن فأصبحت هناك متابعة للمرأة الحامل فى مراكز الرعاية الأولية الموجودة في كل مكان ، وفى بعض الحالات تتم الولادة فى المستشفيات المتخصصة ، وخاصة من جانب المتعلمين وحديثى الزواج .

كانت الأم تحمل وليدهامعها أثناء العمل بالزراعة أو الرعى ، وكانت تستعين على حمله أثناء العمل بما يسمى " بالميزب " ، وحينما يبدر من الطفل أى صوت تقوم الأم بهز الطفل وهى تعمل فيسكت ، أما الآن فقد دخلت المربيات الأجنبيات معظم البيوت برغم تفرغ الأم وجلوسها بالمنزل وعدم مشاركتها فى الأعمال الخارجية .

كانت ملابس المولود بسيطة تعمل على اليد ومما هو متوفر من خامات محلية ، أما الآن فتشترى هذه الملابس جاهزة ومستوردة حيث تتوفر فى الأسواق جميع المستلزمات الخاصة بالمولود ، ودخلت الملابس الراقية .

كانت المرأة التى لا تنجب تلجأ للطب الشعبى والقرآت القرآنية ، أما الآن فبجانب ما سبق ذكره تلجأ المرأة إلى الأطباء والمستشفيات ، وإلى العلاج الحديث ، وغالبا ما يكون هو المحاولة الأولى ، وإذا فشلت فقد تلجأ الى الوصفات الشعبية ... الخ .

كانت الأم التى يموت أطفالها تمارس بعض الوصفات الشعبية ، والرقى والتمائم ، وكانت تحضر نباتا أخضر يسمى (السدر) فتنقعه فى ماء وتشربه حتى يسقط ما فى بطنها أو ما يسمى (بالتابعة) ، ولقد تغيرت هذه الأفكار الخرافية إلى حد ما فأصبحت تلجأ إلى

الطب الحديث للعلاج ، وإذا فشلت فإنها تلجأ مرة أخرى للطب الشعبى ... الخ .

بعد أن يمر أربعون يوما على المرأة الواضعة يأتى الزوج لها بهدية مثل (قعود) أو ما شابه ذلك حسب إمكانياته ويأتى عند بيت أهلها وتسمى هذه الزيارة للزوج " طلاعة " . أما الآن فقد اختفت مثل هذه المظاهر ، وظهرت هدايا من نوع آخر تتمشى مع الظروف الاقتصاديه والثقافية الحديثة .

كان الأب قديما حريصا على تسمية ابنه الذكر على اسم والده وخاصة الإبن الأول أو على اسم والد الأم ، أما الأنثى فتسمى على اسم أم الأب أو الأم ، أما الآن فقد دخلت أسماء تكاد تكون حديثة على المجتمع ، وذلك نتيجة الاختلاط والانفتاح على مجتمعات أخرى داخليا وخارجيا .

كانت الشجاعة وحب القتال وإتقانه من القيم التى تحرص الجماعة البدوية على غرسها فى الأبناء ، ولكن تغير الوضع الآن وأصبح التعليم العام هو مطلب الجميع ، كما تغيرت الظروف الطبيعية التى كانت تدفع الأهل إلى تنشئة الطفل وتدريبه على مواجهة هذه الظروف الطبيعية القاسية بجانب تغير ظروف الأمن بالمجتمع .

أما بالنسبة لعملية ختان الطفل فقد اختلفت عن الطريقة القديمة ، وأصبحت تحت إشراف طبى بعد أن أصبح العلاج الحديث متوفرا ، والمستشفيات المجانية متعددة ، وتتم فى الأيام الأولى من عمر المولود .

الـــــزواج : كانت القبائل تعيش حياة حرب مستمرة ، ولم يكن هناك مكان للضعيف أو الجبان ومن لا يستطيع أن يدافع عن حاله سلب منه ، ولذلك كان الاختيار قائما كاستجابة لهذا البناء وانعكاس لهذه الظروف ، فدائما الرجل المفضل هو الأقوى ذو العزوة الكبيرة الشجاع ، ويمتد الاختيار أيضا عند زواج الفتى فلا بد أن تكون الفتاة ابنة رجل ذى مكانة وقوة ، كما قالت إحدى الإخباريات " بنت الرخمه * ما ناخدها نسيبها لأبيها " .

أما الاختيار الآن فقد تغيرت أسسه ، إلا أنه ما زال النسب القبلى هاما (القبيلية لا يتزوجها إلا قبيلى) ، أى نفس مستوى القبيلة ونفس المستوى الاجتماعى ، وبرغم ظهور التعليم فى فئات معينة إلا أن هذا التعليم لم يأت بحراك اجتماعى خاصة فى مسألة الزواج .

---

* الرخمه هو طائر ضعيف ، تضربه الطيور وتأخذ نصيبه من الطعام . ولذلك أطلق هذا التشبيه لدى البدو دلالة على ضعف الرجل .

وفى الماضى كانت الفتاة لا تشاور فى أمر زواجها ، فليس من حقها أن تعترض أو ترفض ما ارتضاه لها وليها . وكما يقول الإخباريون والإخباريات كانت دائما الفتاة وأمها تكون رافضة للزوج الذى وافق عليه الأب * ، ولذلك كانت مراسم الزواج فى هذه الحالات تتم فى سكوت تام وبدون مراسم إلا القليل ، ومع تطور المجتمع ومعرفة الناس بالشرع وضرورة موافقة الفتاة كما أقر الدين الاسلامى الحنيف ، بدأت مراسم الزواج تتم كالأتى :

يذهب الزوج ووالده ورجلان من الأقارب كعم الفتاة وخالها أو أى اثنين حتى يشهدا على عقد الملاك ويذهبوا إلى " المملك " وهو مثل المأذون بمصر ، أو يأتى " المملك " نفسه إلى منزل والد العروس ومعه السجل ، وتتم مشاورة الفتاة من قبل أبيها حيث تكون الفتاة فى غرفة مجاورة من الغرفة التى يوجد بها " المملك " والشهود ، فإذا كان الشهود هم عمها وخالها فإنهما يحضران مع الوالد ليسمعا رأى الفتاة أما إذا كان الشهود من غير محارمها فإنهم يقفون من وراء الباب حتى يتمكنوا من سماع رأيها .

وكان المهر سهلا وميسورا إلا أنه أخذ فى الارتفاع حتى وصل إلى الآلاف حتى أصبح من معوقات الزواج ، وقد ظهرت دعوة حديثة تدعو إلى البساطة فى الزواج أو ما يسمى " الفرح السكاتى " وتتسلح هذه الدعوة بما يدعو إليه الدين الإسلامى من التيسير على الرجل والتساهل معه - " خير النساء أيسرهن صدقة " - والرجوع إلى الأحاديث النبوية الشريفة ، ونبذ الإسراف والبذخ الذى ظهر بالمجتمع ، والذى جعل شبابا كثيرين يحجمون عن الزواج ، ولكن الدعوة السابقة ما زالت افكارا ينادى بها ولم تخرج إلى حيز التنفيذ .

كان للمجتمع طقوساً خاصة فى الاحتفال بالزواج ، ولكنه تحول الآن إلى الميل للأخذ بالعادات الأجنبية ، حيث تقام الأفراح اليوم فى الفنادق أو قصور الأفراح الخاصة بهذه المناسبات وتقدم فيها الأكلات الشعبية المحلية والغربية ، فتجد الجريش والمرقوق والكبسة بجوار الأكلات الغربية . وتلمح تناقضا عجيبا فى الأزياء فمنها ما هو معد فى أحدث بيوتات الأزياء العالمية ويواكب أحدث خطوط (الموضة) الحديثة ترتديه الشابات ، بجانب الملابس الشعبية التى ترتديها السيدات كبيرات السن .

---

* كان يتم الزواج فى سرية وقد لا تعلم الفتاة إلا فى نفس اليوم ، خوفا من رفضها ، لأنها فى الغالب كانت ترفض أو تتظاهر بالرفض حياءا وعرفا ، ولذلك كانت الليلة الأولى من الزواج تقتصر على توزيع القهوة ويؤجل العشاء لليوم الثانى .

وبعد الانتهاء من حفل الزواج كان الزوج والزوجة قديما يمكثان ليلة الزفاف ببيت أهل العروس ، أى يبيت العريس لدى عروسه هذه الليلة ، وفى الصباح يذهب لزيارة أهله ، ثم يعود ليأخذ عروسه ومعها " الربيعية " وهى سيدة تقوم على خدمة العروس ، ويذهب إلى بيت أهله ، وتسمى " التحوال " أى تحولت العروس من بيت أهلها إلى بيت الزوج . وقد تغيرت هذه العادة ، وأصبح الزوج يصطحب زوجته فى نفس الليلة إلى منزلهم الخاص ، أو يقضيا الأيام الاولى بفندق ، أو السفر للخارج ... الخ .

كان تعدد الزوجات قديما قاصرا على فئة معينة وهى الصفوة ، أما الآن فقد أصبح متاحا أمام الجميع ، وأصبح التعدد شائعا خاصة وأن هذه الظاهرة تتمشى مع الشريعة الإسلامية ، وحق الزوج فى ذلك ، خاصة مع زيادة الموارد الاقتصادية .

أما بالنسبة للطلاق ، فهو من حق الزوج فقط ، وليس له حق أن يهين الزوجة أو يعذبها ، فإذا لم يرض عنها أو عن خلقها طلقها ، ويعاب إذا ضربها ، كما أنه يجوز لها أن تترك بيت زوجها إذا اختلفت معه ، وترجع إلى بيت أهلها إلى أن يتراضيا أو تطلق .

الاستمرار والتغير فى نمط الأسرة:-

لقد كانت الأسر تعيش على هيئة عائلات كبيرة ممتدة ، وقد يكون البيت – سواء أكان بيتا قرويا أو بيت شعر – صغيرا فى العادة قليل الحجرات ، ولكنهم كانوا يعتقدون أن الفرقة تعنى نزع البركة كثقافة مدعمة لواقعهم الاقتصادى .

وكانت سيطرة العائلة على الإنتاج ودورها كمؤسسة اقتصادية نتيجة طبيعية لغياب المؤسسات الإدارية وبخاصة المؤسسات الحكومية ، والعمل داخل العائلة يشكل أحد عناصر تاريخها وتراثها ، وقوتها الاقتصادية ، وبرغم التغيرات الاقتصادية ، وظهور أنساق اقتصادية جديدة ، أتاحت الفرص للعمل والاستقلال الاقتصادى ، فما زالت الأسرة الممتدة هى الأسر الغالبة مع اختلاف بين حجم البيت ومواصفاته ، فقد اتسع وزادت غرفة .

وهذه النتيجة تتفق مع الدراسات التى أجريت فى الشرق الأوسط حيث يؤكد " روفائيل باتاى " على أن الأسرة فى الشرق تتميز بخصائص ست هى : أنها أسرة ممتدة ، وأن النسب فيها أبوى ، والأقامة أبوية ، والسلطة أبوية ، والزواج

داخلى ، وفى بعض الأحيان يكون بها الزواج تعدديا (١) .

• الاستمرار والتغير فى عادات الطعام وآداب المائدة :

كان الطعام يعتمد أساسا على ما هو متوفر وما يمكن تخزينه فى هذه البيئة الشحيحة بمواردها ، وكانت الوجبات تعتمد أساسا على الحبوب مجروشة أو مطحونة دقيقا والسمن ، علاوة على اللبن والتمور وهى أساس طعام البدوى ، ومع الاحتكاك الثقافى والطفره الاقتصادية عرفت مجتمعات الدراسة أنواعا متعددة من الأطعمة ، ودخلت الطيور والبيض فى طعامهم وتواجدت الأسماك فى وجبات هذه المجتمعات ، وإن كانت ما زالت ليست من الوجبات المستصاغة .

ولقد حدث تغير كبير فى نوعية الطعام ، فلقد تحول من طابع الفقر والخشونة وعدم التنوع وفقر الموارد إلى طابع الرفاهية والتنوع والتحضر ، ودخلت أصناف جديدة ومتنوعة لم يعهدها البدوى ولا الحضرى فى حياته .

كما حدث تغير فى أسماء الوجبات ومواعيدها ، وكان من نتائج هذه التغيرات أثرها على المظهر العام لأفراد البحث من حيث زيادة الوزن ، فالبدوى كان يشتهر بالنحافة ، وكان البدوى الشره فى الأكل يعاير فى البادية .

وبدأت الوجبات القديمة تتراجع لتزاحمها أنواع جديدة ، وإن كان هناك وجبات قديمةموجودة ولا يستطيع عملها سوى السيدات المسنات ، وقد بدأت تختفى بعض الوجبات التى تحتاج إلى جهد ووقت ، لكن ما زالت أكلة " الجريش " و "المرقوق " من الأكلات الشعبية المتواجدة فى الولائم والأفراح والمناسبات ، هذا إلى جانب الكبسة وهى من الأكلات الأساسية فى الوقت الحاضر وهى أرز من نوع خاص يسوى فى حساء أو مرق وبه بعض التوابل والليمون المجفف والبيض المسلوق والطماطم ، وتغرف " الكبسة " فى صينية معدن كبيرة وفوقها اللحوم ، أما اللبن والتمر فمازال تواجدهما فى حياة مجتمعات الدراسة ، إلا أنه اختلفت طريقة التقديم ، حيث يقدم التمر الآن مع القهوة كتحية للضيوف ، كما يتناولها الناس بين الوجبات وفى الصباح ، أما اللبن فلم يصبح الوجبة الرئيسية بمفرده ، ولكن أصبح يوضع

1- Raphel Patai : Golden River to Golden Road : Society, cultere & change in the Middle East. Philadelphia :University of Pennsylvania Press, 1962, p. 136.

بجانب الأكلات الجديدة ، بل ومع جميع الوجبات والأصناف ، إلا أن اللبن الطبيعى أصبح تواجده قليلا بالنسبة للألبان الصناعية أى المجففة التى غزت السوق بكثرة .

• الاستمرار والتغير فى عناصر الثقافة المادية :

تشهد المملكة تيارات ثقافية وحضارية متضاربة ، فمع الانفتاح على التكنولوجيا الغربية واستيرادها ، والاختلاط بهذه الثقافات الغربية وغيرها من الثقافات ، والسفر للخارج والتعليم ... الخ ، كان من الطبيعى أن تتأثر الحياة الاجتماعية بهذا الاختلاط والانفتاح والامتزاج الثقافى ، خاصة لدى الشباب الذى وصل إلى مرحلة متقدمة من التعليم والذين سافروا إلى مجتمعات أخرى أوروبية أو عربية ... الخ ، ولكن كان من الطبيعى أيضا أن تجد مثل هذه التيارت مقاومة من المجتمع الذى يدين بالإسلام ، ويطبق أحكام الشريعة الإسلامية فى جميع مجالات الحياة ، فيحرم ما حرم الإسلام ، ويحلل ما حلل الإسلام ، كما أن المجتمع السعودى له خصوصيته التى تميزه عن المجتمعات الإسلامية الأخرى ، وله عاداته وتقاليده ، وهى عادات وتقاليد البادية التى تضع المرأة فى مكانة معينة ، وتحد من الاختلاط بين الجنسين إلا فى حدود العرف البدوى وعاداته ، ولذلك نجد مقاومة شديدة لما يخالف هذه العادات وهذا العرف ، ولقد كانت الثقافة المادية بمجتمعات الدراسة تجسيدا واضحا وانعكاسا للبناء القيمى بالمجتمع .

ولقد تناولت الدراسة " البيت " كعنصر هام من عناصر الثقافة المادية ، ووجدنا أنه يعكس طبيعة الثقافة السائدة فى هذا المجتمع ، هذا بالإضافة إلى أنه نمط اجتماعى يتوافق مع الظروف البيئية ، ويعكس لنا تأثير هذه البيئة الطبيعية القاسية على هذا العنصر الهام من عناصر الثقافة الشعبية ، ولذلك وجدنا البيت فى كل مجتمعات الدراسة هو انعكاس للبناء الاقتصادى المعيشى الفقير ، فأتت خاماته من الطبيعة ، ومما هو متاح فيها . ففى البيوت الريفية وجدنا الثقافة الريفية تضفى على شكل البيت ما يتفق ونمط هذه الثقافة ، فالبيت يبنى بطريقة تعمل على حماية من بداخله ، فالباب صغيرويغلق بإحكام ، وليس للبيت أية فتحات خارجية ففتحات البيت تفتح للداخل كنوع من حفظ الأمن وحجب وستر للنساء ... الخ ، مما تعكسه ثقافة الريف ، والأدوات والأثاث بسيطة وفقيرة فالأرض تفرش بخصف النخيل فيصبح هذا الفرش البسيط للجلوس والنوم ، والأدوات بسيطة ومن خامات محلية وتصنع بواسطة فئات اجتماعية معينة بالقرية .

وجدير بالذكر أن معظم تلك العناصر ، لا تزال موجودة ويقتنيها أصحابها ، هذا إلى جانب العناصر الحديثة ، فنجد البيوت القديمة بالقصب والحائر موجودة كما هي ومهجورة ، وقد انتقل أصحابها إلى المخططات الجديدة حيث المساكن الحديثة الفاخرة ، ناقلين معهم

عناصر التراث من أدوات قديمة ، هذا إلى جانب فرش البيت الحديث بنفس المجالس العربية مع اختلاف في الخامات المستعملة ، حيث كانت هذه المجالس تعبأ بالتبن والقش ، والآن تعبأ بنوع معين من الأسفنج المستورد ... الخ ، من الاختلافات فى الخامات ، وتجد الأدوات التكنولوجية الحديثة من ثلاجات كهربائية وفيديو ومواقد للطعام ... الخ ، مع الاحتفاظ ببعض الأدوات القديمة كنوع من حفظ التراث والاعتزاز به .

أما مجتمع البادية فكان البيت الشعر يساعد كثيرا على تحقيق أكبر قدر ممكن من التوافق مع الظروف البيئية حيث حياة الترحال وسهولة حمل هذا البيت ونقله واستغلال الخامات المتاحة فى صنعه ، ومع تطور الحياة الاقتصادية والتغير المادى الذى حدث للبدوى نتيجة انتقاله الى " الفلات " والمساكن المبنية على أحدث طراز ، نجد أن التغير الثقافى لدى البدوى لم يتم بنفس سرعة هذا التغير المادى ، فما زال يحن للحياة داخل البيت الشعر ولذلك أقام البيت الشعر فى حديقة منزله ، ويشعر بالارتياح التام عندما يجلس نفس الجلسة القديمة بالخيمة ، ويقدم القهوة العربى ويشرب الماء فى " غدارة " * – وما زالت أدواته القديمة معه وأدوات صيده حتى الكلاب السلوقى التى كانت تساعد فى عمليات الصيد ما زالت موجودة فى هذه البيوت الفاخرة الحديثة .

أما عنصر الملابس وهو عنصر من عناصر الثقافة ، فقد وجدنا أن الملابس فى مجتمعات الدراسة سواء الخاصة بالرجال أو النساء فهى ملابس تتفق وعملهم ، والبيئة الجغرافية التى يعيشون فيها . ملابس فضفاضة واسعة تساعد على الحركة بسهولة سواء فى البيئة الريفية أو البيئة الصحراوية ، وتتفق مع المناخ الحار صيفا ، وتقيه برودة فصل الشتاء .

وما زالت هذه الملابس موجودة إلى الآن بتصميماتها التى تتفق والبناء الاجتماعى المستمر ، إلا أن نوعية الملابس اختلفت كخامات وتجهيز ، وبالطبع كان ذلك انعكاسا للظروف الاقتصادية الجديدة .

---

* " الغدارّة " إناء معدنى لامع غير قابل للصدأ يشبه " السلطانية " وقديما كانت تسمى " الصفرية " أو " المزحة " ، وكانت نفس الشكل ولكنها تصنع من معدن النحاس وهو المعدن المتوفر قديما لصنع الأدوات المنزلية " بالقرى " حيث يستخدم البدو أدوات مصنوعة فى أغلبها من جلود حيواناتهم ما عدا إناء طهى الطعام ، وقليلا ما كانوا يطهون الطعام لاعتمادهم على التمر واللبن ، ودلال القهوة ، ولذلك كان فئة الصلب تقوم بطلاء النحاس وذلك بتغطيته بطبقة من القصدير ، فيصير لون النحاس أبيض ، ولا يصدأ إلا بعد زوال طبقة القصدير فيعاد وضعها وتسمى هذه العملية " ربو " .

أما بالنسبة لملابس المرأة فقد اختلفت كثيرا نتيجة لانفتاح المجتمع على العالم الخارجى والغزو الأجنبى لجميع أسواق المدن والقرى ، لكن الجدير بالذكر أن المرأة ترتدى كل هذه الملابس تحت " العباءة "و " الطرحة " ، وقد برزت ظاهرة الحجاب فى المجتمعات الريفية وبصورة كبيرة وفيها التزام شديد أكثر من الماضى ، وبالطبع كان ذلك نتيجة دخول غرباء إلى القرية من عمالة زراعية وعمال مهنيين وموظفين ... الخ .

• التغيرات اللاحقة بتوطين البدو والأقامة بالهجر :

إن حركة التوطين البدوية فى عهد الملك عبد العزيز * [1] ، كانت تهدف من وراء ذلك إلى غايات : دينية واجتماعية وعسكرية وسياسية ، لقد رأى الملك عبد العزيز أن بإمكانه تنظيم قوة اجتماعية وعسكرية وسياسية من القبائل المتفرقة فى أنحاء الجزيرة العربية ، يستطيع بواسطتها قهر من يقف فى طريق تكوين دولة موحدة قوية . لذا فإن الملك كان مدفوعا بحماس دينى سياسى وعسكرى واجتماعى عندما فكر فى تأسيس هذه الحركة . وقد رأى أن الهدف السياسى يمكن تحقيقه عن طريق توظيف طاقات البدو ، وأن يحقق الوحدة للقبائل المتنازعة . فقد اســـتطاع أن يجمـــع قوة من الإخـــوان كانت فى زيادة وقد أحاط الملك مشروعه بالصمت التام .

وفكرة التوطين وجدت معارضة من بعض القبائل ، فقد كانوا يفضلون دائما العودة إلى ديارهم ، وثارت بعض القبائل ، ورفضوا الفكرة على اعتبارها كسرا لمجتمعهم القبلى ، لكن تم التنفيذ بذكاء من صاحب السلطة – ولقد واجهت الملك عبد العزيز مشكلات جديدة بعد قيام " الهجر " ، وهى الاعتماد على المعونات الحكومية التى كان ينتظرها أهالى (الهجر) نظرا للبطالة التى كانوا فيها ، فى بداية استقرارهم ، وكان لابد من توجيه الأهالى نحو البحث عن مجالات عمل جديدة ، وكان هناك تقبل من جانب الأهالى للمهن والأعمال التى تتفق مع ثقافتهم البدوية التى نشأوا فى ظلها مثل الالتحاق بالأعمال العسكرية ، والحراسة وقيادة السيارات ،

---

* لقد كانت البداوة المتنقلة والنعرات القبلية من أهم ما واجه الملك عبد العزيز ، حيث أدرك عدم إمكان بناء هيكل أساسى دائم للدولة فى ظل هذه الظواهر ، خاصة وأنه واكبها اتساع فى المساحة واختلاف فى أوضاع المناطق والظروف السكانية وتنوع فى التضاريس مع صعوبة فى الاتصال فيما بينهما مما يعوق عملية التنمية . لذلك فقد عمل منذ البداية على اخضاع القبائل للسلطة المركزية ليكون لها دورها الفعال فى البناء الاجتماعى للدولة ، كما عمل على توطين البدو فى مستقرات سكانية سميت " الهجر " .

(١) حمود سليمان المسلم : تطور جهود التنمية الريفية فى المملكة العربية السعودية ، فى دراسات فى التنمية الريفية المتكاملة ، وزارة الشئون البلدية والقروية ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م . ص . ص ٦٣ – ٦٤ .

والأعمال الحكومية ، كما أنهم ظلوا رافضين العمل بالزراعة والعمل اليدوى عموما على أساس أنهم لم يألفوها فى سابق حياتهم .

ولقد أدت سهولة جلب عمالة من خارج المجتمع إلى فرض أسس جديدة لتقسيم العمل ، أدت فى النهاية إلى عزوف البدو عن الاشتغال ببعض الأعمال الشاقة لإمكان إستخدام القوى العاملة الأجنبية فيها وبخاصة العمالة التى تقبل العمل بأجور منخفضة مثل العمالة الأسيوية ، فقد شوهدت العمالة الأجنبية تقوم بعملية الرعى وما يتبعها من عمليات اقتصادية .

ويمكننا أن نلخص أهم النتائج التى حدثت نتيجة لأقامة الهجر فى :

– لقد حدث تحول من الترحال والبداوة والعزلة إلى التوطين والتحضر والانفتاح ، وقد رافق هذا التحول وبدرجات متفاوتة تغيرات اقتصادية وثقافية واجتماعية . حيث حدث نوع من التغير من التوافق أو التكيف السلبى مع البيئة إلى توافق إيجابى مع معطيات البيئة .

– وبدأت أنماط من التغير فى الحياة الاجتماعية ، حيث تم فتح مجالات اقتصادية جديدة . ولقد ساعد التعليم على الحصول على وظائف حكومية مما أدى إلى الاستقلال الاقتصادى داخل العائلة ، كما أدى إلى استبدال قيم اجتماعية وثقافية بدوية وحلت محلها قيم جديدة مرتبطة بالعمل والتعليم ووسائل الضبط الاجتماعى ، وسيادة هذه القيم المرتبطة بالحضارة على حساب القيم الاجتماعية للبداوة وما يرتبط بها .

– بدأ الانخفاض فى معدل إنتاج الماشية ، وزاد استيراد اللحوم كنتيجة لاستقرار البدو وانخفاض نسبة البداوة ، وزيادة معدلات الهجرة ،وما تبع ذلك من ضعف الاهتمام بتربية الماشية ، ولهذا بدأت الدولة فى تقديم إعانات نقدية سنوية لرعاة الماشية .

– كان من نتائج هذا التطور فى حياة القبائل تغير الثقافة التقليدية الموروثة المتعلقة بالاستفادة من الموارد الاقتصادية القبلية بشكل عام ، وأفضى إلى تغير سريع من الاستقلال الاقتصادى إلى الاتكالية الاقتصادية ، ولجأ كثير من أهل البدو إلى تسلم وظائف جديدة غير مألوفة لديهم ، مما أدى إلى تغير فى البنيات القبلية الاجتماعية التقليدية ، وترك الأنماط الاقتصادية المألوفة . كماأن المجتمع الجديد قد أصبح موجها نحو معايير اقتصادية غربية فى معظم الأحوال .

• **الاستمرار والتغير فى الألعاب الشعبية وألعاب الأطفال :**

لقد عرضت الدراسة لبعض من هذه الألعاب ، وقد تم الاستقصاء عن هذه الألعاب من الإخباريين وخاصة كبار السن ، ومما هو جدير بالذكر أن اللهو أيضا له قيمه وعاداته التى يفرضها العرف القبلى على كل فئة من الفئات ، فنجد أن كل فئة كان لها طريقتها فى اللهو المناسبة لها * ، كما أن لكل مناسبة الطريقة الخاصة بالاحتفال بها ، أما ألعاب الأطفال القديمة فقد حدث نوع من الانقراض لهذه الألعاب ، فلقد اختلفت أساليب الترفيه وقضاء وقت الفراغ اختلافا جذريا ، فلقد دخل التلفزيون والفيديو والألعاب الالكترونية مثل " الأتارى والكمبيوتر ... الخ " ، هذا بالاضافة للمتنزهات وما زودت به من لعب للأطفال ، وتطورت هذه الألعاب بحيث أصبحت تشد انتباه الكبار أيضا ، فلم يعد وقت للخروج خارج المنزل ولا لجلسات السمر أو تجمعات الأبناء أمام البيوت ، فالوقت بالكامل جلوس أمام هذه الأجهزة الأليكترونية الخطيرة التى أخذت وقت الفراغ ، بل تجاوزت هذا الوقت إلى وقت العمل أيضا ، هذا بالإضافة إلى مباريات كرة القدم والمصارعة ... الخ التى ينتظرها الجميع أمام التليفزيون وفى الفيديو أيضا ، والجدير بالذكر أن عرض المباريات لا يقتصر على المباريات المحلية بل يتعدى ذلك لينقل إلى الناس بالمنازل المباريات المحلية والخليجية بل والمباريات التى تحدث فى أى بلد عربى أو أجنبى أو مباريات عالمية .

---

* لا يجوز للقبيلى ان يشترك فى السامرى ، ولكن له الحق فقط فى الاشتراك فى " العارضة " ولذلك عندما يخرج الشباب إلى البر وبعيدا عن اعين المنتقدين يقوموا بعمل " السامرى " كنوع من الترفيه والتهريج .

المراجع العربيـــــة:

- احسان محمد الحسن : العائلة والقـرابة والزواج ، دراسـة تحليلـية فى تغيـر نظم العائلة والقــرابة والزواج فى المجتمع العربى ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٥م .

- احمد ابوزيد : البناء الاجتماعى ، الجزء الثانى، الانســاق ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، الاسكندرية ١٩٦٧ .

- الليدى آن بلنت : رحلة الى بلاد نجد ، ترجـة محمد أنهم غالـب ، الريــاض ، ط ٢ ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٨م .

- امين رويحه : الطب الشعبى ، دار القلم ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٤ م .

- ايوب صبرى باشا : مــرآة جزيــرة العــرب ، ترجمــة وتعليق د / احمد فؤاد متولى ، د / الصفصافى احمــد المرسى ، دار الرياض للنشر والتوزيع ، جـ ٢ ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

- جبرائيل سليمان جبور : البدو والبادية ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٨م .

- حافظ وهبة : جزيرة العرب فى القــرن العشرين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦١م .

- حسن على خفاجى : التغير الاجتماعى والمجتمع المتحضر ، المركز الوطنى للعلوم والتكنولوجيا ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤م .

- حمد بن ابراهيم بن عبد الله الحقيل : كنز الانساب ومجمع الآداب ، مطابع النهضة ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م .

- حمود سليمان المسـلم : تطـور جهود التنمـية الريفيـة فى المملكـة العربيـة السعودية ، دراســات فى التنميــة الريفية المتكاملة ، وزارة الشئون البلدية والقروية ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

- سامية الساعاتى : الاختيار للزواج والتغير الاجتماعى ، دار النجاح ، بيروت ، ١٩٧٣م .

- سعد فالح الغامدى : البناء القبلى والتحضر ، دار الشروق ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١م .

- ———— : التراث الشعبى فى القرية والمدينة ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥م .

- سليمان بن عبدالرحمن الحقيل : فى آفاق التربية الوطنية ، فى المملكة العربية السعودية ، دار عالم الكتب للنشروالتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦م .

- شايم لافى غانم الهمزانى : التغير الاجتماعى فى منطقة حائل ، دراسة ميدانية لبعض المجتمعات المحلية بالمنطقة – دراسة غير منشورة لنيل درجة الماجستير فى علم الاجتماع ، جامعة الامام محمد بن سعود ١٤١٠ هـ .

- صلاح الفوال : البناء الاجتماعى للمجتمعات البدوية ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

- ———— : البداوة العربية والتنمية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٧ م .

- ———— : دراسة علم الاجتماع البدوى ، مكتبة غريب ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .

- صلاح عطية صبح : العادات الاجتماعية لدورة الحياة فى المجتمع الكويتى ، مؤسسة الصباح ، ١٩٨٠ .

- عبد الجبار الراوى : البادية ، مطبعة العانى ، بغداد ، ط ٢ ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م .

- عبد الرحمن بن زيد السويداء : نجد فى الامس القريب ، صور وملامح عن أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عاما ، دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٩٨٣ م .

- عبد الرحمن بن على العرينى : الحيـــاة الاجتماعية لدى بادية نجد واثر الدعوة السلفية فيها منذ القرن العاشر الهجرى وحتى سقوط الدرعية ، رسالة ماجستير فى التاريخ الحديث (غيرمنشورة) جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم التاريخ ، ١٤٠٤ هـ .

- عبد الفتاح حسن ابو عليه : الإصلاح الاجتماعى فى عهد الملك عبد العزيز ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨٦ م .

- عبد الله حمد القيل : ظاهرة توطين البادية ، مجلة الدارة ، دارة الملك عبد العزيز ، العدد الثانى ، السنة الحادية عشر ، محرم ١٤٠٦ هـ / سبتمبر ١٩٨٥.

- عبد الله صالح العشيمين : تاريخ المملكة العربية السـعودية ، (دار النشر غير موجودة) ، ج ١ ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .

- عبد الله محمد العبيد : البدائع واحة القصـــيم الخضراء ، مطابع الخالد للاوفست ، الرياض ، ١٤٠٥ هـ .

- عبد الله محمد بن خميس : معجم اليمامة ، المعجم الجعرافى للمملكة العربية السعودية . الجزء الثانى .

- علياء شكرى : بعض ملامح التغير الاجتماعى والثقافى فى الوطن العربى ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٣م .

- فادية سعود الصالح : التراث الشـــعبى السعودى ودوره فى إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية ، ورقـة مقدمة من وكالة الرئاسة لكليات البنات فى إحياء التراث الشعبى ، ١٤١٠ هـ .

- فضل ابو غانم : الاستمرار والتغير بالبناء القبلى بالمجتمع اليمنى ، رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير ، فى علم الاجتماع من جامعة عين شمس - كلية الآداب ، قسم علم الاجتماع ، ١٩٨٤ .

- فوزية دياب : القيم والعادات الاجتماعية ، مع بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت . ١٩٨٠ م .

- فهد محمد الربيعان : العرينات ، مطابع البادية للاوفست ، الرياض ، ١٣٩٨ هـ .

- ليلى صالح البسام : التراث التقليدى لملابس النساء فى نجد ، مركز التراث الشعبى الخليجى ، ١٩٨٥ م .

- ناصر عبد العزيز الحميضى : مدينة القصب ارض الملح ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

- نورة الطياش : الطب الشعبى ، ورقة مقدمة من وكالة الرئاسة لكليات البنات فى إحياء التراث الشعبى ، ١٤١٠ هـ .

- محمد الجوهرى : علم الفلكلور ، دراسة فى الانثروبولوجيا التطبيقية ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٧ م .

- محمد الجوهرى ، علياء شكرى ، محمد على محمد : قراءات معاصرة فى علم الاجتماع ، ط ٢، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩م .

- محمد عبده محجوب : الضبط الاجتماعى فى المجتمعات البدوية ، دراسة فى الانثروبولوجيا السياسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ م .

- ———— : مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية (منهج وتطبيق) ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٤ م .

- ———— : انثروبولوجيا المجتمعات البدوية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ١٩٧٧ م .

- محمد علي قطان : دراسة المجتمع فى البادية والريف والحضر ، دار الجيل للطباعة ، مصر ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .

- محمود شاكر : شبه الجزيرة العربية – نجد ، المكتب الاسلامى ، بيروت ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٧٦ م .

- محى الدين صابر ، لويس كامل مليكه ، البدو والبداوة مفاهيم ومناهج ، مركز تنمية المجتمع فى العالم العربى ، سرس اللبان ، ١٩٦٦ م .

- محى الدين صابر : من قضايا التنمية فى المجتمع العربى ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٩هـ.

- مكى الجميل : البداوة والبدو فى البلاد العربية ، مركز تنمية المجتمع ، سرس الليان ، ١٩٦٢ م .

- مصلحة الاحصاءات العامة ، وزارة المالية والاقتصاد الوطنى ، حصر الخدمات .

المراجع الأجنبيــة :

Ameen Rihami : Around the coasts of Arabia, London 1975.

- Burgess, E., Lock H. & Thomasm., The family tradition to companionship.N.Y. 1971.

- Carli Guarmani : Northern Najid, Translated by Capercuro. London. 1938.

- Good. E.J. : Revolution & Family Patterns, Free Press. Glencoe.

- Kazem Daghestani : Contemporary Moslem family in Syria, Paris. 1959.

- M.J.L.Hardy , Blood Feuds& the payment of Blodd Money in the Middle East (Birut, 1963)

- Nuhsan. H. Some Notes on Bedun marriage habits, international congress of sociology. Rome, 1950.

- Raphel Patai : Golden River Road : Socitey , Cultere & cange in the Middle East. Philadelphia University of Pennsylvania Press. 1962.

- R. Maciver; C. Socity. London. 1962.

- Smith,M.G, Segmentary Lineage System: J.R.I., Vol. 86. Part II.

مـلاحـق

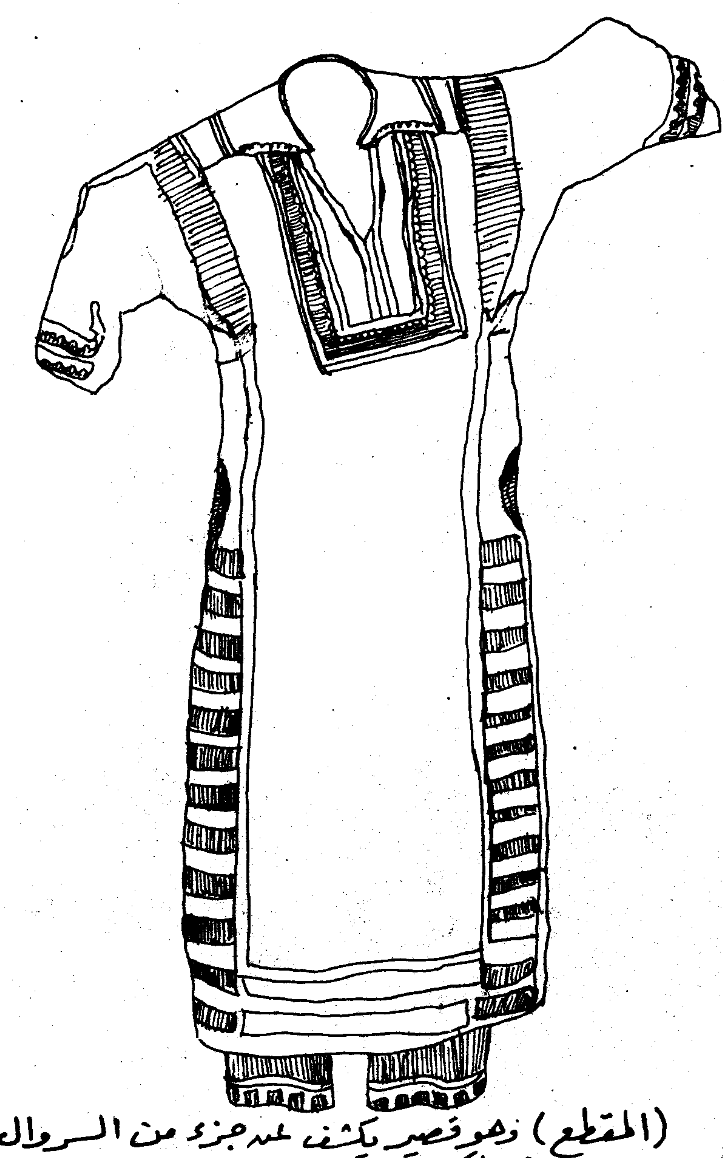
رسوم تبين بعض صور التراث الشعبى
وصور فوتوغرافية لمجتمعات الدراسة




رسم يبين موقع كل من :
القصب والغطغط والحائر بالنسبة
لموقع مدينة الرياض .
الزلفى
المجمعة
الغاط
القصب
رماح
شقراء
ثادق
حريملاء
بنبان
العيينة
الدرعية
الرياض
مرات
الدوادمى
ضرماء
الحاير
الغطغط
المزاحمية
الخرج
القويعية
الحريق

مجموعة اللبس

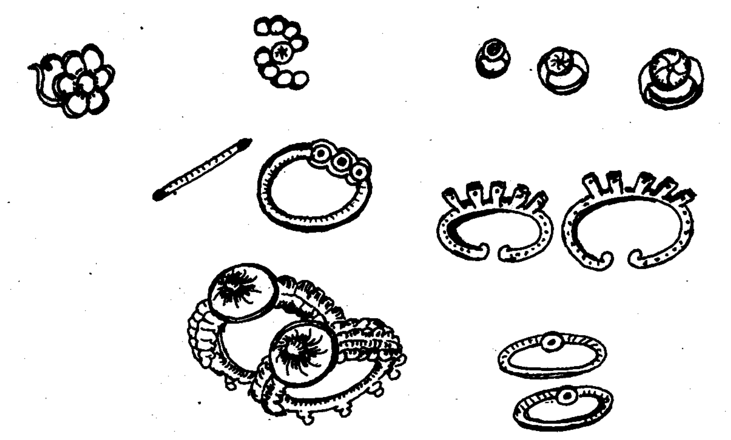




(المقطع) وهو قصير يكشف عن جزء من السروال
ذو أكمام واسعة وقصيرة .





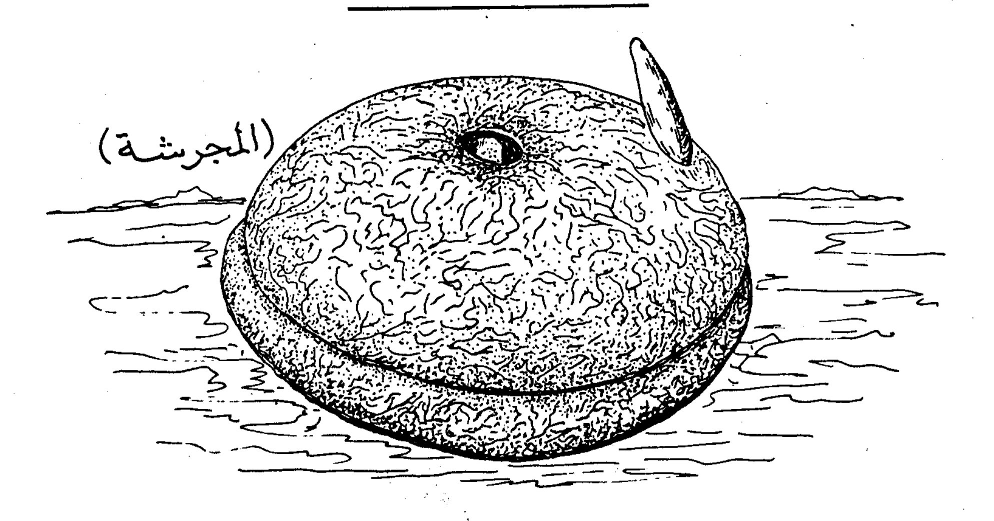


(بعض أدوات الزينة للنساء - مصنوعة فى الغالب من الفضة)



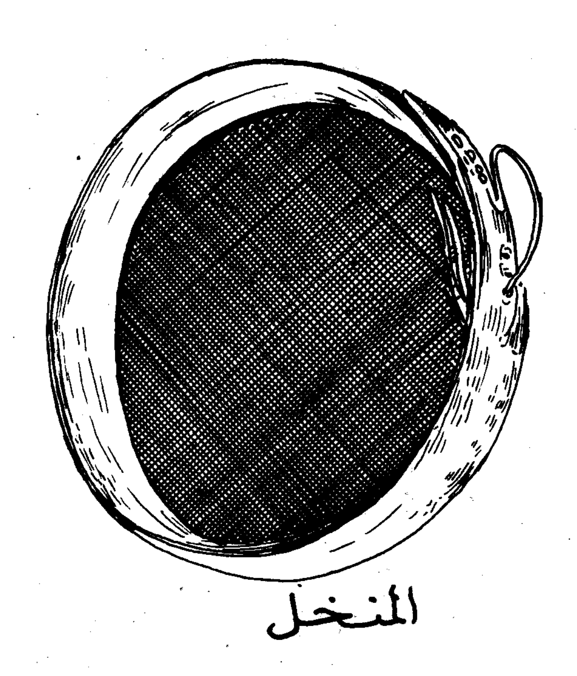
أدوات زينة
للنساء

مجموعة الادوات

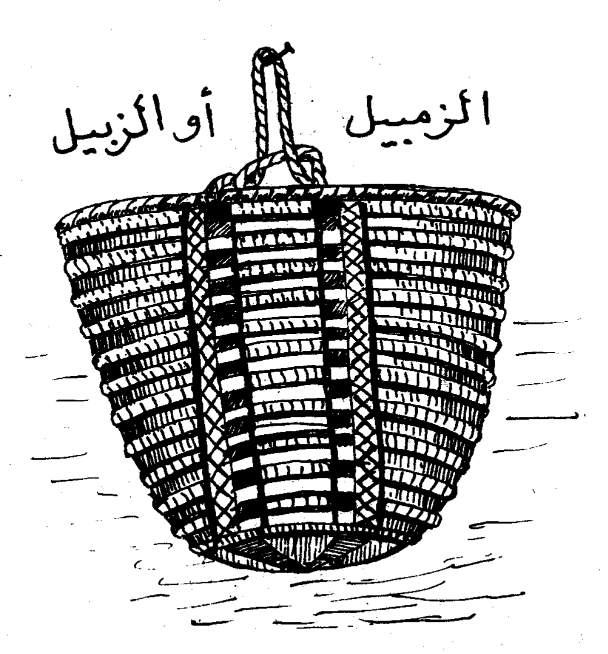



بعض القدور


الصندوق أو الصحارة



المنخل



الزميل أو الزبيل



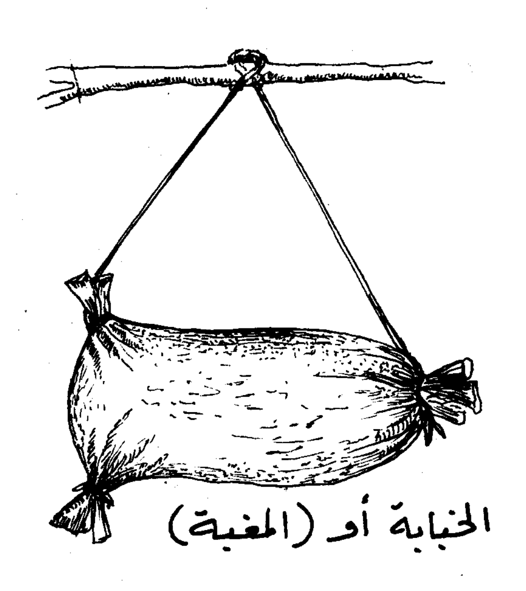
(السمور)
(لتسخين الماء)



جرة حجرية
كبيرة
وبجوارها
الرحى

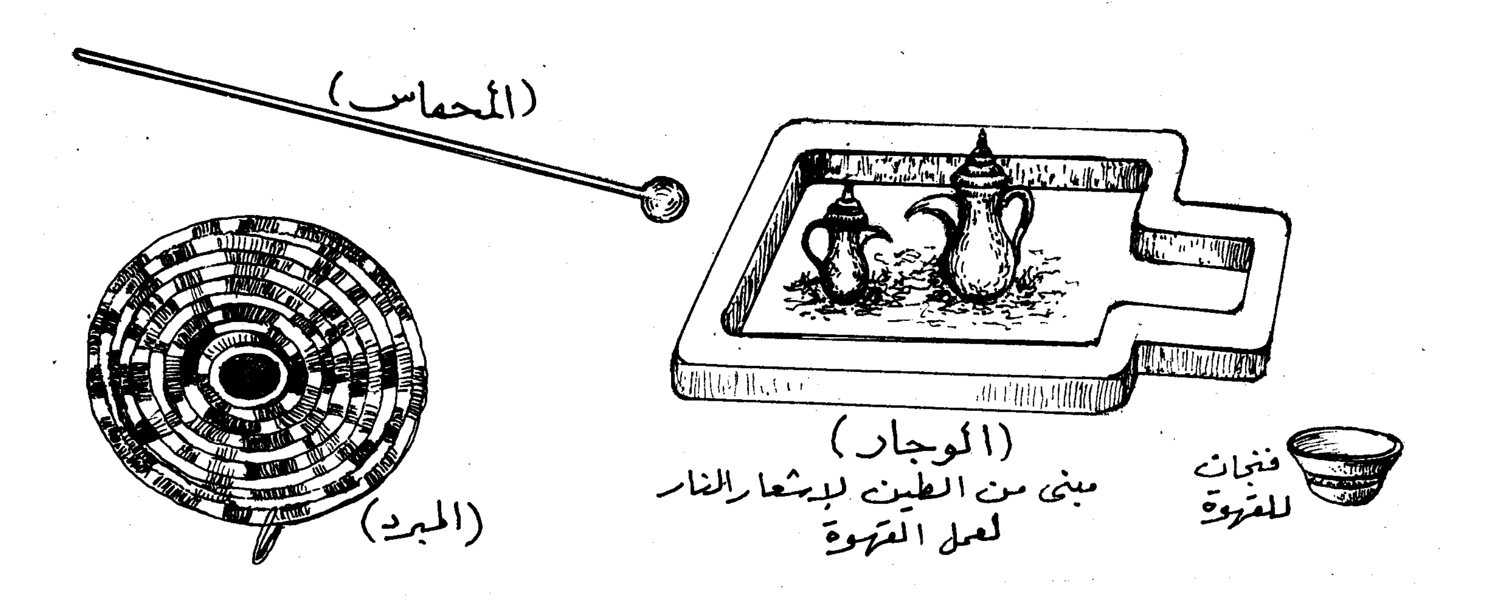


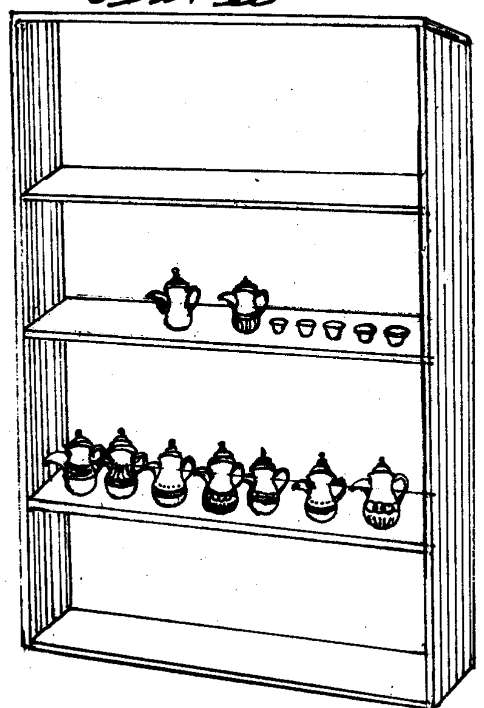
القربة أو الراويـة



الحبابة أو (المغبة)

مجموعة القهوة



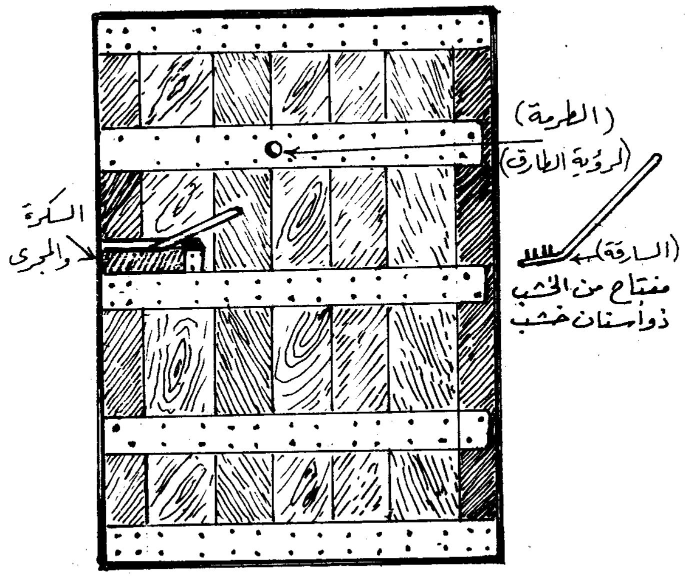

(الكمار) ويبنى من الطين
لحفظ الدلال


يد (من الحجر)
موجات (من الخشب)

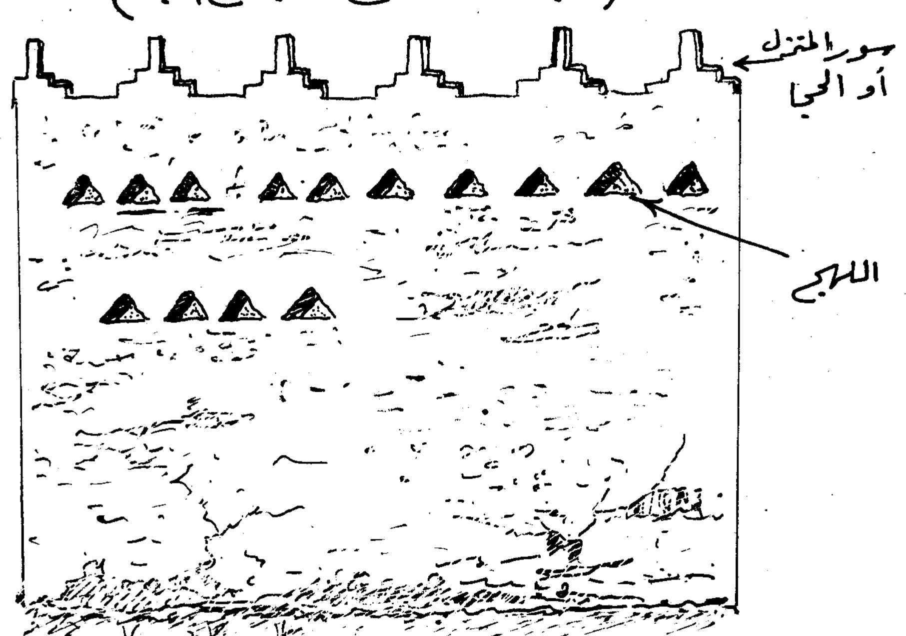

(الدالة لعمل القهوة)


(الشيست)
لحفظ فناجيل القهوة

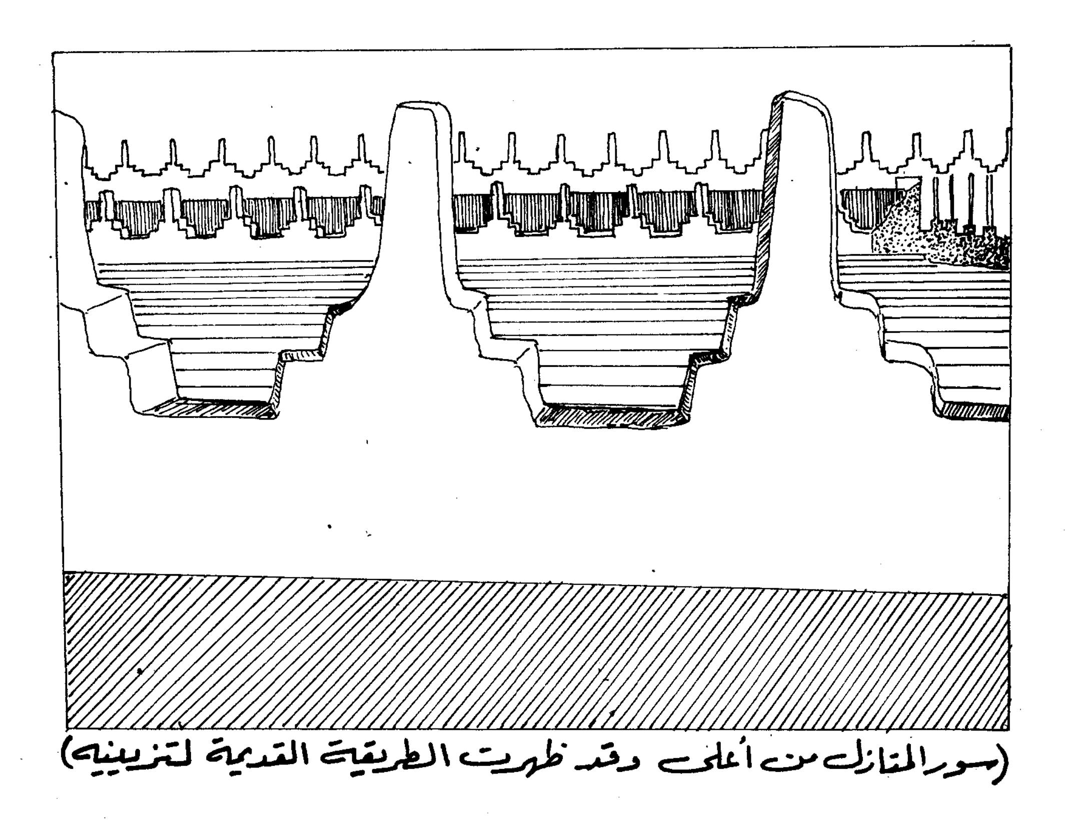

يد
من
النحاس
(موجات)
لجريش البن



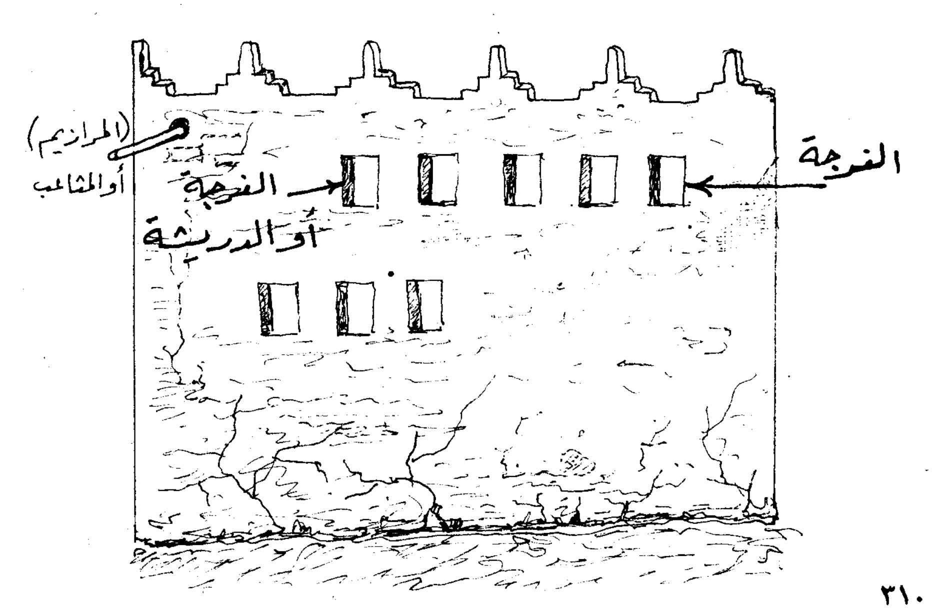
(باب الدار مصنوع من جذوع الأشجار)

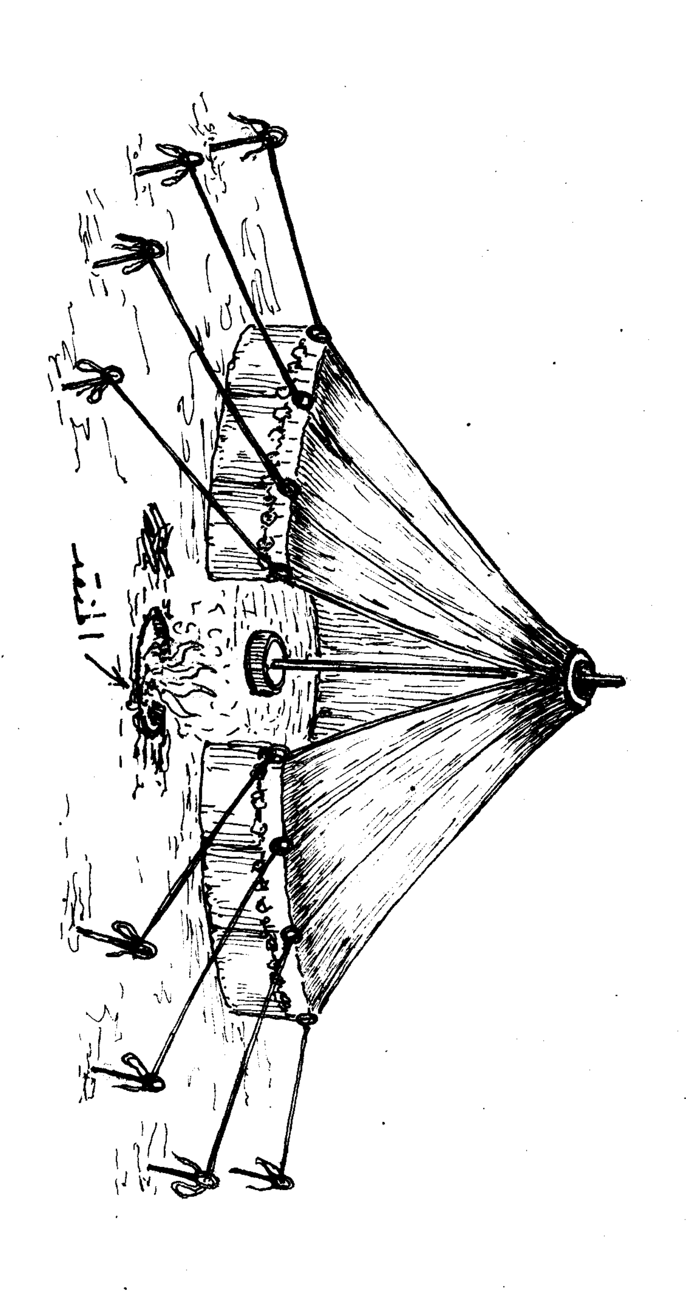


إحدى جدران البيت بالقرى والحاضرة - وقد ظهرت
الفتحات البديلة للنوافذ - وتسمى (اللهج)



(سور المنازل من أعلى وقد ظهرت الطريقة القديمة لتزيينه)



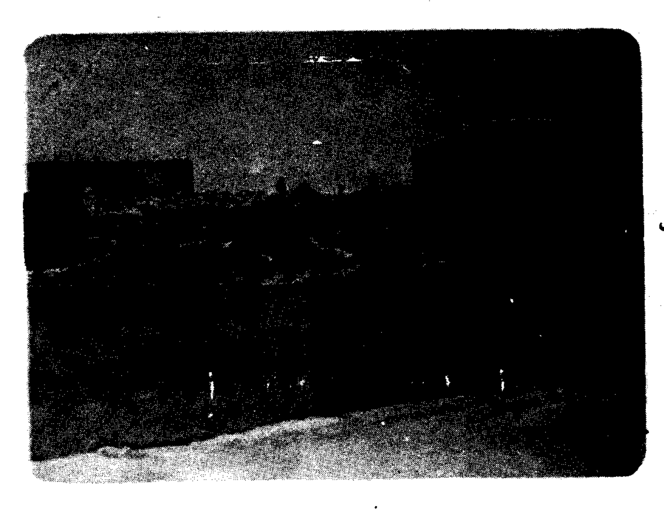




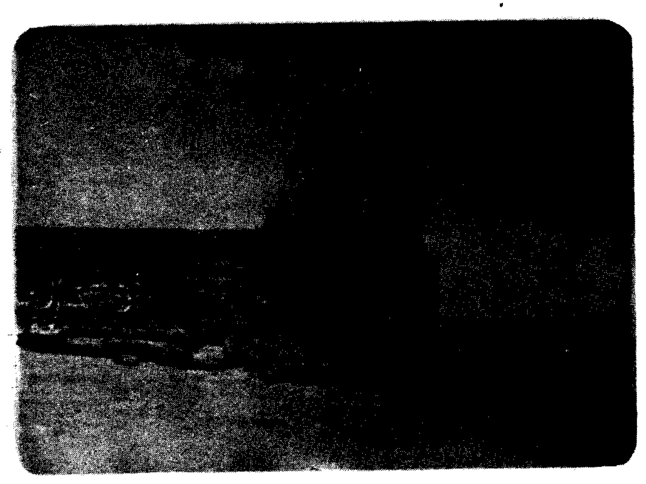
إحـدى الآبــار القديمة «بالقصب» ويسمى بئر «أم طليحة»



جانب من سور القصب القديم من الجهة الشمالية «الزويملى»



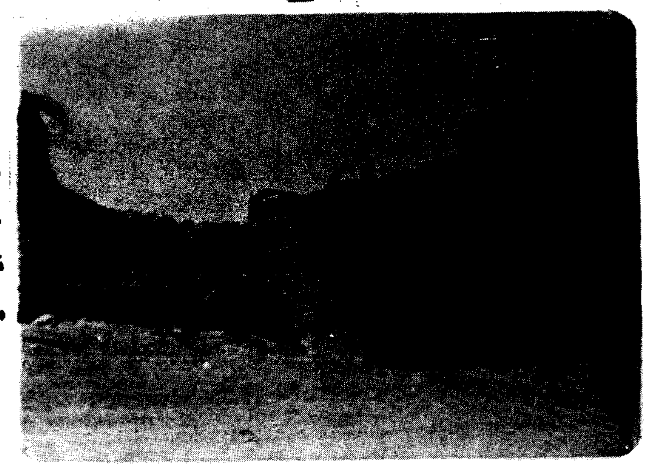
المبانى القديمة فى القصب وقد هجرت تماماً



أحد « قصور » القصب القديمة ، أما البناء المستدير وهو من الحجر فيسمى «المقصورة»



جانب من سوق القصب القديم من الجهة الشمالية ويسمى « بالعبيدى »



جانب من السور القديم من جهة الشرق ويلاحظ أنه قد نقب لدخول المارة وتسمى «نقبة ابن حسن»



إنتاج الملح بقرية القصب «الجفارة » وقد استبدلت العمالة الوطنية بالعمالة الأسيوية .



صورة من حائر الحاضرة وقد ظهر « المرقب » فى أعلى الصورة والنخيل فى أسفل الجبل بالوادى « وادى الغاب»

المحتويات

الموضوع

الموضوع

الباب الثانى
" الدراسة الميدانية "
البناء الاجتماعى

الموضوع

الموضوع

الباب الثالث
التراث الشعبى

الموضوع

الموضوع